الخطاب وأثره

في بناء نحو النصّ

تطبيق على المعلقات السبع

إعداد

عبد المهدي هاشم حسين الجراح

إشراف

الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية

حقل التخصص - اللغة والنحو

تاريخ تقديم الأطروحة للمناقشة ٢٠٠٢/١٠/٣١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخطاب وأثره في بناء نحو النصّ

تطبيق على المعلقات السبع

إعداد

عبد المهدي هاشم حسين الجراح

ماجستير لغة ونحو، جامعة اليرموك- ١٩٩٧م

قُدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية تخصص لغة ونحو، في جامعة اليرموك

وافق عليها

سمير شريف ستيتية ..... رئيساً

أستاذ في اللسانيات، جامعة اليرموك

عفيف عبد الرحمن ..... عضواً

أستاذ في الأدب الجاهلي، جامعة اليرموك

محمد بركات أبو علي ..... عضواً

أستاذ في البلاغة، الجامعة الأردنية

سلمان القضـــــاة ..... عضواً

أستاذ في النحو، جامعة اليرموك

يوسف أبو العدوس ..... عضواً

أستاذ في البلاغة والنقد، جامعة اليرموك

تاريخ تقديم الأطروحة ٢٠٠٢/١٠/٣١م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى عائلتي الكبيرة..... أبي وأمي

عبدالحكيم ومنى

إلى عائلتي الصغيرة..... زوجتي

وابني سيف

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشكر والتقدير

لا يسعني -بعد أن فرغت من إعداد هذه الرسالة- إلاّ أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي وشيخي، الأستاذ الدكتور سمير ستيتية، الذي منحني من وقته وجهده الشيء الكثير، إذ أحاط الرسالة بعناية فائقة، منذ أن كانت فكرة إلى أن تبلورت وخرجت رسالة مكتملة. كما أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن، وللأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي، وللأستاذ الدكتور سلمان القضاة، وللأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس، وذلك على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحتوى

الإهداء ---------- ج
الشكر والتقدير ---------- د
المحتوى ---------- هـ
الملخص ---------- و
المقدمة ---------- ١
الفصل الأول: الخطاب ونحو النصّ ---------- ٥
مدخل ---------- ٦
المبحث الأول: بين الخطاب والنص ---------- ٧
المبحث الثاني: بين نحو النصّ ونحو الجملة ---------- ٢٨
المبحث الثالث: الوحدة النصيّة ---------- ٣٤
المبحث الرابع: إشارات نصية في كتب النحو العربي القديم --- ٤٩
الفصل الثاني: الروابط التركيبية النصيّة في المعلّقات السبع ---------- ٥٣
مدخل ---------- ٥٤
المبحث الأول: الوصل ومظاهره ---------- ٥٥
المبحث الثاني: الإسناد ومظاهره ---------- ٧٨
المبحث الثالث: الإحالات النصيّة ---------- ٨٨
الفصل الثالث: الوظائف الاتصالية للتراكيب داخل النصّ ---------- ١١٨
مدخل ---------- ١١٩
المبحث الأول: اللغة وأثرها في تشكيل معادلة الاتّصال ------ ١٢١
المبحث الثاني: اللغة وأثرها في إبراز وجدانيات النصّ ------- ١٢٨
المبحث الثالث: اللغة وأثرها في تحديد روامز النصّ -------- ١٣٢
المبحث الرابع: الشكل اللغويّ وأثره في إنتاج الدلالة النصيّة --- ١٤٠
الفصل الرابع: ظواهر من نحو النصّ في معلقة امرئ القيس ---------- ١٥٧
(محور وصف الدّيار والنسوة)----------
مدخل ---------- ١٥٨
المبحث الأول: وحدة النصّ والبيت ---------- ١٦٣
المبحث الثاني: ظاهرة الوصل ---------- ١٦٩
المبحث الثالث: ظاهرة الترابط الإسنادي ---------- ١٧٧
المبحث الرابع: ظاهرة الترابط الإحالي ---------- ١٨٣
المصادر والمراجع ---------- ٢٠٠
فهرس القوافي ---------- ٢٠٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الملخص

الجراح، عبد المهدي هاشم. الخطاب وأثره في بناء نحو النصّ - تطبيق على المعلقات السبع، أطروحة دكتوراه بجامعة اليرموك، ٢٠٠٢، المشرف الأستاذ الدكتور سمير شـــريف ستيتية.

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الخطاب وأثره في بناء نحو النصّ تطبيقاً على المعلقات السبع. وقد جاءت في أربعة فصول:

تناول الفصل الأول مجموعة من المسائل الأساسية في ميدان الخطاب ونحو النـــص، وذلك كمفهوم الخطاب والنص، والفرق بين نحو الجملة ونحو النص، والوحدة النصية، وبعض الإشارات النحوية النصيّة في كتب النحو العربي. وقد كان هذا الفصل نقطة الانطلاق في هذه الدراسة؛ لأنّه تبنّى فكرة البحث الأساسية، وهي أنّ الخطاب هو الذي يشكل النـــصّ ونحـــوه؛ لأنه يمثل القدرات البنائية الذهنية التي تُمكننا من اختيار الصيغة التي نوصل بها أفكارنا إلـــى الآخرين. ودرس الفصل الثاني الروابط التركيبية النصيّة في المعلقات السبع، وهي الوصـــل، والإسناد، والإحالة، وبعض جوانب الربط الذكري؛ لأنّها قائمة على مبدأ البنائية الذهنية التـــي توجه النصّ ونحوه من جهة؛ ولأنّها تعمل على تحقيق مبدأ التماسك النصي الذي هـــو قـــوام الوحدة النصيّة. أمّا الفصل الثالث فقد جاء لبحث اللغة وأثرها في تحقيق الوظائف الاتصاليـــة للتراكيب داخل النصّ؛ لأنها تسهم في تقنين العلاقات النصيّة التي توجه النصّ من جهة، كمـــا أنها تؤثر في عملية التواصل الإبلاغي من جهة أخرى. فمن اللغة تنبثـــق أطـــراف معادلـــة الاتصال، وبها تبرز وجدانيات النصّ، كما أنها تؤثر في تحديد روامز النصّ، وإنتاج دلالاتـــه المختلفة. وقد جاء الفصل الأخير؛ لترسيخ مبدأ الوحدة النصيّة للقصيدة العربية الجاهلية؛ فتـــم تخصيصه لتطبيق مجموعة من ظواهر نحو النصّ، وهي ظاهرة الوصل، وظاهرة الـــترابط الإسنادي، وظاهرة الترابط الإحالي، على معلقة امرئ القيس، واقتضى المنهج اختيار محـــور واحد من محاور القصيدة، وهو محور خطاب الدّيار والنسوة؛ لأنّ ما ينســـحب علـــى هـــذا المحور ينسحب على المحاور الأخرى. ولقد أثبتت الدراسة أنّ الخطاب بتوجهاتـــه البنائيـــة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المختلفة، يعمل على توجيه الروابط التركيبية، والوظائف الاتصالية للتراكيب النصية، أي أنــه يعمل عن طريق أدواته المختلفة على تحقيق مبدأ الوحدة النصية، التي تمكننا من الوصول إلى الكفاية النصية، التي تضمن لنا إنتاج نصوص لا حصر لها وفق قواعد محددة ومنظمة؛ تجعل المرسل يحقق هدفه من الرسالة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكلمات المفتاحية: الخطاب والنص، نحو النص، الوحدة النصية، المعلقات السبع.

Abstract

Al- Jarrah, Abdul Muhdi, H. Discourse and Its Effect on Textology- An Application to the Seven odes The Supervisor: Prof. Samir Steitiya

This dissertation aims at exploring systematically the discourse and its effect on textology through analytical application to the great seven distinct poems of the pre-Islamic era i.e. the so- called al- mu`allaqat odes. This study is divided into four chapters. The first chapter thoroughly discussed the main terms in this field and their concepts. Despite the fact that some of these terms lave been developed the essential and substance of their concepts exist in the traditional research in Arabic grammar. The second chapter studied the syntactic connections in Arabic. These connections were extracted from the seven mentioned poems. After that, they were discussed and connpared to the updated conceptions in this field. Chapter three discussed the effect of discourse language in constructing the connective relations in the text. This function maked the process of communication clears, and it has been illustrated through the seven poems. Chapter four applied the implied concepts in the first three chapters to one of the seven odes i.e. the poem of mru`al Qays. This poem has been chosen for the tremendous concepts of cohesion, coherence, and other concepts.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

The Index words: Discourse and text, Textology, Texteme, the seven odes.

المقدمة

- **اختيار البحث**

شهدت الدراسات اللغويّة في العقدين الأخيرين من القرن الماضي تطورات على قدر كبير من الأهمية، فقد رافقها دعوة العلماء إلى ضرورة إعادة الصلة فيما بين اللغة والدراسة الأدبية؛ بعد قطيعة كبيرة جداً، كانت نتيجتها عدم القيام ببحوث مشتركة بين المجالين الأدبي واللغوي. ولقد كان أهم مظهر من مظاهر التطور هو مولد نظرية نحو النصّ، التي تمكن أعلامها من إعادة الصلة فيما بين اللغة وواحد من أعظم تجلياتها وهو النصّ.

يأتي هذا البحث استمراراً للاتجاه السابق الذكر؛ ولتحقيق جملة من الأهداف وهي:

١.إبراز أثر القدرات الخطابية في بناء القواعد النصيّة التي تمنح النصّ التماسك والمقبولية، وذلك في أثر الخطاب في تكوين الوحدة النصيّة التي تمكن من الوصول إلى مبدأ الكفاية النصيّة.

٢. ينبثق عن الهدف السالف الذكر هدف آخر، وهو إثبات أن الروابط التركيبية لها أثر كبير في اتساق النصّ وفك روامزه وفهمه، وبحثها يشكل هدفاً مهماً من أهداف نحو النص، وأنّها مبنية بحسب توجهات الخطاب.

٣. إثبات حقيقة أنّ علمي النحو والدلالة توأمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وأنّهما ثمرة توجهات الخطاب بحسب مقصدية المرسل.

٤. تقديم تصورات شاملة ومتكاملة لنظرية نحو النص؛ لأنّ معظم الدراسات في هذا المجال – وهي قليلة – نظرية تخلو من التطبيق المتكامل. وهذا يثبت أنّ هذه النظرية هي أكثر قدرة على تفسير التراكيب النصيّة من نحو الجملة.

٥. إعادة النظر في كثير من المقولات التي قدمت في ميدان الدراسة النحوية النصيّة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولقد تبنت هذه الدراسة مسألة التمييز بين النصّ والخطاب، فالخطاب هو القدرة التي تمكننا من اختيار الصيغة التي نوصل بها مجمل أفكارنا إلى الآخرين، وكذلك الصيغة التي نتلقى بها أفكارهم[١]. وهذه القدرات تمكن المبدع من اختيار اللغة، والقواعد والدلالات، والبنى النصيّة كاملة؛ لتتآزر فيما بينها لتشكيل النصّ. ولما كان النصّ هو الوعاء الذي يستوعب الفكر فإنّ الخطاب هو القدرة التي تصنع هذا الوعاء، لأنّ المبدع في العملية الخطابية لا ينقل فكراً فقط؛ وإنما ينقل فكراً مؤثراً، وذلك بقدرته على إبداع مرتكزات وتقنيات تجعل منه بنية نحوية متماسكة مؤثرة. وبهذا الفهم يصبح النصّ هو الوحدة اللغويّة الكبرى الناتجة عن التفاعلات التي يقوم الخطاب بتوجيهها، وبناء نحوها.

ولقد تم اختيار الجانب الشعري مجالاً للتطبيق؛ لأنّ بعض الدارسين يزعم أن الشعر يقوم على اللاإنسجام[٢]. واختيرت المعلقات السبع؛ لأنّها تمثل في نظر كثير من الدارسين أفضل نتاج شعري وصل إلينا؛ ولأمر ما علّقت على جدران الكعبة، وكتبت بماء الذهب في القباطي المدرجة، كما أنّها تمثل صورة تكاد تكون كاملة لتجربة الفن الشعري الجاهلي لغة وأدباً؛ لذا فإنّ البحث فيها يتضمن استعراضاً لمقدار مهم من نتاج عصر كامل، يقول بدوي طبانة:" في استطاعتنا أن نعدّ شعر المعلقات هو الصورة الكاملة التي انتهت إليها تجارب الفن الشعري عند عرب الجاهلية"[٣].

- **الدراسات السابقة**

ثبت للباحث – بعد البحث الطويل – أنّ هذا البحث لَمْ يُبْحث من قبل بهذا العنوان، إلاّ أنّ بعض أفكاره مبثوثة في كثير من المراجع وبخاصة الأجنبية منها. فقد أفاد الباحث من المراجع الأجنبية، وكانت الترجمة قائمة على نقل المعني الذي يقصده المؤلف لا النقل الحرفي

---

(١) انظر: ستيتية، سمير. اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر ص ١٥.

(٢) انظر ما كتبه مفيد حمداوي في بحثه "السيميوطيقا والعنونة"، مجلة عالم الفكر، ع٣، ١٩٩٧ ص ٩٨.

(٣) طبانة، بدوي. معلقات العرب – دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي.ص ٢٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للعـــبارات إلاّ عـــند الضرورة. وكانت هذه المراجع للمنظرين الأوائل لنحو النصّ مثل: فان ديك، وكنتش، ودي بوجراند، ودرسلر، وقد تم ذكرها في قائمة المصادر والمراجع. كما أفاد الباحـــث من الكتب التي تبحث في مبدأ التماسك النصي والانسجام لغير المنظرين الذين سبق ذكرهم، وهذه الكتب هي:

Coherence in Spontaneous Text: AnngernsBacher & T. Givon.

Text Coherence in Translation: Bart Papegaaij & Klaus Schubert.

Cohesion in English: M. A. K. Halliday & Ruqaiya Hasan.

وأفاد الباحث كذلك من كتاب بنية اللغة الشعرية لجان كوهن، وكتاب لسانيات النصّ – مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي، وكذلك كتاب علم لغة النصّ – المفاهيم والاتجاهات لسعيد بحيري، ومن كتابي محمد مفتاح دينامية النصّ وتحليل الخطاب الشعري. وغيرها من الكتب المثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

- **مصدر النصوص التطبيقية**

النصـــوص التي جرى التطبيق عليها – كما أشرت – هي المعلقات السبع. وقد اختير كتاب (شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـــ)؛ لأنّـــه أقدم شرح للمعلقات السبع، وفيه يقول محققه عبد السلام هارون: "قد يكـــون هـــذا الشـــرح في قمة شروح القصائد السبع وأنه (أي صاحبه) لا يكاد يرى ثغرة في طريق الكمال إلاّ حاول سدّها...."[1].

- **سير البحث**

سار البحث بما يقتضيه المنهج. فبنيته في أربعة فصول، يضم كل فصل منها مجموعة من المباحث. يعرض الفصل الأول لمجموعة من المسائل الأساسية في ميدان الخطاب ونحو الـــنصّ مـــثل مفهوم الخطاب والنص، والفرق بين نحو النصّ ونحو الجملة، والوحدة النصيّة

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(Texteme)، وبعض الإشارات النحوية النصيّة في كتب النحو العربي. فكانت هذه المسائل نقطة الانطلاق بالنسبة للبحث.

أمّا الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن الروابط التركيبية النصيّة في المعلقات السبع، ولقد تناول هذا الفصل ظاهرة الوصل، والإحالات النصية، والإسناد، وبعض جوانب الربط الذكري، مثل الحذف والتقديم، والتأخير والتكرار.

ويأتي الفصل الثالث؛ ليكون امتداداً للفصل الثاني، إذ يعرض للوظائف الاتصالية للتراكيب داخل النصّ؛ لأنّها تعمل على تقنين العلاقات النصيّة وتعميقها. فاللغة التي يستدعيها الخطاب لها أثر بارز في عملية التواصل الإبلاغي؛ لِذا فقد تناول اللغة وأثرها في تشكيل أطراف معادلة الاتّصال، واللغة وأثرها في إبراز وجدانيات النصّ، واللغة وأثرها في تحديد روامز النصّ، وكذلك الشكل اللغويّ وأثره في إنتاج الدلالة النصيّة.

أمّا الفصل الرابع فكان تطبيقياً تحليلياً. فقد درس الفصل مجموعة من ظواهر نحو لنصّ في معلقة امرئ القيس وتحديداً محور وصف الدِّيار والنسوة. وفي البداية درس وحدة النصّ والبيت وآراء بعض العلماء فيهما. وانطلق البحث بعد ذلك؛ ليؤكد الوحدة النصيّة للقصيدة الجاهلية ضمن تطبيق تصورات كل من ظاهرة الوصل، وظاهرة الترابط الإسنادي، وظاهرة الترابط الإحالي، على محور واحد من محاور معلقة امرئ القيس وهو المحور المذكور. واختير محور واحد فقط؛ لأنّ ما ينسحب على هذا المحور ينسحب على المحاور النصيّة الأخرى.

وفي النهاية تبقى هذه الأطروحة محاولة سعى الباحث فيها إلى حلٍّ بعض إشكالات نظرية نحو النصّ ولله وحده الكمال.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الأول

الخطاب ونحو النص

- مدخل
- المبحث الأول: بين الخطاب والنص
- المبحث الثاني: نحو النص ونحو الجملة
- المبحث الثالث: الوحدة النصية
- المبحث الرابع: إشارات نصية في كتب النحو العربي القديم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مدخل:

يهدف هذا الفصل إلى بحث مجموعة من القضايا الأساسية في ميدان نظريّة نحو النصّ، سعياً إلى إدراك مدلولات المفاهيم الخاصة بها وعلاقة بعضها ببعض. وهذه القضايا تُشكّل نقطة الانطلاق لهذا البحث الذي يَسعىَ إلى الكشف عن أثر تقنيات الخطاب في بناء نحويّة النصّ.

وتحقيقاً للهدف المشار إليه أعلاه، قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث رئيسية، تناولت في الأول منها: مفهوم الخطاب والنص من منظورات مختلفة. وفي الثاني: أسباب ميلاد نحو النص، والفروق بين نحو الجملة ونحو النصّ. وفي الثالث: بحثت مبدأ "الوحدة النصيّة". وختمت هذا الفصل بحديث موجز عن بعض الإشارات النحوية التي ذكرها النحويون، والتي يمكن أن تندرج – لاعتبارات مختلفة – ضمن نحو النصّ.

وهذه المباحث – كما يَظهرُ – متواترة، فكلُّ مبحثٍ يفضي إلى الآخر، ويُكمّله. وهي تُشكّل أساساً للفصول التي ستأتي بعدها بمشيئة الله عزّوجل، لأن هذا البحث كاملاً يبحث في مبادئ التماسك النصّي. وفيما يلي بحث لما تقدم ذكره.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: بين الخطاب والنص

إنّ تحديد المصطلحات من أعسر القضايا التي تواجهها الدراسات عامّة، لأن المصطلح يشكل إشارة دالة، وتبدو مدلولات هذه الإشارة عند المعاينة متحرّكة غير ثابتة ، إذ تضم عمليات تتمتع بقدرة عالية من الفعالية الفكرية، والتي يصعب تحديدها؛ لأنها نتاج العقل الإنساني المتصف بعدم الاستقرار والثبات. وبناءً على ذلك، فمن الصعب جداً تحديد المصطلحات تحديداً دقيقاً شاملاً، وأظن أن بعض ما يقدمه الباحثون إنْ هو إلاّ وصف للمصطلحات وليس تحديداً لها، وسأجد نفسي مضطراً إلى استخدام كلمة "تعريف" في بعض الأحيان؛ وذلك لورودها في المراجع والمصادر التي اعتمدتها في هذه الأطروحة.

يستعرض هذا المبحث طائفة من التحديدات لمصطلحي النصّ والخطاب، للوقوف على ماهيتهما، وبيان الفروق بينهما، فهذان المصطلحان من أكثر المصطلحات شيوعاً وتداولاً في العلوم الإنسانية بعامة، وفي الدراسات الأدبية اللغويّة بخاصة. ولقد ارتأيت استعراض تحديدات الخطاب أولاً، ثم النصّ ثانياً.

أ. مفهوم الخطاب

يقتضي تحقيق الهدف المشار إليه أعلاه، أن يُبحث مفهوم الخطاب من وجهتين، الأولى وجهة النظر اللغوية، أمّا الثانية فهي وجهة النظر الاصطلاحية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الخطاب لغةً

الخطاب في اللغة هو مراجعة الكلام، يقول ابن مظور:" الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام"[١]. وهو عند الزبيدي كذلك:" الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً، وهما يتخاطبان"[٢]. فهو عند اللغويين بمعنى مراجعة الكلام، فهو مرتبط بالكلام، أي هو الكلام الشفوي الصادر عن الشخصين المتحاورين حول قضية بينهما. ومن الواضح أن تحديد الخطاب على هذا النحو يركز على الجانب المادي له، وهو الكلام الملفوظ ويهمل الجانب الذهني للخطاب. وقد تأثر بهذا الاتجاه عدد غير قليل من المفاهيم الاصطلاحية للخطاب، وأعني بذلك محاولة التفرقة بين النصّ والخطاب على أساس "المشافهة" و "الكتابة" وسنرى ذلك.

(٢) الخطاب اصطلاحاً

قبل استعراض تعريفات الباحثين للخطاب، أود الإشارة إلى حقيقة مؤداها أن هذه التعريفات متنوعة وكثيرة، فبعضها يحمل طابع العمومية، وبعضها الآخر – وهو الأغلب – ففيه درجة كبيرة من الخصوصية. وهذا ناتج عن تعدد وجهات النظر الشخصية للباحثين، والتي ترتد إلى مجال تخصص كل واحد منهم. وعلى أية حال، فإنه يمكن تصنيف مفاهيمهم للخطاب في الأصناف الآتية:

أ. المفاهيم ذات الطابع العقلي.

ب. المفاهيم ذات الطابع اللغويّ.

ج. المفاهيم ذات الطابع الاجتماعي.

وفيما يلي عرض لهذه التصنيفات:

---

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت ، دار صادر، (د.ت)، مادة "خطب".

(٢) الزبيدي. أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس، د.ن، ط ١٩٩٠م، مادة "خطب".

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ. المفاهيم ذات الطابع العقلي

يذهب بعض العلماء إلى تحديد مفهوم الخطاب عن طريق ربطه بالعمليات العقلية، فهو يمثل عملية عقلية من بين العمليات العقلية الكثيرة، يقول أندريه لا لاند: إن الخطاب "Discourse" هو:

أ. عملية فكرية تجري ضمن سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة.

ب. وعلى نحو خاص هو تعبير عن الفكر وتطوير له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة[١].

إن تحديد "لا لاند" للخطاب يجعل منه عملية عقلية تتحقق من خلال عمليات لغوية متتابعة، بل إنّه – أي الخطاب – تطوير للفكر وتعبير عنه ولكن كيف؟ إنّه كما يرى لا لاند تطوير وتعبير بوساطة الملفوظات المترابطة، والتسلسل الذي أشار إليه هو الذي يربط الخطاب بالفكر.

يرد هذا المفهوم أكثر وضوحاً عند عبده الحلو الذي يقرر أن الخطاب "كلام علني موجه إلى الآخرين"[٢] وهو "عملية عقلية متكاملة تترابط أجزاؤها ترابطاً منطقياً"[٣]. فهو هنا يركز على الطابع العقلي للخطاب، فالخطاب "كلام علني"، إلاّ أنه قبل كل شيء هو عملية عقلية متكاملة مترابطة، والترابط أو التماسك هو أهم ما في الخطاب باعتباره عملية عقلية تبرز باستعمال الكلام (الملفوظ) ويمكن تمثيل هذه العلاقة بالشكل التالي:

---

(١) لا لاند، أندريه. موسوعة لا لاند الفلسفية. ترجمة: خليل أحمد خليل وأحمد عويدات، بيروت، لبنان، منشورات عويدات، ١٩٩٦، م ١/٢٨٧.

(٢) الحلو، عبده. معجم المصطلحات الفلسفية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٤م ص ٤٥.

(٣) المرجع نفسه ص ٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

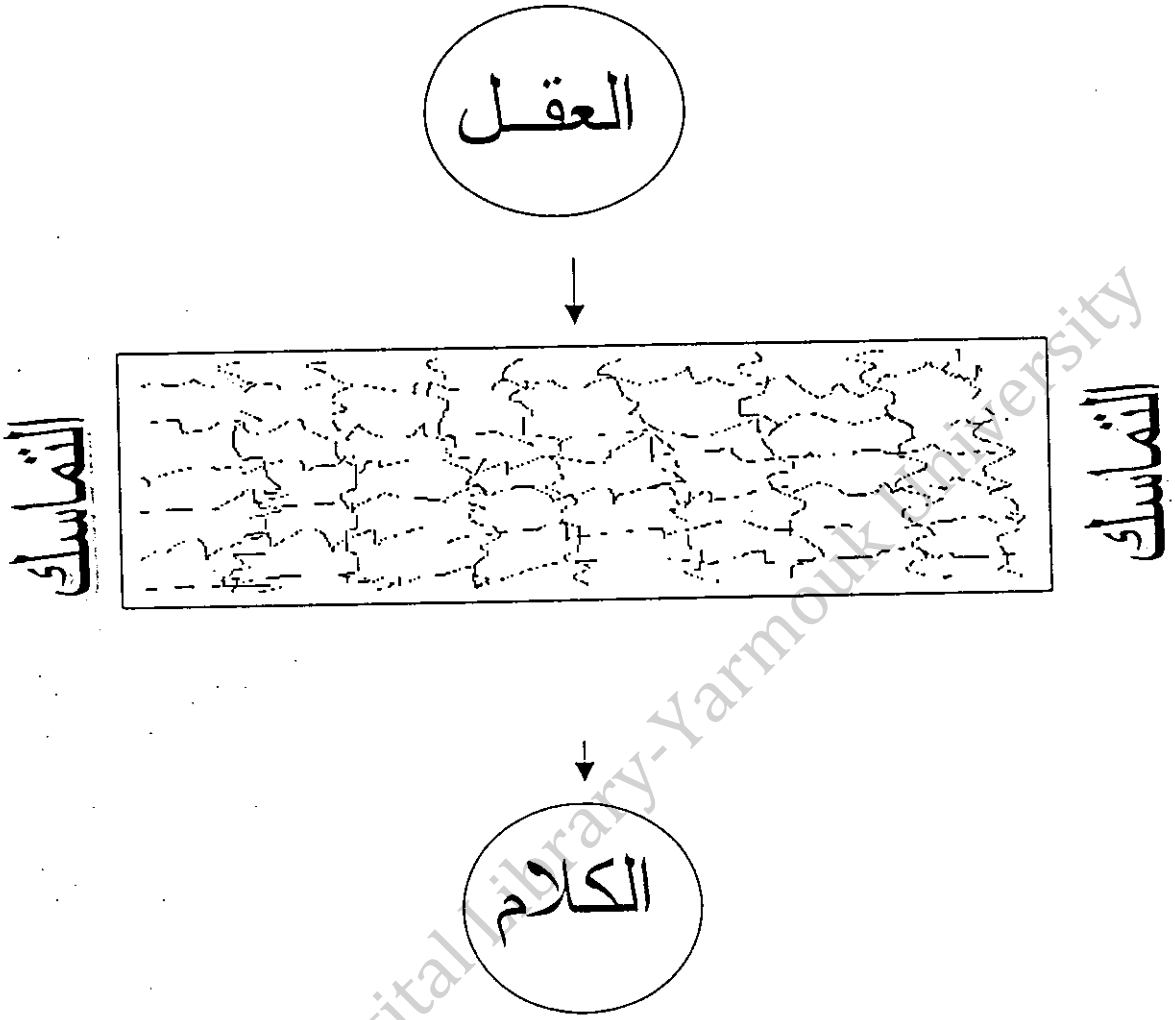

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالعقل يولد التماسك والترابط المنطقي، وهذا التماسك يولد كلاماً متماسكاً، فالخطاب بناءً على تحديد الحلو يبدأ من العقل (المدرك) وينتهي بالكلام (المحسوس).

وإذا كانت المفاهيم السابقة قد ركزت على الجانب العقلي للخطاب في عملية تحديده، فإنّ بعض المفاهيم تجمع بين الطابع العقلي والمعرفي للخطاب في آن معاً، وأقصد هنا تحديداً ميشيل فوكو للخطاب، فهو يحدد الخطاب بطريقة تجعله يشمل كافـــة مجـــالات المعرفـــة الإنســـانية؛ فالخطاب في نظره "مصطلح لساني متميز عن النصّ والكلام والكتابة وغيرها، بشـــموله لكـــل

إنتاج ذهني سواءً أكان نثراً أم شعراً منطوقاً أو مكتوباً، فردياً أو جماعياً، ذاتياً أو مؤسسياً في حين أن المصطلحات الأخرى تقتصر على جانب واحد.

وللخطاب منطق داخلي وارتباطات مؤسسية، فهو ليس ناتجاً بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها، أو يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرعاً معرفياً ما[١]. ويفهم من كلام فوكو ما يلي:

١. إن الخطاب مصطلح لساني.

٢. الخطاب أشمل وأكثر تكاملاً من النصّ والكلام والكتابة.

٣. الخطاب له قوانينه ومرتكزاته الخاصة به.

وهذا يعني أن الخطاب يستوعب كافة المعارف، ويشمل حركة الأفراد والجماعات والمؤسسات؛ لذا فهو "نظام تعبير مقنن ومضبوط"[٢]. أي أنه يعبر عن الجماعات والأفراد بطريقة مضبوطة ومنظمة.

ينظر "فوكو" إلى الخطاب على أنه نظام تعبير مقنن ومضبوط يشمل كل إنتاج ذهني. أمّا النكري فقد نظر إليه على أنه وسيلة من وسائل الإفهام، وبذلك فهو ليس غاية في ذاتها يقول النكري "الخطاب توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ثم نقل منه إلى ما يقع به التخاطب من الكلام لفظياً أو نفسياً"[٣].

ومذهب النكري هنا يفوق مذهب "فوكو"؛ لأنه حدد هدف الخطاب أولاً وهو (الإفهام)، ثم بعد ذلك جعله (الوسيلة) التي يقع بها التخاطب، أو التي تستوعب هذا التخاطب وتنظمه،

---

(١) نقلاً عن العرود، أحمد ياسين. ١٩٩٦، دراسة في تحول الخطاب العربي في عصر النهضة، رسالة ماجستير، كلية الآداب – قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك، الأردن ص ١٤.

(٢) نقلاً عن العرود، أحمد ياسين. المرجع نفسه ص ١٤.

(٣) النكري، عبد الغني الأحمد. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء)، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٩٧٥م ٨٢/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالخطاب بحسب رأي النكري وسيلة من وسائل إيصال الفكر وتوجيهه للآخرين بقصد الإقناع، وهذه الوسيلة لها فعالية تنظيمية كبيرة جداً، فهي القدرة على التوجيه والتنظيم.

إنّ المفاهيم السابقة جمعيها تركز على مسألة كون الخطاب عملية عقلية منظمة تتحقق عن طريق الكلام، والخطاب هو أكبر من ذلك، فهو ليس عملية عقلية، وإنّما هو القدرات التي تسيطر على هذه العملية العقلية، وتجعل العمليات العقلية كافة تنتظم وفق نظام محدد ومضبوط، كما أن الخطاب ليس وعاءً يشمل النتاج الذهني الإنساني كما يدعي "فوكو"، إنه القدرة التي تصنع هذا الوعاء.

إن ربط الخطاب بالكلام وحده وحسب، فيه تضييق لا مسوغ له، فالمكتوب والملفوظ والمرسوم كل ذلك عبارة عن خطابات موجهة، وربما كان ما قدمه الدكتور سمير ستيتية في تحديده لمفهوم الخطاب هو أكثر دقة وشمولاً مما تقدم من المفاهيم، إذ يقول "الخطاب هو الصيغة التي نختارها لتوصيل أفكارنا إلى الآخرين والصيغة التي نتلقى بها أفكارهم..." (١).

فهذا المفهوم يدخل عنصر الاختيار، وهذا العنصر هو عبارة عن القدرة على التحليل والفهم، وهذه القدرة هي قدرة عقلية مسيطرة على عملية التواصل ومحددة لاتجاهاتها كاملة، كما أن هذا التحديد يجعل الخطاب شاملاً للغة المنطوقة وغير المنطوقة، يقول الدكتور سمير ستيتية" "فالخطاب بالمعنى الذي قدمناه، يتجاوز حدود اللغة المنطوقة وغير المنطوقة ليضم تحت جوانحه كل ما نعبر عنه عن أنفسنا للآخرين وما يعبرون لنا به عن أنفسهم، فالخطاب على هذا التصور ذو لغتين إحداهما منطوقة، والأخرى غير منطوقة"(٢).

إن المفاهيم السابقة الذكر تربط الخطاب بفعل العقل وقدراته، وهي على درجات متفاوتة عند الباحث من حيث القبول، وقد أشرت إلى هذا من قبل. ويعتقد الباحث أن هذه المفاهيم تبقى أكثر قبولاً من تلك المفاهيم التي يلمح فيها الطابع البنيوي المادي.

---

(١) ستيتية، سمير. اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، عمان، ط١، ٢٠٠٢م ص١٥.

(٢) المرجع نفسه ص ١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. المفاهيم ذات الطابع اللغويّ

في الوقت الذي كان فيه انشغال معظم الباحثين بالجوانب العقلية في تحديدهم لمفهوم الخطاب، نجد بعض الباحثين قد انشغلوا بالجوانب (اللغويّة – اللسانية). وكان انشغالهم هذا قد جعلهم يصلون إلى نتائج – تبدو عند المعاينة والتحليل – خلافية. ويمكن القول إن هذه المفاهيم قد اتخذت مسارين، الأول بنيوي والثاني بنيوي – براجماتي.

ومن هذه المفاهيم ذات الطابع البنيوي ما جاء به هاريس، الذي يذهب إلى أن الخطاب "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[1].

ويفهم من هذا المفهوم مجموعة أمور:

١. أن الخطاب ذو بنية لفظية.

٢. أن الخطاب ذو "حجم" طويل نسبياً.

٣. أنه تتابع جملي منغلق على نفسه وفق نسق محدد.

٤. يتحكم بهذا النسق المنهج التوزيعي.

٥. الخطاب ذو طبيعة لسانية محضة.

يتفق هذا المفهوم مع اتجاهه العام في تحليل الخطاب، فهو هنا لا يستبعد دور الثقافة والعوامل الاجتماعية في تحديد الخطاب، فهو ينظر إلى الخطاب على أنه نسق بنيوي مترابط، وهو مصطلح لساني أيضاً، ولكنه في مكان آخر يصرح بأن الوضع الاجتماعي والسلوك يحضران في النظام اللغوي، يقول أنور المرتجي "إن الوضع الاجتماعي والسلوك هما حسب

---

(١) نقلاً عن العرود، أحمد ياسين. دراسة في تحول الخطاب العربي في عصر النهضة ص ١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هاريس يحضران في النظام اللغوي، وليس بمعطيات خارجية يقع البحث عنها فيما هو ليس بلغوي"[1].

فهو لا يجعل الخطاب بنية متقوقعة على نفسها، بل لها ارتباطها بما يجعلها أكثر قبولاً وإقناعاً وهما الوضع الاجتماعي والسلوك الثقافي، والإضافة الحقيقية في تحليل هاريس للخطاب تتعلق بتأكيده للعلاقة بين اللغة والثقافة، لأن مأخذه على اللسانيين أساساً أنهم لم يقدموا تحليلاً لهذه العلاقة، ففي جملة مثل "كيف حالك"؟ لا يتعلق الأمر في رأيه بسؤال عن صحة المخاطب بقدر ما أن السلوك هو تعبير عن مجاملة"[2].

ويركز روبرت شولز في تحديده للخطاب على مسألة "حجم الوحدة اللغويّة". وهذا الاتجاه اتجاه بنيوي ناقص، تنقصه بعض الجوانب البنيوية النسقية في عملية تحديد المفهوم، فهو يرى أن الخطاب "هو أكبر وحدة لغوية"[3]، وهذا الفهم بحاجة إلى مراجعة؛ لأنه يساوي النصّ بالخطاب، والسؤال هنا لروبرت شولز إذا كان الخطاب أكبر وحدة لغوية، فما هو النصّ؟ كما أن الاتجاه العام لشولز هو البحث في السيميائية، التأويلية، وهذا التحديد ليس تحديداً سيميائياً ولا تأويلياً؛ إنه تحديد بنيوي أوّلي يصل إلى درجة الشكلية المادية.

أمّا أصحاب الاتجاه الثاني – وأقصد البنيوي البراجماتي – فهم كثر، وهؤلاء ينظرون إلى الخطاب على أنه ملفوظ مشترط بمتكلم (مرسل) وسامع (مستقبل). يصف "بنفنست" الخطاب بأنه "كل ملفوظ مشترط بمتكلم ومستمع، وعند الأول فيه التأثير على الثاني بكيفية ما"[4].

يركز المفهوم الذي يقدمه "بنفنست" على نظرية الاتّصال اللغوي، والتي تكون البنية جزءاً منها، فالملفوظات تمثل بنى منتظمة وفق نسق محدد. وهذا النسق تحدده لغة المرسل (المؤثر)؛ ليحدث التأثير على المستقبل بكيفية ما.

---

(١) المرتجي، أنور. سيميائية النصّ الأدبي، أفريقيا الشرق، ١٩٨٧م ص ٨١.

(٢) المرجع نفسه ص ٨١.

(٣) الغانمي، سعيد. اللغة والخطاب الأدبي، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م ص ١٠٤.

(٤) نقلاً عن: المديني، أحمد. في أصول الخطاب النقدي الجديد، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ١٩٨٧م ص ٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإذا كان الخطاب عند "بنفنست" ملفوظاً، فإنه عند "فانّ ديك" "فعـــل الإنتـــاج اللفظـــي ونتيجته الملموسة والمرئية"(١).

هذا المفهوم الذي يقدمه "ديك" يجعل الخطاب بنية دالة تجعل المتكلم يؤسس تصـــوراً وفهماً ليس بالنظر إلى الخطاب، وإنما بالنظر إلى سياقه الاجتماعي؛ لأن الفعل الإنتاجي اللفظـــي مرتبط بعقلية الجماعة لا بعقلية الفرد الواحد، أو المرسل وحده، والذي يؤكـــد أن اتجـــاه ديـــك (بنيوي – براجماتي) في الوقت نفسه، أنه وزميله "كنتش" قد صرّحا بأن أهم ما يميز الخطـــاب هو(٢):

١. تضمنه لسمة قواعدية خاضعة للتحليل.

٢. نظرية المعرفة المسبقة، أي فهم الخطاب من خلال العوالم المشكلة له (المعرفـة السابقة) The Background Knowledge.

ونظرة ديك هذه، تؤكد ربط الخطاب بالسياقات البراجماتية والمعرفية. وقد تـــأثر بـــهذا الاتجاه الباحثان "يول وبراون"، فقررا أن الخطاب يتضمن نتاجاً ذهنياً منظماً وفق أنساق محـــددة غير منغلقة على نفسها. وهذا الأمر يستدعي وجود متحدث وســـامع وزمـــان ومكـــان لإنتـــاج الخطاب، فهو باختصار بنية نسقية تتحقق بواسطة الكلام، ولابد من حضور فعلي لمنتج الخطاب ومتلقيه(٣). والذي يلحظ على هذا المفهوم أنه لا يقيد الخطاب بفعل النسق اللفظي وحده، فـــهناك شرط نسقي وآخر حضوري؛ ليجري التواصل بطريقة منظمة مقبولة.

وإذا كانت المفاهيم السابقة الذكر قد ربطت الخطاب باللفظ، وبفعل الإنتاج اللفظي، فـــإنّ ثمة مفاهيم أخرى تربطه بفعل اللغة المستعملة لغرض الاتّصال دون الإشـــارة إلـــى اللفـــظ أو

---

(١) يقطين، سعيد. انفتاح النصّ الروائي، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩م ص ١٦.

(٢) انظر: Van Dijk, Teun & Kintsch, walter: Strategies of Comprehension Discourse Academic Press, Subsidiary of Harcourt Brace Jovanovich, 1983. P. 2.

(٣) انظر: Brouwn and Yule. Discoures Analysis, Cambridge University Press, 1987, P.27.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكلام، إذ يصرح جاي كوك (Guy Cook) بأن "اللغة المستعملة لغرض الاتّصال تسمى الخطاب"(١).

وربط الخطاب باللغة على اختلاف أشكالها فيه قدر من الدقة كبير، لأنه كان يدرك تماماً أن اللغة قد تكون منطوقة وغير منطوقة. ولقد اشترط "كوك" أن تكون اللغة متماسكة ومنسجمة؛ ليتم الاتّصال بصورة مقبولة، وليفهم المستقبل الرسالة فهماً صحيحاً(٢). وهذا الفهم للخطاب فهم بنيوي براجماتي؛ لأنه يهتم بالبنى المستعملة، وبأطراف معادلة الإيصال.

إن المفاهيم ذات الطابع اللغويّ كثيرة، والهدف هنا التمثيل لا الحصر، وكثرة هذه المفاهيم، وكذلك الاهتمام الذي حظي به "الخطاب" من قبل اللسانيين تجعلني أذهب مذهب الدكتور حسن حنفي في أن الخطاب مصطلح لساني، أي أنه ذو طبيعة لسانية(٣).

ج. المفاهيم ذات الطابع الاجتماعي

إذا كانت المفاهيم السابقة قد اتخذت الطابع العقلي والطابع اللغويّ أساسين في عملية تحديد مفهوم الخطاب، فإنّ مفاهيم أخرى قد ركزت على الطابع الاجتماعي باعتباره أساساً في تحديد مفهوم الخطاب، أي ربط الخطاب بالأيديولوجيا الاجتماعية، وبأفراد المجتمع. ويعود هذا الأمر إلى الخلفية الفكرية التي تنطلق منها. ومن هذه المفاهيم ما جاء عند الباحثة "ديانا مكدونيل"، فهذه الباحثة طرحت سؤالاً وهو ما هو الخطاب؟ فأجابت عليه قائلة: "الخطاب هو المجتمع"(٤).

---

(١) انظر: Cook, Guy. Discourse and Literature: The Inter play of form and Mind, Oxford , Oxford University Press, 1986. P. 6.

(٢) انظر: Cook, Guy. Discourse and Literature: The inter play of form and mind, Oxford Oxford University press, 1986. P. 6.

(٣) انظر: حنفي، حسن. تحليل الخطاب، في عبد الخالق، غسان (محرراً) تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة). المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب. جامعة فيلادلفيا ١٩٩٧ ص ٢١.

(٤) Macdonelle, Daine. Theories of Discourse, an Introduction, N.Y. Basil Black well, Inc, 1987, P. 1-2.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهي بهذا تربط الخطاب بالمجتمع، وتجعل الحوار الحالة الأولية للخطاب، يظهر ذلك في قولها :"الحوار هو الحالة الأولية للخطاب"(١). وهي ترى أن اللفظة أو الجملة تعبر عن موقف اجتماعي، وتذهب إلى أبعد من هذا قائلة: إن اللفظة الخطابية تستخدم في أكثر من سياق اجتماعي معبرة عن مغزاها(٢). وبما أن الباحثة تربط الخطاب بالمجتمع، فإنه يحق لنا السؤال عن كيفية تعالق الألفاظ والتراكيب داخل النص، فكيف يحدث هذا داخل النص؟ تقول الباحثة: إن تعالق الألفاظ ونشوء المعاني يعود إلى الحوار الاجتماعي. وهذه وجهة نظر شخصية للباحثة نحترمها، ولكنها بحاجة إلى تصحيح، فنحن نتأثر بالمجتمع ونؤثر فيه، فهناك طاقات إبداعية فردية لا سبيل إلى إنكارها، فهي هنا تهمل الطاقات الإبداعية الفردية، وتركز على الفعل الجماعي. وعليه فإن الدائرة التي ترسمها للخطاب مغلقة، تبدأ بالمجتمع وتنتهي إليه، ولقد أوصلها هذا المذهب إلى تحديد مفهوم الخطاب على نحو آخر في موضع آخر في كتابها قائلة:" الخطاب شكل من أشكال الأيديولوجيا"(٣)، والأيديولوجيا التي تقصدها الباحثة هي الأيديولوجيا الاجتماعية وحسب.

وهناك مفاهيم كثيرة تدخل ضمن الفكر الاجتماعي لا الخطاب الاجتماعي، كالمفهوم السابق ذكره، وهدفي هنا التمثيل لا الحصر. وقبل البدء بعرض المفاهيم المختلفة للنصّ يمكن تقرير حقيقة مؤداها أن معظم الذين حدّوا الخطاب لم يقدموا تحديداً كاملاً شاملاً له، ولم ينظروا إليه على أنه نهج عقلي أو قدرة ذهنية تمكننا من تحديد كيفية التواصل، فكان تركيزهم منصباً على الجانب المحسوس، وهو جانب الألفاظ وتعالقها داخل النص، ويبدو النصّ – لا الخطاب – كان ماثلاً في أذهانهم، فحدّوا الخطاب من خلال النص، مع أن النصّ يختلف عن الخطاب.

---

(١) Macdonelle, Daine. Theories of Discourse an Introduction, P. 1-2.

(٢) Ibid, P. 2.

(٣) انظر: Ibid. P. 45.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. مفهوم النصّ

يقتضي تحقيق الهدف المشار إليه في بداية هذا المبحث تحديد مفهوم النصّ لغةً واصطلاحاً، ثم بعد ذلك تحديد الفروق بين الخطاب والنص، فما هو النصّ لغة واصطلاحاً؟.

١. النصّ لغةً

تتعدد معاني النصّ في اللغة، ورغم هذا التعدد ثمة جامع مشترك بين هذه المعاني، يقول الأزهري:" قال أبو عبيد" النصّ اصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألة عن الشيء وحتى تستخرج كل ما عنده، وكذلك النصّ في السير، هو أقصى ما تقدر عليه الدابة"(١).

ويقول الفيروز آبادي:" نصّ الحديث إليه ونصّ ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير. ونصّ الشيء حركه، ونصّ المتاع: جعل بعضه فوق بعض ... ونصّ الشيء: أظهره، والنصّ الإسناد إلى الرئيس الأكبر...". (٢).

وجاء في اللسان أن النصّ هو "رفعك الشيء. ونصّ الحديث ينصّه نصّاً رفعه. نصّ المتاع نصّاً جعل بعضه على بعض"(٣).

إن هذه التحديدات تتفق – رغم تعدد المعاني – على جامع مشترك يجمع بين جميع المعاني المختلفة، وهو معنى الدفع الذي يؤدي إلى الارتفاع والإظهار، فإذا ارتفع الشيء ظهر واضحاً. وهناك علاقة غير مباشرة بين المعنى اللغويّ والمعنى الاصطلاحي للنص، فالمعجميون هنا يقتربون من الفكرة الاصطلاحية للنص، وهي أنه كيان يظهر محتوياته، رغم تعدد المعاني الاصطلاحية لمفهوم النصّ.

---

(١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالله درويش ومحمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر، (د.ت)، "مادة "نصّ".

(٢) الفيروز آبادي، الشيخ محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، بيروت، لبنان، دار الجيل (د.ت) مادة "نصص".

(٣) ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، مادة "نصص".

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢. النصّ اصطلاحاً

قدم الباحثون مفاهيم كثيرة جداً للنص، وبعد النظر في هذه المفاهيم وجدت أنها تتدرج في اتجاهين متباينين وهما:

١. تحديد النصّ من خلال النصّ نفسه.

٢. تحديد النصّ من خلال تعالقه مع سياقه.

أمّا أصحاب الاتجاه الأول فيركزون على البنية النصيّة وحدها في عملية تحديدهم لمفهوم النصّ. ويمكن وصف هذا الاتجاه بأنه شكلي تارة وبنيوي تارة أخرى. أمّا أصحاب الاتجاه الثاني فيركزون على عدم إغفال التعالقات الداخلية والخارجية في عملية تحديد النصّ. ويمكن وصف هذا الاتجاه بأنه اتجاه (براجماتي)، يركز على السياقات النصيّة بمختلف اتجاهاتها. وسأقف فيما يلي عند كل اتجاه بما يحتاج إليه من توضيح.

١. تحديد النصّ من خلال النصّ نفسه

إن تحديد النصّ من خلال البنية النصيّة نفسها يعني التعامل مع النصّ على أنه بنية منغلقة على المستويين النحوي والدلالي (الأفقي والرأسي). يمثل تودوروف هذا الاتجاه تمثيلاً جيداً إذ يقول: "يمكن للنصّ أن يكون جملة، كما يمكنه أن يكون كتاباً تاماً، وهو يعرف باستقلاله وانغلاقه"[١]، ويلحظ في هذا الوصف ثلاثة ملامح وهي:

١. تركيزه على الجانب الشكلي (حجم النصّ).

٢. النصّ مستقل عن غيره.

٣. النصّ منغلق على نفسه.

---

(١) عياشي، منذر. مقالات في الأسلوبية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، ١٩٩٠م ص ١٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من الصعب أن يستقل النصّ بنفسه عن غيره؛ فالنص الواحد قد يضم مجموعة من النصوص، وهذه النصوص تتعالق فيما بينها أساساً لتشكيل ما يسمى "بالنص"، ولهذا فإنّ فكرة استقلال النصّ عن غيره بحاجة إلى إرجاع نظر ومزيد تأمل.

وهذا التصور لا يبتعد كثيراً عن تصور (R. Harweg) هارفج الذي يرى أن النصّ "ترابط مستمر للاستبدالات السنتجميميّة التي تظهر الترابط النحوي في النصّ" (١). فهو في تعريفه يركز على الامتداد الأفقي للنص، باعتبار وسائل الربط اللغويّة.

ويذهب آخرون إلى المبالغة في عملية تحديد مفهوم النص، وأخص بالذكر فاينريش (H. Weinrich) الذي حد النصّ بأنه :"تكوين حتمي يحدد بعضه بعضاً، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل"(٢). وهذا المنهج يرتكز على نهج بنيوي دقيق في عملية تحديد مفهوم النص، ولا ينظر إلى النصّ على أنه كيان منغلق وحسب وإنما بنية منغلقة منفتحة في الوقت نفسه، تسمح بالنظر إلى السياقات داخل النص، أي السياقات اللغويّة التي يستدعي بعضها بعضاً لتحقيق الفهم الكلي للنصّ.

ويذهب آخرون إلى تعريف النصّ عن طريق ربطه بالدلالة البنيوية، ويمثل هذا الاتجاه هاليداي، ورقية حسن؛ إذ حدّا النصّ بأنه :"وحدة دلالية، وليست الجمل إلاّ الوسيلة التي يتحقق بها النصّ"(٣). وقد جعلا الاتساق شرطاً أساسياً للتعرف على ما هو نص وما ليس كذلك.

ورؤيتهما هذه تقوم على دور البنية النصيّة في تحديد مستويات الدلالة النصية، وتختزل كافة المستويات الدلالية – وفقاً لهذا المفهوم – في وحدة دلالية واحدة، وما نراه من الجمل الملحوظة أمامنا هو تحقق ملموس للنص، ولكن يمكن التساؤل هنا: هل النصّ حقيقة وحدة دلالية؟

---

(١) بحيري، سعيد. علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٧م ص ١٠٨.

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٨.

(٣) انظر: Halliday, M. A. K & Hasan, Ruqaiya. Cohesion in English, Longman group L. t.d, 1983, P. 2.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يذهب ندا (Nida) إلى وجود مستويات متعددة للوحدة الدلالية النصيّة، وقد اختار الدكتور أحمد مختار عمر مذهب ندا هذا[1]، ومذهبهما هذا موفق، فلو قال هاليداي ورقية حسن: إن النصّ هو وحدة المستويات الدلالية النصيّة، لكان أكثر قبولاً من تعريفهما السابق.

ولقد تأثر بالنظرة المنغلقة في تحديد مفهوم النصّ كثير من الباحثين العرب، فهذا منذر عياشي يتأثر بتودوروف قائلاً:" النصّ شكل من أشكال الإنجاز اللغوي، بقيمة نظامه الخاص. وهو لأنه كذلك، فإنه يستغني بلغته عن غيره، أي عن المرسل والمرسل إليه"[2]. وقريب من هذا الاتجاه قول الأزهر الزناد:" النصّ نسيج من الكلمات يترابط بعضها مع بعض"[3]. وهذا المفهوم ينفي عن النصّ عملية الانفتاح التي قد تثريه، وقد تساعدنا في عملية الفهم، وإذا تحقق الفهم الصحيح للنص، فإنّ هذا يضمن نجاح الرسالة التي يحملها النص، فهل النصّ بنية منغلقة؟ إن الإجابة على هذا السؤال متضمنة في الحديث عن الاتجاه الثاني، وفيما يلي عرض لذلك.

٢. تحديد النصّ من خلال تعالقه مع سياقه

ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى النصّ على أنه بنية منفتحة، متعالقة مع سياقها مع التسليم بتعدد السياقات؛ وذلك لتعدد الأغراض والمقاصد. والسياق هو حضور علائقي بين الألفاظ والجمل والمعاني، وهذا الحضور يعني الوعي بالسياق. وعلى أية حال، فإنّ هذه النظرة إلى النصّ تبقى أكثر قبولاً، لأن لغة النصّ أساساً تخضع لسياقاتها المختلفة في عملية تشكلها.

ومن أصحاب هذا الاتجاه "هارتمان" إذ عرّف النصّ بأنه :"علاقة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"[4]. وهذا يعني اتّصال النصّ بموقف اتصالي من جهة، وإمكان

---

(١) عمر، أحمد مختار. علم الدلالة، القاهرة، عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٨م ص ٣١.

(٢) عياشي، منذر. مقالات في الأسلوبية ص ١٢٧.

(٣) الزناد، الأزهر. نسيج النصّ (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٧ ص ١٢.

(٤) بحيري، سعيد. علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات ص ١٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعدد تفسير العلامة النصيّة من جهة أخرى[1] ولكن مع ذلك، فإنّ تعدد تفسير العلامة النصيّة يبقى محدوداً ومنظماً، ويعطي للنصّ سمة الفعالية والتأثير.

ويرى برينكر (H. Brinker) أن النصّ هو أكبر وحدة لغوية، ولقد خلص إلى أنه "مجموعة من الأحداث الكلامية، التي تتكون من مرسل للفعل اللغويّ ومتلق له، وقناة اتّصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتّصال اجتماعي ليتحقق فيه التفاعل"[2].

فهو في هذا التحديد يركز على ما يمكن تسميته "بنظرية الاتّصال اللغويّ" والتي تقوم على أبعاد محددة وهي: المرسل والمستقبل والرسالة والقناة. وتنظر هذه النظرية إلى النصّ على أنه بنية منفتحة قابلة للتأويل والفهم الصحيح؛ لأنّ الفهم الصحيح – كما سبق ذكره – يؤدي إلى نجاح الرسالة.

ويجعل بعض الباحثين النصّ مسرحاً تلتقي فيه النصوص الأخرى وتشكله، وعرف هذا الإجراء بـ "التناص"، ورائدته الباحثة "جوليا كرستيفا"، إذ تنظر إلى النصّ على أنه "جهاز عبر لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة، بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيراً إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها. والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية"[3].

وللنص عند "كرسيتفا بينتان" ظاهره (النصّ الظاهر) وباطنه (النصّ المولد). وهي بناء على ما سبق تعطي الحرية للنصّ في عملية تشكله، وكذلك للقارئ في عملية الفهم والتأويل، فالنص عندها يبحث عن ذاته خارج لغته.

برز هذا الاتجاه بصورته الحقيقية، وبطريقة أكثر عمقاً عند "رولان بارت" الذي ينظر إلى النصّ على أنه "نسيج توليدي إنتاجي تنحل فيه الذات كما لو أنها عنكبوت تذوب في نفسها

---

(١) انظر: بحيري، سعيد. علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات ص ١٠٨.

(٢) المرجع نفسه ص ١١٠.

(٣) فضل، صلاح. بلاغة الخطاب علم النصّ، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م ص ٢٩٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في الإفرازات البانية لنسيجها[١]. والنص عند بارت هو عملية إنتاجية قبل كل شيء، وهو يتشكل من أصداء اللغات والثقافات الأخرى.

والمتأمل في تعريفات النص للنصّ يجد أن بعض الباحثين يفضل النظر إلى النصّ على أنه بنية شاملة ومتكاملة؛ ومرد هذا الأمر هو التخلص من النظرة الأحادية التي عانى منها النصّ في فهم نظرة معظم الباحثين له. لذا بدأ التفكير بتقديم تصورات أكثر عمقاً وشمولاً، وأقصد هنا ما قدمه روبرت دي بوجراند و درسلر من الباحثين الغربيين، وسعيد يقطين من العرب، إذ يقرر الباحثان بوجراند ودرسلر أن النصّ "حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت فيه معايير النصيّة"[٢]. ولقد عملا على تحديد هذه المعايير وهي: التماسك، والترابط، والقصدية، والمقبولية، والإخبارية، والموقفية، والتناص". وهذا يعني أن معايير بوجرند ودرسلر فيها الربط النحوي.

٦٠٦٤١٤

ويقصد بالربط النحوي الكيفية التي ترتبط بها مكونات البنية السطحية النصيّة. أمّا التماسك الدلالي فيقصد به ربط العناصر الظاهرة في البنية السطحية بالتصورات، والبنى الدلالية النصية، والتي غالباً ما تخضع لمعرفة وثقافة المتحدث. أمّا القصدية فهي مسألة مرتبطة بهدف النصّ. أمّا المقبولية فتعتمد على مدى قبول القارئ للنصّ. وأما الإخبارية فهي أمر مرتبط بالمستقبل أيضاً الذي يتوقع جدة الأخبار في النصّ أو عدم جدتها، هل هي معروفة لديه أم لا؟ والموقفية مرتبطة بالتناسب القائم بين النصّ والموقف، والتناصية هي تداخل النصوص داخل النصّ الواحد، أو ارتباط النصّ بنصوص أخرى[٣].

تعريفهما هذا لم يترك جانباً من جوانب تشكل النصّ إلاّ تضمنه، وهو تعريف شامل نسبياً، وكما هو واضح، فإنّ الباحثين قد تأثرا بنظرية الاتّصال اللغويّ في هذا التعريف.

---

(١) بارت، رولان. لذة النص، ترجمة: منذر عياشي، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٢م ص ١٠٩.

(٢) انظر: De Beaugrande, Robert & Dressler, Wolfgang. Introduction to Text Linguistics, N.Y., Longman, Inc., 1994 P. 3.

(٣) انظر: Ibid P. 5-11.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولقد حاول سعيد يقطين تقديم تصور للنصّ مفاده أن "النصّ بنية دلاليـــة تنتجـها ذات (فردية أو جماعية) ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافيـــة واجتماعيـــة محـددة"[١] ويصرح يقطين بأنه شكل هذا التصور من كريستيفا وهاليداي وزيما، وهو يتكون من:

١. العنصر البنيوي (يتضمن البنى المشكلة للنصّ).

٢. العنصر الإنتاجي (التفاعل والصراع بين هذه البنى).

وهذا التصور يبقى ظلاً لما قدمته كرستيفا، فهو لم يأتِ بأي شيءٍ جديد سوى التوسع في عملية تصور الطابع البنيوي للنصّ.

والآن وبعد أن تمت مناقشة معظم تعريفات الخطاب والنص، لابد مـــن الحديـــث عـــن العلاقة بين النصّ والخطاب.

يرى كثيرون من الباحثين أن الخطاب والنص مصطلحان مترادفان، فهما بمعنى واحـد، ويدلان على مفهوم واحد، أذكر على سبيل التمثيل: زيليخ هارس، فهو فـــي تحديـــده لمفـــهوم الخطاب لم يفرق بين الخطاب والنص، فقد نظر إلى الخطاب عن طريق النظر إلى النصّ، وقـد سبق ذكر ذلك، وكذلك روبرت شولز، وبنفنست ....الخ، ويذكر سعيد يقطين[٢]:"أن كل السرديين الذين يقفون عند الحد اللفظي للحكي (جنيت – تودروف – فاينريش) لا يميزون بيـــن الخطـــاب والنصّ". وكذلك "جان كوهن" في كتابه بنية اللغة الشعرية إذ يستعملهما بمعنى واحد[٣].

---

(١) يقطين، سعيد. انفتاح النصّ الروائي ص ١٢.

(٢) يقطين، سعيد. انفتاح النصّ الروائي ص ١٠.

(٣) كوهن، جان. بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء، دار توبقـال، ١٩٨٦ ص ٥٤-٥٥ و ١٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويذهب فريق آخر إلى التفريق بين النصّ والخطاب. على أساس فلسفي يصل إلى درجة الغموض والإبهام في كثير من الأحيان؛ ومن هؤلاء بول ريكور الذي يرى أن الخطاب إذا ثبت كتابةً يصبح نصاً، يظهر ذلك في قوله:"ألا فلنسم نصاً كل خطاب ثبتته الكتابة"(١). ونتيجة لهذه المقولة اندفع لتأسيس نظرية للحدث الكتابي تميزه عن الحدث الكلامي، وتؤثر فيه في الوقت نفسه. ودفعه هذا المنحى إلى تثبيت نظريته هذه عن طريق معرفة ما إذا كانت الكتابة سابقة على الوجود بالفعل بشكل افتراضي لحيوية الكلام، ودفعه هذا الافتراض إلى التساؤل: ماذا عن العلاقة بين النصّ والكلام"(٢)؟.

أن الكلام عد ريكور سابق للكتابة. وبناء على ذلك، فالخطاب أسبق من النصّ، إن المسألة عند ريكور مسألة زمنية شكلية لا غير. ويحق للباحث التساؤل هنا: هل الكتابة هي الفيصل بين النصّ والخطاب؟ وهل النصوص المكتوبة والمدونة الآن هي نصوص وليست خطابات؟.

إن القضية أعمق مما يتصور ريكور؛ فمسألة الكتابة مسألة شكلية في عملية التفرقة بين النصّ والخطابز إن الخطاب هو الذي يعطي سمة الدينامية للنصّ، وهو الذي يشكل النصّ، وسأبحث هذه المسالة بالتفصيل في هذا المبحث. وقبل ذلك سأقف عند بعض وجهات النظر في التفريق بين النصّ والخطاب.

وإذا كان ريكور قد ربط التفرقة بين النصّ والخطاب بالكتابة، فإنّ "فان ديك" قد ربط التفرقة بين النصّ والخطاب بالاتجاه البراجماتي، فالخطاب – كما أشرت سابقاً – عنده "هو في آن واحد فعل الإنتاج اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية"(٣). أي أنه "سلسلة من الأفعال الكلامية كل منها يلقي ضوءاً على الآخر"(٤). أمّا النصّ فهو "وحدة مجردة لا تتحدد إلاّ

---

(١) عياشي، منذر. مقالات في الأسلوبية ص ١٢٣.

(٢) فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النصّ ص ٣٠٧.

(٣) يقطين، سعيد. انفتاح النصّ الروائي ص ١٦.

(٤) مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٦م ص ١٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من خلال الخطاب كفعل تواصلي"[1]، وهذا الاتجاه يعني أن النصّ هو الوحدة التي لا تتحقق إلاّ عن طريق ربطها بسياقها، وهذا الربط السياقي يوفره الخطاب؛ لأنه فعل تواصلي.

ويفرق سعيد يقطين بين الخطاب والنص السَّرديين باعتبار أن "الخطاب مظهر نحوي، يتم بواسطته إرسال القصة، وإن القصة مظهر دلالي يتم من خلاله إنتاج المعنى من لدن المتلقي"[2].

هذا التفريق فيه شيء من الغموض، كما أنه يركز على جانب واحد في كل من النصّ والخطاب، وهو المظهر النحوي أو المظهر الدلالي، فالخطاب مظهر نحوي، والنص مظهر دلالي، وفي الحقيقة نجد المظهرين معاً في كل واحد منهما، فما الحل إذن؟

يرى الباحث أن العلاقة بين النصّ والخطاب جدلية تلازمية، ومن الصعب الفصل بينهما. إن الخطاب جزء من النصّ، والنص يضم مجموعة خطابات في الوقت نفسه، كما أنه يضم مجموعة من النصوص. والخطاب هو الذي يشكل النصّ، ولولا الخطاب لما كان النصّ نصاً أصلاً. الخطاب يخضع النصّ لسياقه أيضاً ويجعله أكثر ارتباطاً بعناصر براجماتية توضح وتفسر المقاصد النحوية والدلالية. وبناء على هذا فالخطاب هو القدرات التي تمكننا من اختيار الصيغة التي عن طريقها نوصل أفكارنا إلى الآخرين، وكذلك الصيغة التي نتلقى بها أفكارهم، فهذه القدرات تمكننا من اختيار اللغة، والقواعد والدلالات، والبنى الرمزية المختلفة؛ لتتعالق فيما بينها؛ لتشكيل النصّ.

وبناءً على هذا؛ فإنّ الخطاب يحمل طابع الدينامية والسمة التوليدية، فيؤثر في بناء كل جزء من النصّ دلالياً وقواعدياً. أمّا النصّ فهو الوحدة اللغويّة الكبرى الناتجة عن التفاعلات التي يتحكم بها الخطاب ويوجهها. وإذا كان النصّ الوعاء الذي يستوعب الفكر، فإنّ الخطاب هو القدرة التي تصنع هذا الوعاء؛ لأن المرسل في العملية الخطابية لا ينقل فكراً وحسب، وإنما ينقل

---

(١) يقطين، سعيد. انفتاح النصّ الروائي ص ١٦.

(٢) المرجع نفسه ص ٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فكراً مؤثراً؛ وذلك بقدرته على إبداع مرتكزات أو تقنيات تعطي الحياة للنـــصّ وتجعلـــه أكـــثر تأثيراً.

ويترتب على هذا الأمر، أن الخطاب هو المنتج والمنظم للفكر، والمسؤول عن آليـــــات إيصال الفكر وطرائق الإيصال. أمّا النصّ فهو الإطار الفكري الذي يضم هذا الإنتـــاج وطـــرق الإيصال.

وحينما نقول:"الخطاب وأثره في بناء نحو النصّ" فإننا نقصد بهذا القدرات الذهنية وكذلك القدرات النصيّة وأثرها في بناء نحو النصّ؛ لأن هذه القدرات هي قدرات خطابية، أو مرتكزات خطابية، فالخطاب يؤثر في اختيار اللغة، واللغة تستدعي روابط، لتربط جميع أطرافها، وهـــذه الروابط مرتبطة بوظائف اللغة والدور الذي تلعبه اللغة في تحقيق سلامة التواصل ونجاحه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: بين نحو النصّ ونحو الجملة

يؤكد الباحثون في علم لغة النصّ وجود فوارق دقيقة بين نحو النصّ ونحو الجملة. وسأحاول في هذا المبحث الوقوف على جميع أطراف هذه المسألة. ويقتضي هذا الأمر بحث هذه المسألة ضمن الاتجاهين التاليين:

١. أسباب ميلاد نحو النصّ

٢. المنهج العام للنحوين

وبخصوص المحور الأول أقول: ترتبط شرعية وجود نحو النصّ بمجموعة من العوامل، وهي عوامل دقيقة جداً، ولها ما يسوغها ويسندها، ويمكن إجمال هذه العوامل في ما يأتي:

١. إعادة صلة القربى بين علم اللغة والدراسة الأدبية

وهذا من أهم العوامل وإن لم يصرح به كثير من الباحثين في النصّ وقضاياه. ولقد أشار برند شبلنر ضمنياً إلى هذه القضية، وفي نظره أن الفصل بين علم النحو والدراسة الأدبية كان هدفه تعليمياً في البداية، ولكن هذا الاستقلال أعاق القيام ببحوث جيدة تتناول هذا المجال المشترك[١].

ويذكر شبلنر أن أيسنبرج دعا دعوة صريحة لإقامة نحو يتعدى الجملة؛ لأنه "لا يوجد أي دليل على قصر النحو على الجملة فقط. إن العدد المحدود من نماذج النصوص (مثل إمكانيات التركيب والارتباط بين الجمل في أثناء التتابع) يسوغ قبول آلية إنتاج مجموعة غير

---

(١) انظر: شبلنر، برند. علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م ص ١٥-١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نهائية من النصوص، فدراسة تركيبات النصّ تسهل الوصول إلى الفهم العميق لتركيب الجمل الفردية ..." [1].

وهذا التوجه عبر عنه بعض الباحثين من العرب، وأذكر منهم توفيق الزيدي، الذي يرى أن "كلاً من اللساني والناقد الأدبي مطالبان اليوم بإحكام الصلة بينهما لفك مغالق النصّ"[2]، وكلام الزيدي هذا مهم؛ فإعادة صلة القرى بين علم اللغة والدراسة الأدبية النقدية تحل إشكالات النصّ ومغالقه.

وقد رفض بعض الباحثين هذا التوجه، ودعا إلى ضرورة التخلص من هيمنة الأنموذج اللغويّ في النظر إلى النص، وحجته في ذلك أن هذا يهمش دور الفاعلية الإنسانية في عملية التأويل والإبداع[3]. وهذا كلام غير دقيق. فالنموذج اللغويّ لم يتطفل على المحلل الأدبي، وإنما المحلل الأدبي وجد نفسه في فوضى تعدد وجهات النظر، فلجأ إلى الأنموذج اللغوي؛ ليخلص النصّ من فوضى التأويل، وهذا لا يعني أنني ضد التأويل، فالتأويل ضروري عندما ينطلق من لغة النصّ نفسها.

٢. الرغبة في تحليل النصوص والتراكيب في وقت واحد

وهذا العامل ناتج عن التطور الذي لحق بالدراسات اللغويّة في العقود الأخيرة؛ فظهر اتجاه يدعو إلى ضرورة فهم اللغة ضمن أساليب التعبير، ولقد عبر الدكتور سمير ستيتية عن هذا الاتجاه بقوله:" وقد تنامى توجه اللغويين، في العقود الأخيرة، إلى تحليل النصوص والتراكيب في وقت واحد، وذلك على اعتبار أن اللغة لا يمكن أن تفهم بصورة شاملة ودقيقة، بمعزل عن

---

(١) انظر: شبلنر، برند. علم اللغة والدراسات الأدبية، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م ص ١٧.

(٢) الزيدي، توفيق. أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، (د.ت)، (د.ط) ص ١٠.

(٣) انظر: تامر، فاضل. اللغة الثانية، في إشكالية المنهج والنظرية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤م ص ص ١١-١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهم أساليب التعبير المختلفة في النصّ الواحد، ومقارنة بعضها ببعض، ونشأ عن هذا التوجه ما يسمى نحو النصّ"[1].

٣. عدم كفاية وحدة الجملة لكل مسائل الوصف اللغويّ

ولقد عبر عن هذا الاتجاه غير واحد من الباحثين تعبيراً صريحاً ومباشراً، فوحدة الجملة غير كافية للوصف اللغويّ "إذا ما تعدى الملفوظ به مستوى أكبر وحدة لفظية يشتغل عليها أي الجملة بالزيادة أو النقصان، فتظهر هنا الحاجة إلى جهاز وصف يتجاوز حدود الجملة فيقف على دلالة النصوص والبنية التي تحكمها[2]. ويركز هذا الجهاز على السياق، ويوليه أهمية كبيرة جداً. ويرى برند شبلنر أن ترجمة جملة "كان أزرق اللون" إلى الفرنسية مثلاً، لا تتم بالشكل الصحيح دون الرجوع إلى السياقات السابقة لها، وفي رأيه يمكن توضيح هذه الجملة بطرق متعددة على النحو التالي:

- اشتريت دولاباً، كان أزرق اللون.
- نظر البحار باستحسان إلى السماء، كانت زرقاء اللون.
- أخذت عينة من دم السائق، كان أزرق اللون.

فسياق الجملة هو الذي يوضح القصد ويحدد المراد، يقول شبلنر معلقاً بعد عرضه للسياقات السابقة:" لذا ينبغي لفهم الجملة الأولى "كان أزرق اللون" ووصفها دلالياً تحليل الجملة السابقة على الأقل"[3]. وأحسب أن قوله :"على الأقل" فيه إشارة إلى أن تفسير الجملة المشار إليها لا يرتد إلى السياق اللغويّ السابق لها وحسب، بل إلى السياق غير اللغويّ أيضاً. وهذه العلاقات التي تحكم التراكيب السابقة الذكر يعجز نحو الجملة عن وصفها وتفسيرها. ولكن هذا لا يعني – كما ذكر جميع علماء لغة النصّ – أن نحو الجملة لم يعد له قيمة؛ فنحو الجملة بقيت

---

(١) ستيتية، سمير. منازل الرؤية، (لم ينشر بعد) ص ٢٠.

(٢) الزناد، الأزهر. نسيج النصّ ص ١٦.

(٣) انظر: شبلنر، برند. علم اللغة والدراسات الأدبية ص ١٨٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تصوراته ماثلة في كثير من تصورات نحو النصّ[١].

٤. **توحيد المعايير الضابطة للنصوص** من حيث النوع وجعلها مضبوطة كتلك التي للجملة، وبهذا الضبط يدرس النصّ دراسة علمية قائمة على معايير ثابتة[٢].

٥. تحقيق الفهم الصحيح للنصّ

وبوجود معايير ثابتة في تحليل النصوص يتحقق الفهم الصحيح للنص؛ لأن الإحساس والإغراق التام في تطبيق مبادئ البراجماتية لا يكفي وحده لفهم النصّ، لذا لابد من الاعتماد على نحو النصّ في تحقيق الفهم الصحيح للنصّ[٣]. وبناء الكفاية النصيّة، التي تمكننا من صوغ النصوص وإبداعها وفق قواعد محددة ثابتة[٤]، ولقد ربط "بول دي مان" إمكانية النصّ للإنجاز بنحو ذلك النصّ ربطاً صريحاً"[٥].

هذه هي أهم الأسباب التي أدت إلى نشوء نحو النص، وهي أسباب وجيهة، لابد من الأخذ بها. ولكن نشوء نحو النصّ لا يعني هدم نحو الجملة، بحجة أنه لم تعد الحاجة إليه ملحة إلحاحاً شديداً. إن نحو النصّ كثيراً ما يتكئ على تصورات نحو الجملة ويشتركان في أمور كثيرة. ومن خلال متابعتي لما كتبه كثير من الباحثين، وقفت على أن تصورات نحو الجملة

---

(١) انظر: بحيري، سعيد. علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات ص ١٣٣-١٣٤.

(٢) انظر: الزناد، الأزهر. نسيج النصّ ص ١٧.

(٣) انظر: Van Dijk, Teun & Kintsh, Walter. Strategies of Discourse Comprehension P. 6-11.
& Papegaaij, Bart & Schubert, Klaus. Text Coherence in Translation, Dordrecht, Foris pub, 1988. P. 149.

(٤) انظر: دي بوجراند، روبرت. النصّ والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨م ص ٢٩٩.

(٥) انظر: راي، وليم. المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، ترجمة: يوئيل عزيز، بغداد، دار المأمون، ط١، ١٩٨٧م ص ٢٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بقيت ماثلة في أذهانهم. ولكن هذا لا يعني أن نحو النصّ هو ظل لنحو الجملة، فبينهما فروق منهجية واضحة كما سنرى.

يشترك النحوان في الجانب المنهجي الشكلي لا التحليلي، فغاية النحويين هي:" وصف النظام الذي يقوم به موضوع الدراسة". وهذا الوصف يمثل جانباً منهجياً شكلياً، أمّا الجانب التحليلي فهو أحد الأسس المهمة لنحو النصّ. وهذا لا يعني أنه لا يشكل أساساً لنحو الجملة، لكن ما نجده في كتب النحو هو عبارة عن نماذج تحليلية غير كاملة. وبهذا الخصوص يقول فان ديك (Van Dijk) :" وتعد أهم مهمة لنحو النصّ هي صياغة قواعد تمكننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف للأبنية. ويجب أن يعد مثل ذلك النحو النصي إعادة بناء شكلية للكفاءة اللغويّة الخاصة بمستخدم اللغة في إنتاج عدد لا نهائي من النصوص. ويرى أيضاً أن كتب نحو الجملة القائمة لم تقدم إلاّ نماذج غير كاملة لهذه الكفاءة اللغوية، وأن وصف الأبنية النصيّة يتجاوز وصف جمل متوالية، وأن مستخدم اللغة لا يقنع بقواعد إنتاج الجملة، غير أنه إذا كان عليه أن ينتج نصاً بوصفه بناءً متماسكاً، فإنّ كفاءته اللغويّة يجب أن تتضمن قواعد نصية أيضاً"[1].

فكلام ديك هنا يؤكد الترابط بين النحويين، إلاّ أنه يبين أن مهام نحو الجملة غير مهام نحو النصّ. وما هو مطلوب من نحو النصّ تحقيقه يختلف عما هو مطلوب من نحو الجملة، فالأنحاء السابقة في نظره – وهو محق في ذلك – لم تركز على الدلالة، ولم تربط الجوانب الدلالية بالسياق البراجماتي. وهذا الأمر هو الذي حدا بعلماء لغة النصّ إلى بحث الأبنية اللغويّة شكلاً ودلالة، وربطها ربطاً صريحاً بالسياق البراجماتي، وبالتالي وصفها وصفاً دقيقاً في إطار أوسع وهو نحو النصّ[2].

---

(١) بحيري، سعيد. علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات ص ١٣٦.

(٢) انظر: المرجع نفسه ص ١٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبناءً على ما تقدم فنحو النصّ ليس وصفاً شكلياً للمنظومة اللغوية، كما يظهر في كتابات الأزهر الزناد مثلاً[1]. إنه وصف وتحليل، (دلالي – براغماتي) في آن معاً، كما أن التحليل النصي يختلف عن التحليل الجملي؛ فالأول يضع الجمل في سياقاتها النصية، فالجملة تلقي أضواءها على الثانية. أمّا التحليل الجملي فيقوم على اجتزاء الجملة من سياقها النصي. فالسلوك اللغويّ هنا هو سلوك آلي بحت.

وكما يظهر في أعمال جميع علماء لغة النصّ الذين اعتمدت عليهم في بحثي هذا، فإنّ بحث "مبدأ التماسك النحوي – الدلالي" هي المهمة الأولى لنحو النص، يظهر ذلك في كتابات فان ديك، ودرسلر، روبرت دي بوجراند، وبتوفي وغيرهم. وتقوم مجموعة من العناصر بترسيخ مبدأ التماسك وتوضيحه، ولقد ذكرها الدكتور سعيد بحيري وهي[2]:

١. أبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة.

٢. حالات الحذف والجمل المفسرة والتحويلات الضميرية.

٣. التنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية.

وبعد ذلك علق قائلاً:" وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيراً كاملاً دقيقاً إلاّ من خلال وحدة النص الكلية"[3].

ولقد ركز علماء "نحو النصّ" على دراسة بعض المرتكزات التي تضم العناصر المتقدمة، وهذا ما سيتم بحثه في المبحث الثالث.

---

(١) انظر: الزناد، الأزهر. نسيج النصّ ص ٢٠.

(٢) انظر: بحيري، سعيد. علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات ص ١٣٦.

(٣) انظر: المرجع نفسه ص ١٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث: الوحدة النصيّة (Texteme)

يمكن القول: إن مبدأ الوحدة النصيّة هو المبدأ الأساس لنحو النص، وينظر هذا المبدأ إلى النصّ على أنه وحدة متماسكة، ويحقق هذا التماسك مجموعة من العناصر سيتم بحثها في هذا المبحث، وفي الفصول اللاحقة.

أ. التماسك أو السبك (Cohesion) الالتحام (Coherence).

إن هذين المصطلحين هما المسؤولان عن تحقيق الوحدة النصيّة للنص؛ وذلك بإحداث الانسجام النحوي الدلالي للنصّ وتعميقه. وإذا كان النصّ منسجماً، فإنه يلقى القبول من الآخرين، ويضمن بذلك نجاح الرسالة.

اختلف الباحثون في مدلولات هذين المصطلحين؛ فقد ذهب دي بوجراند إلى أن السبك (Choesion) هو أحد المعايير التي تجعل النصيّة (Textuality) أساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها. وهو في نظره يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية (Surface) على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي (Sequential Connectivity)، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات (Phrases) والتراكيب (Clauses) والجمل، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية (Pro-forms) والأدوات والإحالة المشتركة (co-reference) والحذف والروابط (junctions)"[1].

وهذا يعني أن السبك مصطلح نحوي، يعنى بالروابط النحوية عبر البنية السطحية للنص، أو البنية الصغرى. ولقد صرح بذلك دي بوجراند وكذلك رفيقه درسلر تصريحاً مباشراً، في مؤلف آخر لهما، فقررا "أن السبك مصطلح نحوي يعنى بكيفية ترابط مكونات البنية السطحية نحوياً"[2]. أو كيفية ترابط مكونات البنية النصيّة الصغرى النحوية بحسب نظر "ديك".

---

(١) دي بوجراند، روبرت. النصّ والخطاب والإجراء ص ١٠٣.

(٢) انظر: .De. Beaugrande & Dressler. Introduction to Text Linguistics. P. 3.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمّا الالتحام (Coherence) فهو "يتطلب من الإجراءات ما تنتشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي (Conceptual Connectivity) واسترجاعه. وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص (Class Inclusion) معلومات عن تنظيم يتصل بالتجربة الإنسانية ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النصّ (Text Presented Knowledge) مع المعرفة السابقة بالعالم"(١).

ومما سبق، يتضح أن الالتحام مصطلح دلالي عند دي بوجراند، يتطلب ربط العناصر النصيّة بما هو خارج النصّ من أدوات التنظيم المعرفية. وهذا الربط الدلالي يضمن التحام البنيتين الصغرى والكبرى، أي الربط النحوي والدلالي للنصّ. ولقد عمل "ديك" ورفيقه "كنتش" على توسعة هذا الالتحام، فنقله من الحيز البراجماتي البسيط إلى حيز أوسع، وهو العوالم المشكلة للنصّ كاملة، ممّا يضمن نجاح ربط البنيتين ربطاً محكماً(٢). ويمكن وصف هذه النقلة البراجماتية، بالبراجماتية التشبيكية (المركبة).

ويقرر دي بوجراند أن دلالة هذين المصطلحين، تعاني من تضخم شديد مصدره الخلط في فهم طبيعة الجملة من جهة؛ ولأنك عبر البنية الصغرى للنصّ تلحظ سبكاً والتحاماً من جهة أخرى، وفي عملية ربط البنيتين الصغرى والكبرى نصياً تلحظ السبك والالتحام أيضاً"(٣).

والذي يؤكد كلام دي بوجراند ما ذكره مايك مكارثي ورونالدكارتر، من أن هاليداي وحسن يخصصان السبك (Cohesion) للربط النحوي والدلالي للملفوظات والجمل عبر البنية السطحية. يظهر هذا من نقدهما الموجه لهاليداي وحسن، يقول الباحثان:" إن الربط الذي يقدمه هاليداي وحسن هو ربط بين الجمل والملفوظات على مستوى البنية السطحية، وما نريده هو الاهتمام بعناصر ربط أخرى ضرورية في عملية فهم وتماسك الخطاب وهو ما يطلق عليه

---

(١) دي بوجراند، روبرت. النصّ والخطاب والإجراء، ص ١٠٣..

(٢) انظر: Van Dijk, & Kinstsch. Strategies of Discourse Comprehension. P. 150.

(٣) انظر: دي بوجراند، روبرت. النصّ والخطاب والإجراء ص ١٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالربط الفكري"[١]. وسبب ذلك كما يقرر الباحثان " إن السبك حسب هاليداي وحسن مؤسس على أساس التتابع الجملي، أو ارتباط الجملة بما بعدها سطحياً"[٢].

إن ما جاء به هاليداي وحسن هو بحث في السبك النحوي والدلالي على المستوى السطحي، وما صرحا به من أن "النصّ وحدة دلالية وأننا لا نسمي النصّ نصاً ما لم يحقق مبدأ النصيّة"[٣]. كان تصريحاً مهما، إلاّ أن الإجراءات التحليلية كانت سطحية، وتصل إلى درجة الشكلية في كثير من الأحيان، كحديثهما عن الجانب الإحالي مثلاً وغيره[٤].

وكانت نتيجة التضخم الذي أشار إليه دي بوجراند ما يأتي:

١. أنك تلحظ العالم يناقض نفسه في بعض الأحيان، وهذا ما حدث مع أحد المنظرين لنحو النصّ وهو :"فان ديك" إذ اختار في بعض مؤلفاته مصطلح "الالتحام" ليدل على كافة أنواع الروابط الدلالية؛ لأنه يقر أن الربط الدلالي هو الأساس نصياً"[٥]. وفي بحث آخر له يصرح بأن مصطلحات: (السبك (Cohesion) والالتحام (Coherence) والروابط (Connectedness) كلها روابط دلالية تظهر عبر البنى النصيّة[٦]، فهو يُوحد دلالة هذه المصطلحات وطبيعة عملها.

٢. ظهور بعض الاتجاهات التي تدعو إلى اختيار مصطلح بعينه للدلالة على جميع أنواع الروابط النحوية والدلالية. وهذا ما أكده الباحثان بارت بابيجايج (Bart Papegaaij) وكلاس شوبرت (Klaus Schubert)، فقد ذكرا بأن بوجراند ودرسلر (١٩٨١) قد اقترحا التمييز بين السبك (Cohesion) والالتحام (Coherence) على أساس أن السبك هو: الروابط النحوية في

---

(١) انظر: Mccarthy, Michael & Carter, Ronald. Language as Discourse Perspective for Language Teaching, U. K., Longman group, 1998, P. 90.

(٢) Ibid, P. 61.

(٣) انظر: Halliday & Hasan. Cohension in English P. 2.

(٤) انظر على سبيل المثال: ص ص ٣١-٥٧.

(٥) انظر: Van Dijk, Teun. A. & Kintsch, Walter. Strategies of Discourse Comprehension. P. 149.

(٦) انظر: Van Dijk, Teun. A. Semantic Discourse Analysis, in Van Dijk, Teun (Editor): Hand Book of Discourse Analysis. London L. T. D., Academic press, 1985, Vol. 2. P. 108.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

النص، أمّا الالتحام: فاستعمل للإشارة إلى الروابط الدلالية البراجماتية في النصّ (Semantic Pragmatic Connectedness) ولكن في كتابهما فإنهما يختاران مصطلح (الالتحام) (Coherence)؛ للدلالة على جميع جوانب الربط النحوية والدلالية[١].

وهذا جانب على قدر من الأهمية كبير؛ إذ لا بد من اختيار مصطلح بعينه؛ للدلالة على الروابط النحوية والدلالية، أو أن يتم اختيار مصطلح التماسك؛ ليدل على الربط النحوي مثلاً، ومصطلح الالتحام؛ ليدل على الربط الدلالي. وقد نحسم القضية إذا أخذنا بالرأي الذي ينص على أن "التماسك مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النصّ، إذ تلتحم هذه الأجزاء ويتماسك بعضها مع بعض، بحيث إذا غاب هذا الالتحام، ظهر النصّ وكأنه أشلاء ومزق لا رابط بينها، وللتماسك أهمية كبرى في العمل الأدبي بل في كل عمليات الاتّصال اللغوي"[٢].

ب. أقسام التماسك النصي وطرائقه

للتماسك أقسام حددها العلماء، أمّا طرائقه فكثيرة جداً، وهي في وضع حركي تطوري، فقارئ النصّ الأدبي يكتشف في كل قراءة، طريقة جديدة من طرائق التماسك، ويمكن إجمال أقسام التماسك إلى:

١. التماسك الصوتي: ويحدث حينما تتكرر الحروف، وتكون متقاربة في المخرج والصفة[٣].

٢. تماسك الكلمات أو التماسك المعجمي (Lexical Cohesion) ويعد "الخطوة الأساسية في بناء الجملة، بل هو خطوة مهمة في بناء النصّ كله. فعدم وجود التماسك بين الكلمات يضيع الجملة، وبدونه لا تسمى الجملة جملة ..."[٤].

ويرى هاليداي وحسن أن التماسك المعجمي يختلف عن جميع أنواع التماسك الأخرى؛ لأن جميع الأدوات نحوية تفرض علاقة بين جملتين، أمّا هذا النوع من التماسك فيشكل فصيلة

---

(١) انظر: Pageaaij, Bart and Schhubert, Klaus. Text Chorence in Translation. P. 19.

(٢) ستيتية، سمير. منازل الرؤية، منهج في قراءة النصّ ص ٢٠.

(٣) المرجع نفسه ص ٢٥.

(٤) المرجع نفسه ص ٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة بذاتها قوامها: التكرار (Reiteration) والتضام (Collocation) [1]، ومن التماسك اللفظي قول طرفه بن العبد[2]:

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي وَأَبْكِي إِلَى الغَدِ

فقد كرر الشاعر التركيب (أبكي) مرتين، وهذا التكرار مقصود، هدفه تعميق الإحساس بالحزن الذي يعيشه، فالبكاء مستمر إلى الغد. فهو يؤكد حزنه عبر هذا التكرار، ومن ذلك أيضاً قول عمرو بن كلثوم[3]:

بُغَاةً ظَالِمِيْنَ وَمَا ظُلِمْنَا ولكِنَّا سَنَبْدَأُ ظَالِمِيْنَا

ويلحظ أن الشاعر كرر "الظلم" بصيغ مختلفة، وهذا التكرار جاء مقصوداً؛ لغرض تأكيد قوة الشاعر وقبيلته، فهو يحمل طابع التحذير والتهديد، ولا يخفى أثر التكرار هنا في عملية تماسك البيت.

والتكرار كثير، وسأقف على معظم أشكاله في هذه الرسالة، ولكن قبل الانتقال إلى قسم آخر من أقسام التماسك أود لفت الانتباه إلى أن التكرار ليس كما يتصوره بعض علماء نحو النصّ الذين بحثوا في مبدأ التماسك، وتحديداً ليس كما يتصوره هاليداي وحسن. إن التكرار ليس مقصوراً على التشابه المعجمي والترادف، أي أنه ليس مقصوراً على الجانب الملفوظ المحسوس، بل هناك نماذج من التكرار أقوى من النماذج التي ذكرها كل من هاليداي وحسن. إنه التكرار الذي يعتمد على "العود الذهني"، أي تكرار صيغ متشابهة في القالب ومختلفة في الدلالة والمعنى مثل صيغ التشابه اللفظي، ومن ذلك قول عنترة بن شداد:

ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ[4]

---

(١) انظر: Halliday, M.A.K. & Hasan, Ruqaiya. Cohesion in English. P. 278.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مصر، دار المعارف، ط٢، (د.ت) ص ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه ص٤٢٧.

(٤) المصدر نفسه ص ١٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن التشابه بين (ممعن، ومستسلم) هو تشابه في العود الذهني لصيغة اسم الفاعل، هـــذا رباط أقوى من التشابه اللفظي التام.

وهناك أنواع أو أقسام أخرى للتماسك، لا أريد الإطالة هنا فـــي الحديـــث عنـــها؛ لأن الفصلين الثاني والثالث، يأتيان لتوضيح جميع أنـــواع الروابـــط النصيـــة النحويـــة والدلاليـــة والسيميولوجية.

وبشأن طرائق التماسك وأساليبه أقول: إن طرائق التماسك وأساليبه كثيرة، ولكن يمكـــن أن أستعرض ما قرره الدكتور سمير ستيتية، وبناء على هذا فإن التماسك يظهر علـــى النحـــو التالي:

" ١. أن يكون عنصر من عناصر النص مقدمة لعنصر آخر، وذلك كأن يكون تركيـــب ما مقدمه للتراكيب اللاحقة، بأن يكون سببا لها، أو أن يكون الحدث في هذا التركيب، سابقا مـــن ناحية التركيب الزماني أو المكاني، أو يكون اللاحق جزءا من السابق أو متمما له، أو أن تكـــون التراكيب اللاحقة مزيد بيان وشرح وتفصيل، بأن تكون هناك مقابلـــة أو مقارنـــة صريحـــة أو ضمنية بين شيئين، أو بأن يكون تخصيصا لعام يأتي هو بعده، أو بأن يكون توضيحا لمبهم"[١].

وجميع هذه المظاهر تتضمنها نصوص المعلقات؛ ولأجل الإيجاز – لأن معظـــم هـــذه المظاهر ستبحث في الفصول اللاحقة بمشيئة الله – سأمثل في هذا الجزء من البحـــث لظـــاهرة التفصيل، فهذه الظاهرة لها علاقة وطيدة في عملية تماسك النص، ومن ذلك قول امرئ القيس:

وواد كجـــوف العـــير قفـــر قطعتـــه ... بـه الذئـب يعـوى كـالخليع المعيـل[٢]

فقلـــت لـــه لمـــا عـــوى إن شـــأننا ... قليـل الغنـى إن كنـت لمـا تمـول[٣]

كلانـــا إذا مـــا نـــال شـــيئا أفاتـــه ... ومـن يحـترث حرثـي وحرثـك يـهزل[٤]

---

(١) ستيتية، سمير. منزل الرؤية، منهج في قراءة النص ص ٢١.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٨٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٨١.

(٤) المصدر نفسه ص ٨١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فما أظن أن الشاعر قد جاء بالتراكيب المتداخلة (به الذئب يعوي كالخليع المعيـــل)؛ إلاّ لغرض جعلها أساساً للتفصيلات التالية لها؛ وليصنع حواراً بينه وبين الطبيعة الممثلة بالذئب، ولا يخفى ما لهذا الصنيع من أثر في تماسك الأبيات بعضها مع بعض.

ويظهر التماسك فيما يسميه الدكتور سمير ستيتية بـــ "تداعي الأفكار" ومعنى هـــذا "أن يكون هناك نوع من تداعي الأفكار بين تراكيب النص"[1] وذلك كقول عمرو بن كلثوم:

تَذَكَّـرْتُ الصِّبَـــا واشْـــتَقْتُ لَمّـــا رَأَيْـتُ حُمُولَـهَا أُصُـــلاً حُدِيْنَـــا[2]

فالتركيبان (تذكرت الصبا، واشتقت) يتعالقان مع التركيب (لما رأيت حملها)، أي رؤيته للإبل الحاملة أثاث المحبوبة في وقت العشاء؛ ذكرته بأيام الصبا واللهو والشباب وجعلته يشتاق، فحدث الربط هنا بواسطة تداعي الأفكار، ويعمق هذا التداعي رابط دلالي آخـــر وهـــو رابـــط السببية، وهناك شواهد كثيرة على ذلك، وحسبي ما قدمت.

إذن فالتماسك هو قوام النصية، ولقد تعددت وجهات النظر تجاه الوحدة النصية، وظهرت اتجاهات مختلة، بعضها يناقض الآخر ويحاول هدمه، وهذا ما سيتم بحثه فيما يلي.

ج. النصيّة من منظورات مختلفة

قبل أن أبدأ بعرض وجهات النظر حول مبدأ "الوحدة النصيّة"، أود الإشارة إلى أن هـــذا الأمر مستنتج من بعض الآراء استنتاجاً، والكثيرون من الباحثين لم يصرحوا بذلـــك تصريحـــاً مباشراً. وعلى أية حال، يمكن تحديد الاتجاهات الخلافية في مبدأ الوحدة النصيّة فيما يلي:

١. الاتجاه الشكلي

ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى النصيّة على أنها لازمة نصية، فالنص هو الذي يحيـــي هذه اللازمة، وهم بهذا الاتجاه – كما يقول أحد الباحثين المعاصرين – يجعلون الســـلطة العليـــا

---

(١) ستيتية، سمير. منازل الرؤية، منهج في قراءة النصّ ص ٢٣.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للنص[1]، والنص بناءً على ذلك بنية منغلقة على نفسها غير خاضعة لجوانب الإبداع الأدبي مثل أثر القارئ والمبدع والظروف أو العوالم المشكلة للنصّ.

ويذكر صلاح فضل أن نظرة الشكليين هذه تنبع من اتجاههم العام القائم على رفض التفرقة بين الشكل والمضمون تقليدياً، فهم رفضوا الشكلية التقليدية التي تعتبر الشكل إناءً يحتوي المضمون[2]، مؤكدين بذلك "أن الوقائع الفنية ذاتها تشهد على أن الفوارق المميزة الخاصة بالفن لا تتمثل في نفس العناصر الداخلة في تكوين العمل الفني وإنما في الكيفية التي يتم استخدامها بها. وبهذه الطريقة فإنّ فكرة الشكل تكتسب معنى مختلفاً ولا تحتاج لفكرة أخرى مكملة لها"[3].

ووصلوا بناءً على ما تقدم إلى نتيجة مؤداها أن الشكل هو مضمون بذاته، وأن الإحساس به ينبع من بعض العمليات الفنية التي تستهدف إشعارنا به[4]، وترتب على ذلك رفضهم أي فكر خارج النصّ. لقد قتل هذا الاتجاه الجانب الدلالي وأثره في تماسك النص، بعد أن رفضوا أي عنصر براجماتي قد يخدم التماسك النصي.

إن وجهة النظر هذه قاصرة عن تفسير بعض جوانب العلاقات النصية، التي لها مساس كبير بالمضمون. ولهذا قال الرغيني:" إنما سميت شكلية لأنها لم تعد سوى تعبير خال من كل مضمون"[5]. كما أنها قاصرة عن تفسير كيفية ترابط النصّ الذي يضم خطابات متعددة الأغراض، مثال ذلك: القصيدة العربية القديمة، وخصوصاً الشعر الجاهلي، إذ نلحظ أن الشاعر يبدأ بالوقوف على الأطلال وبكاء الدّيار ومن سكنها، ثم ينتقل بعد ذلك لوصف الناقة ثم الخلوص إلى الهدف الأساس من مدح وهجاء...الخ. السؤال: كيف تترابط هذه الخطابات داخل النص؟

---

(١) انظر: ثامر، فاضل. اللغة الثانية ص ٤٣.

(٢) انظر: فضل، صلاح. نظرية البنائية في النقد الأدبي، العراق، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، ١٩٨٧م ص ٥٧.

(٣) المرجع نفسه ص ٥٩.

(٤) المرجع نفسه ص ٥٩.

(٥) الرغيني، محمد. محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، ١٩٨٧م ص ١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لابد من إدخال بعض التصورات حول الأجزاء الأساسية المشكلة لجسم النصّ، وإهمال هذه التصورات يخرجنا عن الحقيقة والصواب؛ وذلك بعدم فهم النصّ فهماً سليماً.

وصفوة القول: إن الشكل وحده يجب ألا يشكل غاية في ذاته، فهو وحده لا يحدث التماسك للنصّ، إذ لا بد من ربطه ببعض الملامح الدلالية والبراجماتية، ليحقق التفسير الدقيق للنصّ، ونتيجة لقصور هذا الاتجاه ظهر الاتجاه المضاد (الاتجاه البنيوي)، وإن لم يركز على الجانب البراجماتي.

٢. الاتجاه البنيوي والوحدة النصيّة

أهم ما جاء به هذا الاتجاه هو التركيز على مسألة الأنساق اللغوية، وتأكيد مبدأ العلاقات. وصحيح أن البنيوية تبدأ من النصّ وتنتهي إليه، إلاّ إنها لم تغفل الجانب الدلالي[١]، وهي هنا تختلف مع الشكلية التي لم تُعر أي اهتمام إلى الجانب الدلالي للتراكيب، وإن اتفقت معها في مسألة البدء من النصّ والانتهاء إليه.

يقول فاضل ثامر:" وانطلقت البنيوية من إيمان عميق بأن النصّ يكشف عن بنية محددة وعن نسق أو مجموعة انساق وأنظمة محددة، وأن وظيفة القارئ وكذلك الناقد، تتمثل في الكشف عن شفرة النصّ وأنساقه المختلفة. ولذا فالقارئ يظل محكوماً بالنص ذاته، وبقدراته الداخلية، أي أن القارئ لا يحق له أن يضيف شيئاً من عندياته إلى النصّ. فالنص واحد وكذلك أبنيته وأنساقه والقراءة الصحيحة هي التي تقدر – حسب المنظور البنيوي – التوصل إلى أسرار النصّ الداخلية"[٢].

وبحسب هذا الاتجاه، فإنّ التماسك النصي بكيفياته المختلفة والذي يحقق الوحدة النصية، ينبع من صميم النصّ نفسه، دون النظر إلى العوالم المشكلة للنص، فالتماسك يحدث بفضل السياقات اللغويّة نفسها، وتحليل أنساق هذه السياقات، وإبراز العلاقات فيما بينها. وبناءً على هذا

---

(١) انظر: فضل، صلاح. نظرية البنائية في النقد الأدبي ص ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) ثامر، فاضل. اللغة البنائية ص ص ٤٣-٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاتجاه، فإنّ الوحدة النصيّة تتحقق عن طريق تحديد العلاقات فيما بين الأنساق السياقية المختلفة داخل النصّ.

ويبدو أن ما قدمه ياكوبسون في تناوله لمصطلح الشعرية أو الأدبية هو بحث في جوانب التماسك (البنيوي – الدلالي)، وبخاصة تناوله لمشكلات التعبير، والنظر إلى تكامل الصوت والمعنى في كل لا يقبل التجزئة(١).

وهناك حقيقة لابد من تقريرها ومفادها: أن الأنساق النصيّة التي يركز البنيويون عليها، لا تكفي وحدها في كثير من الأحيان لتفسير بعض جوانب التماسك النصي، فتراهم يفرون إلى بعض القيود البراجماتية؛ لتحقيق هذا لغرض. وآية ذلك أن هاليداي وحسن وهما يمثلان الاتجاه البنيوي الوظيفي في المدرسة الإنجليزية، قد ركزا في تحديدهما لمصطلح "النصيّة" على ضرورة ربط القيد المضموني بسياق الموقف، فتصور النصيّة عندهما يقوم على :(التماسك + القيد) (Cohesion + Register ⇒ Text "Texture")(٢). وهذا مرتبط أساساً بـ المقام أو سياق الموقف.

إن بعض جوانب التماسك النصي لا يمكن تحقيقها دون العودة إلى بعض الجوانب البراجماتية، والمتضمنة للسياقات النصيّة بجميع جوانبها المعرفية، ولتأكيد ذلك أقول: إنّ الأبيات التالية ليس لها قدرة على التماسك من تلقاء نفسها، دون أن نعود – نحن القراء – إلى الجانب المخزون في وعينا الثقافي، يقول الحارث بن حلزة اليشكري:

أيُّهَا النَّاطِقُ المُرَقِّشُ عَنَّا ... عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ؟(٣)

لا تَخَلْنَا عَلَى غَرَاتِكَ إِنَّا ... قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الأَعْدَاءُ(٤)

---

(١) انظر: فخر الدين، جودت. في لغة الشعر والبحث عن الشعرية، مجلة نزوى، عدد ١٢، ١٩٩٧م، ص ص ٤٨-٤٩.

(٢) انظر: Halliday & Hasan. Cohension in English. PP 23-37.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٥٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٥٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فَبَقِيْنَـــا عَلَـــى الشَّـــنَاءَة تُنْمِيْـــ ـــنَـــا حُصُـــونٌ وَعِـــزَّةٌ قَعْسَـــاءُ[1]

قَبْـلَ مَـا الْيَـوْمِ بَيَّضَـتْ يعُيُـونِ النَّـ ـــاسِ فِيْـــهَا تَغَيُّـــظٌ وَإِبَـــاءُ[2]

وكَـــأَنَّ الْمَنُـــونَ تَـــرْدِي بِنَـــا أَرْ عَـــنَ جَوْنَـــاً يَنْجَـــابُ عَنْـــهُ العَمَـــاءُ[3]

مُكْفَـــهِرًّا عَلَـــى الحَـــوَادِثِ لاَتَـــرْ تُـــوُه للدَّهْـــرِ مُؤْيِـــدٌ صَمَّـــاءُ[4]

إن المنظور البنيوي يتعامل مع "الناطق" الذي ورد ذكره في البيت الأول وكأنه عنصر معجمي كباقي العناصر النصيّة، أي أنه ينصرف إلى الروابط الظاهرة، كما أنه لا قدرة له على تفسير الاستئناف في (فبقينا..) و (وكأن)، فتبدو التراكيب وكأنها غير متصلة، إلاّ أن اعتماد السياق غير اللغويّ هنا – والمتمثل في الظروف التاريخية والنفسية (ظروف الحرب) التي يحياها هو وقبيلته، ووشاية عمرو بن كلثوم ضد الشاعر وقبيلته عند الملك عمرو بن هند – هو الذي يعطي هذه الأبيات خصيصة التماسك، كما أن هذا الشيء هو الذي جعل الاستئناف هنا أقوى من الوصل بواو العطف نفسها أو الفاء، فالأبيات جمعيها تدور حول "وشاية عمرو بن كلثوم"، وتمثل ردة فعل من قبل الشاعر.

ومن هذا المنطلق يسعفنا الاتجاه البراجماتي في بعض الأحيان في فهم النص، والفهم الصحيح للنصّ يعني أنه متماسك، وإذا كان النصّ متماسكاً فإنه يشكل "وحدة نصية" كبرى من الصعب أن يعتريها خلل أو نقص؛ ولهذا نشأ الاتجاه (البراجماتي).

٣. الاتجاه البراجماتي والوحدة النصيّة

تقوم البراجماتية اللغويّة بتقنين العلاقات بين المعنى والسياق، وتحاول الفصل بينهما فصلاً مؤقتاً[5]، ومن هذا المنطلق، تنظر البراجماتية إلى "الوحدة النصيّة" على أنها حاصل ربط

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٥٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٥٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٦٠.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٦٣.

(٥) ستيتية، سمير. منازل الرؤية، منهج في قراءة النصّ ص ١١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النصّ بسياقاته المختلفة، فالتماسك لا يحدث للنصّ من تلقاء نفسه، بل من خلال ربط النصّ بالعوالم المشكلة له؛ "لأنه لم يَعُدْ يُكْتَفَى بعلم يدرس العناصر اللغويّة فحسب، بل لوحظ أن العناصر غير اللغوية لا تقل أهمية عن العناصر اللغويّة، وبالتالي يمكن إدراجها في الوصف ولا يتوقف علم النصّ على ما يقدمه النحو من وصف دقيق للنظام اللغويّ المجرد، بل يبحث عن كيفية اكتساب هذا النظام وتحديد القواعد والعمليات المعرفية التي يتم من خلالها"(١).

وقد أخذ علماء نحو النصّ – وعلى رأسهم فان ديك – كثيراً من مبادئ البراجماتية، وطبقوها على نحو النصّ. من أجل البحث في كيفية ترابط النصّ بجميع مكوناته، ويرى فان ديك أن البراجماتية جاءت لوصف دور الملفوظات في السياق باعتبارها أحداثاً كلامية، بعد أن كانت المحاولات القواعدية السابقة تصف الجملة معزولة عن السياق(٢). وهذا الاتجاه هو الذي أدى إلى تطوير المنهج البراجماتي؛ ليضم بالإضافة إلى ما تقدم "دور الملتقي والموقف وهدف النصّ والمقام ونوع المعلومات المطروحة وأنواع التفاعل وكيفية التواصل، وغير ذلك مما يتعلق بالعلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"(٣).

ويترتب على ما تقدم أن البراجماتية لا تنظر إلى النصّ على أنه وحدة منغلقة على نفسها، بل وحدة قابلة للتفاعل مع سياقاتها المختلفة (أي بنية مفتوحة). وهذا التفاعل وكذلك الانفتاح هما اللذان يساعدان – كما يرى أحد الباحثين – في تحديد البؤرة أو القصد؛ مما يضمن الفهم السليم للنصّ(٤). ولأجل تحقيق ذلك أيضاً، ركز فان ديك على ربط الجانب اللغويّ بالجانب الدلالي وعدم الفصل بينهما، فكل منهما يخدم الآخر، ولقد ربط ربطاً صريحاً الوحدات الدلالية النصيّة بثلاثة عوامل(٥):

---

(١) بحيري، سعيد. علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات ص ١٤٦.

(٢) انظر: Van Dijk, Teun. A. Inroduction: Level and Dimension of Discourse Analysis, in Van Dijk, Teun A. (Editor): Hand Book of Discourse Analysis Vol. 2, P. 2.

(٣) بحيري، سعيد. علم لغة النصّ: المفاهيم والاتجاهات ص ٣١.

(٤) انظر: Ferrara, Allessandro. Pragrmatics. In Van Dijk, Teun. A. (Editor): Hand book of discourse analysis, V. 2 PP. 142-143.

(٥) انظر: Van Dijk, Teun & Kintsch, Walter. Strategies of Discourse Comprehension. PP. 6-11.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. القاعدة النصيّة (Text base).

٢. قابلية النصّ للقراءة والتحليل (Readability).

٣. البنى المعرفية أو المعارف السابقة (Back ground knowledge).

وهو بهذا الربط يخضع الجانب النحوي أيضاً لهذه العوامل؛ لأن النحو عنده ليس كياناً منغلقاً على نفسه، كما أن المرتكز النحوي عنده مرن إلى أبعد حد(١). إن مبدأ المرونة القواعدية الذي يصرح به ديك كان مقصوداً، وكان دقيقاً في طرحه هذا؛ لأنه يجعل النصّ بنية منفتحة قابلة للتأويل. وكانت حصيلة أبحاثه المتفرقة أن السياقات المعرفية هي التي تفسر الأحداث والأفعال والعبارات والترابط (التماسك) الحاصل بينها(٢).

والانتقاد الذي يمكن أن يوجه لاتجاه ديك، أنه جعل السلطة العليا لمبدأ "المعرفة السابقة" أو "نظرية المعرفة" ومبدأ العوالم المشكلة للنص، فهو ينطلق في بحثه لمبدأ التماسك من البنية المعرفية لا البنية النصية، فهو يقحم الاتجاهات المعرفية إقحاماً، فلا يجعل النصّ يستدعيها. وهذا الانتقاد مدعم بمذهب روبرت دي بوجراند والذي ينص على أن لغة النصّ، أي "النصّ نفسه" هي التي تستدعي الجانب المعرفي(٣)، بمعنى أن دي بوجراند يؤكد ضرورة البدء من النصّ والانتقال إلى ما هو خارج دائرة النصّ. وأنا أؤيد اتجاه دي بوجراند هذا؛ فنحن نلجأ إلى السياق غير اللغويّ حينما لا يسعفنا السياق اللغويّ في تفسير بعض المظاهر التي تسهم في تماسك النصّ؛ لأن الانقياد التام لما هو خارج النصّ قد يوقعنا في فوضى التأويل، فنخرج بنتائج بعيدة عن الصحة والضبط؛ ولتأكيد دور السياق غير اللغويّ والمستدعى من لغة النصّ نفسها في تماسك النص، لنقف عند قول زهير بن أبي سلمى:

---

(١) انظر: Van Dijk, Teun & Kintsch, Walter. Strategies of Discourse Comprehension. P74.

(٢) Ibid. P. 76.

(٣) انظر: De Beaugrande, Robert. Text Linguistics in Discourse Studies. In Van. Dijk. Teun. A. (Editor): Hand book of Discourse Analysis. V. 1. P. 54.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لَعَمْـرُكَ مَـا جَـرَّتْ عَلَيْـهِمْ رِمَاحُـهُم دَمَ ابْـنِ نَـهِيكٍ أَوْ قَتِيْـلِ المُثَلَّـمِ[1]

وَلاَ شَارَكَتْ فِـي الْمَوتِ فِي دَمِ نَوفَل وَلاَ وَهَـبٍ مِنْـهَا وَلاَ ابْـنَ المُحَـزَّمِ[2]

إن التماسك في هذين البيتين يتحقق بالنظر في صحة القسم أو عدمها؛ لأن تحديد هـذا الغرض؛ يؤدي إلى فهم هدف الشاعر، وصحة القسم، لا تتحقق من خـلال السـياق اللغـويّ، فالسياق اللغويّ هنا عاجز عن ذلك؛ لذا فإنّ لغة النصّ، تستدعي المتابعة الجادة لقصـة هـؤلاء المقتولين، ومن ثم معرفة الحقيقة، التي قد توصلنا إلى صدق القسم هنا. وهذا يعني أن لغة النصّ تستدعي السياق غير اللغويّ، وذلك نتيجة لقصور السياق اللغويّ في هذا الموقـف. ويتضمـن السياق غير اللغويّ معرفة تاريخية تؤكد أن هؤلاء المذكورين قتلوا قبل الحرب التي دارت بيـن عبس وذبيان، ولكن بعد دخول الحرب جعلتهم قبائلهم من المقتولين في الحرب، وذلـك لأخـذ الديات[3]. وبهذه الرواية يتأكد صدق القسم. ولما كان الأمر كذلك؛ فإنّ الشاعر يضمن سـلامة التأثير في المتلقين، وفهم النصّ فهماً صحيحاً. وإذا تم ذلك؛ فإنّ النصّ يكون متماسكاً وتتحقـق وحدته النصيّة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه ص ٢٧٩.

وصفوة القول إن الوحدة النصيّة تتحقق بالنظر إلى مبدأ التماسك على أنه مرن، وديناميّ، وشامل للعلاقات النحوية والدلالية في آن واحد، وأنه قد يتحقق من خلال المدلولات النصيّة نفسها، ومن ربط هذه المدلولات بسياقاتها غير اللغويّة، بحسب المقتضى، فلا نقحم أي اتجاه من الاتجاهات السابقة على النصّ إقحاماً.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع: إشارات نصية في كتب النحو العربي القديم

لقد عرف النحو العربي القديم بعض مضامين نظرية النص؛ ففي كلام كثير من النحويين إشارات نحوية يلحظ فيها التركيز على مبدأ "الترابط"، أي ربط التركيب السابق باللاحق؛ وفي هذا الترابط يكمن المعنى الحقيقي لهذه التراكيب، وبوساطته أيضاً يبرز النحوي مذهبه، فتبدو المنطقية واضحة في كل ما يذهب إليه.

يحتوي عدد كبير من كتب النحو ابتداءً من كتاب سيبويه وحتى حاشية الصبان على عدد غير قليل من الإشارات التي يمكن أن تندرج ضمن ما نسميه نحن الآن نحو النصّ. إلاّ إنها إشارات مبعثرة هنا وهناك، بحاجة إلى جمع وتصنيف، وعلى أي حال، يمكن تصنيف هذه الإشارات إلى صنفين:

١. إشارات تترابط تراكيبها نصياً (بوساطة السياق اللغويّ).

٢. إشارات تترابط تراكيبها بما هو خارج النصّ (بوساطة السياق غير اللغويّ).

وسأقف في هذا المبحث على كل صنف منهما، ذاكراً ومحللاً لكل ما يوضحه.

١. الإشارات التي تترابط تراكيبها نصياً

يتم الترابط بين التراكيب دون الإحالة إلى ما هو خارج السياق اللغوي، فالترابط ينبع من صميم السياق اللغويّ نفسه، ومن ذلك قول الجرجاني في (واو الحال) [١]:"... وتسميتنا لها "واو الحال" لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لضم جملة إلى جملة، ونظيرها في هذا الفاء في جواب الشرط نحو (إن تأتي فأنت مكرم)، فإنها وإن لم تكن عاطفة فإنّ ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لتربط ليس ما شأنها أن تربط بنفسها".

---

(١) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح وطبع: السيد محمد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، (د.ت)، (د.ط) ص ١٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهو هنا يشير إشارة صريحة إلى أن واو الحال؛ جاءت لتربط بين جملتين ربطاً محكماً. وزيادة على هذا، عمل الجرجاني على قياس الفاء الواقعة في جواب الشرط على واو العطف، فهي أيضاً تقوم بربط جملة الشرط بجواب الشرط. وهذه إشارة دقيقة، تثبت لنا وعي الجرجاني بالروابط التركيبية وعياً تاماً.

وقد وجدت النحويين المتقدمين يعللون لأسباب الترابط (التماسك). وهذا التعليل دقيق المسلك، فهم يؤكدون من خلال ذلك صحة المعنى، أي يريدون إبراز فلسفة هذا الترابط، يظهر ذلك في قول ابن يعيش :"قد تقدم قولنا أن خبر المبتدأ إذا وقع جملة فعلية كانت أو اسمية أو شرطية أو ظرفية، فلا بد فيها من ضمير يرجع إلى المبتدأ يربطها بالمبتدأ، لئلا تقع أجنبية من المبتدأ إذا كانت غير الأول ..."[1].

فهو يعلل سبب اشتراط وجود الضمير في الجملة الخبرية، وهذا التعليل نابع من منطق صحيح؛ فالضمير وجد أساساً لربط الجملة الخبرية بالمبتدأ، وعدم وجود الضمير وعدم تقديره، يظهر الجملة الخبرية أجنبية عن المبتدأ. وهنا لا يتحقق الإخبار، بل تضيع هوية الإخبار، فنكون أمام ألفاظ مبعثرة لا رابط بينها، إذن فالرابط يقوم بمهمتين الأولى لفظية، وتتضمن ربط الجملتين، والثانية دلالية، وتتضمن سلامة الإخبار.

ولقد كانوا على وعي تام بطرائق الربط، ففي الوقت الذي يشترطون فيه وجود رابط ملفوظ، نجدهم قد يستغنون عن الرابط الملفوظ؛ وذلك لوجود رابط أسمى منه، وهو الرابط الذهني، يظهر ذلك في بعض صور التعليق الشرطي، يقول الأشموني :"ولما فرغ مما يجزم فعلاً واحداً انتقل إلى ما يجزم فعلين فقال: واجزم بأن وما ومهما أي متى أيان أين إذ إذ ما وحيثما إن) فهذه إحدى عشرة أداة كلها تجزم فعلين نحو (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه

(١) ابن يعيش، موفق الدين يعيش. شرح المفصل، لبنان، بيروت، عالم الكتب، (د.ت)، (د.ط) ٩١/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يحاسبكم به الله) [البقرة: ٢٨٤]، (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) [الأعراف: ٢٠٠]، ونحو (من يعمل سوءاً يجز به) [النساء: ١٢٣]، (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) [البقرة: ٢٨٤]..." (١).

فهذه الآيات تجزم فعلين، وتترابط هذه التراكيب التي تتضمنها الآيات الكريمة فيما بينها، ليس بفضل أداة الشرط، وإنما بفضل التصور العام لمسألة الشرط. هذا التصور القائم على أسس منطقية قائمة على عنصري السبب والنتيجة، فالترابط الحاصل فيما بين تراكيب الآيات السابقة ينبع من كون العلاقة فيما بين فعل الشرط وجوابه علاقة سببية، وهي علاقة منطقية وهذا لا يعني أن "الفاء" الواقعة في جواب الشرط لا أهمية لها. إن لها أهمية كبيرة – كما ورد عند الجرجاني في الإشارة السابقة – ولكن هذا الأمر مرتبط بطريقة التفكير النحوي العربي من جهة، وبالشواهد السماعية من جهة أخرى.

ب. الإشارات التي تترابط تراكيبها بما هو خارج النصّ

يتم الترابط هنا بربط التركيب أو مجموعة التراكيب بما هو خارج السياق اللغوي، إذ يلجأ اللغويّ إلى المقام لتفسير الظاهرة اللغويّة. ويكثر هذا في أبواب الحذف، فالعملية التقديرية مرتبطة بالمقام، ودون المقام (القيد البراجماتي) لا يتم التقدير، وبالتالي لا تتحقق صحته، ومن ذلك قول سيبويه في باب "ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي"، وذلك قولك، إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهة الحاج، قاصداً في هيئة الحاج، فقلت: مكة ورب الكعبة. حيث زكنت أنه يريد مكة، كأنك قلت: يريد مكة والله"(٢).

إن ما ذكره سيبويه في هذا النصّ هو قيود براجماتية، فهو يقدر المحذوف (يريد) بناءً على المقام، فالمقام هو الذي يخبر بذلك. ولم يكتف سيبويه بالإشارة إلى المقام، بل عمل على

---

(١) الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبّان على شرح الأشموني، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م ٤/١٤-١٥.

(٢) سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب، كتاب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٨٨م ١/٢٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رسم المقام بكل تفاصيله، فكأننا أمام المشهد الذي يرسمه، وارتباط هذا التركيب بالمقام المحـــدد هو الذي يجعل منه نصاً.

ومن ذلك أيضاً قول الزمخشري:" ويقولون الأسدَ الأسدَ والجدارَ الجدارَ والصبيَّ الصبيَّ إذا حذروه الأسد والجدار المتداعي وإبطاء الصبي ومنه أخاك أخاك أي: الزمه والطريق الطريق أي خله....." [1].

وتقدير المحذوفات هنا يعتمد على المقام، فالمقام هو الـــذي يحـــدد طريقـــة التحذيـــر، والمحذوف هو احذر، وقول الزمخشري (إذا حذروه) هو الذي يعطي التماسك لهذه الـــتراكيب، وذلك بربطها بمقام التحذير. وما ينسحب على هذه التراكيب ينسحب على سائر التراكيب..

فهذه إشارات قليلة تثبت أثر السياق غير اللغويّ في بناء الترابط النصي. وهذه السياقات متنوعة وكثيرة جداً، ولإثبات تنوعها أسوق تعليقاً للصبان ذكره بعد أن نظر في كلام الأشـموني والذي يتضمن أن (لو) لا يليها فعل مضمر إلاّ في ضرورة أو نادر كلام كقول حاتم (لـــو ذات سوار لطمتني)، أمّا نصه :" قوله (كقول حاتم) أي حين لطمته جارية وهو مأسور فـــي بعـــض أحياء العرب وسبب اللطمة أن صاحبة المنزل أمرته أن يفصد ناقة لها لتأكل دمها فنحرها فقيـــل له في ذلك فقال هذا قصدي فلطمته الجارية فقال: لو ذات سوار لطمتني وذات السوار الحرة لأن الإماء عند العرب لا تلبس السوار وجواب لو محذوف تقديره لهان علي ذلك"[2].

ومعنى هذا أن تقدير جواب (لو) المحذوف تم اعتماداً على السياق الاجتماعي، وارتبـــاط هذا التقدير ببعض الحقائق التاريخية أيضاً، فالحقائق الاجتماعية والتاريخية هي التي تجعلنا نقدر جواب لو بـــ لهان علي ذلك؛ وذلك لأنه ليس من السهل أن نتصور أن حاتماً يقبل أن تضربـــه جاريته وانه يتمنى الضربة من عربية أصيلة تلبس سواراً، لكون الجواري لا يلبسن سواراً.

---

(١) ابن يعيش، موفق الدين. شرح المفصل ٢٩/١.

(٢) الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبان ٥٦/٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

الروابط التركيبية النصية في المعلقات السبع

- مدخل
- المبحث الأول: الوصل ومظاهره
- المبحث الثاني: الإسناد ومظاهره
- المبحث الثالث: الإحالات النصية
- المبحث الرابع: بعض جوانب الربط الذكري

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مدخل

تناولت في الفصل السابق بعض الجوانب الأساسيّة التي تخصّ الخطاب والنص ونحو النص. وذكرت أن الخطاب هو القدرات التي تمكننا من اختيار الصيغة التي نوصل بها أفكارنا إلى الآخرين، وكذلك الصيغة التي نتلقى بها أفكارهم. وهذا يعني أن الخطاب هو الذي يحدّد مسارات اللغة، وقواعدها، ودلالاتها؛ لتتعالق فيما بينها؛ لتشكيل النصّ.

وبناءً على هذا التصوّر، يقوم الخطاب بتحديد "الذاكرة النصيّة"[١]؛ لأن لكل نص ذاكرة، تحتضن أفكاره وقواعده، وتكون قويّة بتماسكه، وضعيفة بتفككه وانحلاله. وتعمل القواعد النصيّة على بناء النص بصورة متماسكة، وفقاً لمبدأ المؤازرة في العمل؛ لبناء نماذج نحويّة صحيحة للنص، وتعني المؤازرة دعم الروابط التركيبيّة اللفظية منها والذهنية بعضها بعضاً في عملية تماسك النص وانسجامه. ويأتي هذا الفصل؛ لإبراز أثر هذه الروابط في تماسك النص وهي:الوصل، والإحالة، والإسناد، وبعض جوانب الربط الذكري.إذ تعمل هذه الروابط جميعها على ربط التدويمات النصيّة[٢] بعضها ببعض، وتوجيهها، مما يضمن سلامة الفهم وصحة التلقي. قبل البدء ببحث هذه الروابط أقول: إنّ هذه الروابط مجتمعة تُسْهِم في بناء ما يُسَمّى بـ: (الكفاية النصيّة)، والتي تقوم على التماسك النصّي؛لأن داعي الكفاية النصيّة الأساسي عند علماء نحو النص هو الوصول إلى طرائق وكيفيات التماسك النصّي[٣]. وفيما يلي بحث لهذه الروابط.

---

(١) مصطلح الذاكرة النصيّة هو بديل لمصطلح كنتش ذاكرة العمل(Working memory). انظر:
Kintsch, Walter. (How readers construct situation models for studies: (the Role of Syntactic Cues and Causal Inferences). In: Gernsbacher, Morton Ann and Givon, T. (Editors): (Colterence in spontaneous text). A companion series to the journal "Studies in Language". John Benjamins Publishing Company Amsterdam/Philadelphia,1995. Vol 31. P141

(٢) سيتم تحديدها لاحقاً.

(٣) انظر: دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء ص٢٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: الوصل ومظاهره

يُعَدّ الوصل مظهراً من مظاهر التماسك والانسجام النصيين، بل هو أهم العناصر التي يمكن أن تحقق الترابط للبنية النصيّة، كما أن الوصل يسهم في ربط التصوّرات، والمفاهيم التي تحملها التراكيب عبر البنية السطحية، أي يتم ربط التراكيب بدلالاتها العميقة، ويتم وفقاً لهذا الربط تشكّل البنية الكلية للنص.

ولقد حرص علماء لغة النص على إبراز قيمة الوصل في تحقيق التماسك النصّي، وفي واقع الأمر إنَّ العلماء العرب القدماء كان لهم فضل السبق في دراسة ظاهرة الوصل، ووقفوا على جانبٍ من أسرارها، وأخصّ بالذكر هنا علماء البلاغة. وما قدمه كثير من العلماء يتفق وما جاء به علماء لغة النص ونحوه. وسأقف في هذا المبحث على مجموعة من المسائل المهمّة؛ والتي بحاجة إلى بحث مستمر.

أ. في مفهوم الوصل

الوصل هو "عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه"[1]. هكذا حَدّد البلاغيون الوصل والفصل، ولكنّ هذا التحديد،يَضُمّ إشكاليين، الأوّل: وهو أهم ما يعنينا هنا، أن الوصل يقتصر على الجمل لا المفرادات، أما الثاني: فهو أن الذي يحقق الوصل هو العطف وحده، وتحديداً "الواو" كما يظهر في بحوثهم.

(١) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ٩٧/٣. وانظر كذلك: الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني ص١٧٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبسبب هذين الإشكالين ارتفعت بعض الأصوات المنادية بضرورة إعادة النظر في هذا التحديد، ويذكر عبد الواحد عَلاّم أن هذا التحديد يهمل عطف المفردات من جهة، كما أنّه يستبعد العطف بغير الواو، ويعلّل علاّم استبعادهم العطف بغير الواو؛ لأنّ البلاغيين جروا في هذا المضمار على ما ذهب إليه جمهور النحاة من أن الواو ليس لها معنى "سوى الإشراك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي اتبعت فيه الثاني الأوّل... ولا تفيد الواو شيئاً آخر فهي-كما يقولون-لمطلق الجمع، وليس الأمر كذلك في أدوات العطف الأخرى، إذ إنها تفيد مع الإشراك في الحكم الإعرابي معاني أخرى لا تفيدها الواو..."[1]. والذي ينظر في كتب النحو تتأكد له هذه الحقيقة، فالواو العاطفة عندهم تفيد الجمع المطلق بين المتعاطفين[2]، وهذا تابع للمقتضى الإعرابي لا الدلالي، إذ كان همُّ النحويين ترسيخ هيمنة قاعدتهم التي تنص على أن (النحو صنعة لفظية).

والحقّ أنّ العطف يتم بالواو وبغيرها، كما أن الواو تفيد الجمع وغيره، و الاستخدامات الرفيعة كثيراً ما روعي فيها معنى الترتيب، فضلاً عن استخدامها هي والفاء وثم في سياقات واحدة[3]. إنَّ هذا الاتجاه يقود إلى اتجاه أهم وهو توسعة مفهوم الوصل؛ وذلك للإفادة منه، بصورة اعمق من الصورة البلاغية التقليديّة التي تحصره في "الواو" وفي الجمل لا المفردات. ينبغي أن نتعامل مع الوصل على أنّه بنية (نحويّة-دلالية) يؤسسها الخطاب؛ لوصل جميع أطراف النصّ بعضها ببعض؛ لأن الوصل-في كثير من مظاهره- لا يبدو ظاهرة لفظيّة، إنّه ظاهرة ذهنية، تربط وتنظّم الأجزاء المتباعدة في جسم النّص، وتجعلها أكثر قبولاً لدى المستقبل، إنّه "الخطوة الأولى على طريق علم لغة نصيّ"[4].

---

(١) علام، عبد الواحد. القاعدة والنص "دراسة في الفصل والوصل"، دار الثقافة العربية، (د.ت)، (د.ط) ص٢١.

(٢) انظر: ابن هشام، جمال الدين. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، ط١، ١٩٩٢م ٤٦٣/٢.

وانظر كذلك: المرادي، الحسن بن قاسم. الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م ص١٥٨.

(٣) انظر: علام، عبد الواحد. القاعدة والنص ص٣٩.

(٤) بحيري، سعيد. علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) ص١٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الإشكال الثاني وهو الاقتصار على عطف الجمل في مبحث الوصل، فهو أمر في غاية الخطورة؛لأنّ تماسك النصّ يبدأ أولاً بتماسك الألفاظ، ثم ينسحب هذا على تماسك الجمل، يُصَرِّح الدكتور سمير ستيتيه بأن "التماسك بين الكلمات هو الخطوة الأساسية في بناء الجملة، بل هو خطوة مهمّة في بناء النصّ كلّه"(١). ولقد أكّد "فاينرش" في بحثه التجزئة النحوية للنصّ، أن الوصل يحدث على مستوى الجملة أولاً، ثم ينسحب بعد ذلك إلى باقي الجمل المشكلة للنصّ؛ ويعود ذلك إلى المبدأ العام الذي أسسّه في الترابط النحوي الذي يقوم على أن الترابط النّحوي عموماً لا ينشأ إلاّ على مستوى الجملة أولاً، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مستوى النصّ(٢). وبناءً على ذلك؛ شَهِد مفهوم الوصل وكذلك مفهوم القطع تطوراً كبيراً في هذا العصر؛ بسبب الانتقال المفاجئ الذي لحق بالنحو، إذ انتقل النحو من ميدانه الصغير إلى الميدان الأرحب؛ من حيز الجملة إلى حَيِّز النص، ونتيجة التحليلات اللغوّية النصيّة، قُدِّمت تصوّرات للوصل-هي في الحقيقة- أوسع من التصوّرات السابقة، بل ذهب بعض الباحثين الى جعل الوصل بحرف العطف قسماً من مجموعة أقسام للوصل، وأقصد هنا هاليداي وحسن، إذْ عدّا الوصل بواسطة أداة العطف (الواو) من قبيل الوصل الإضافي(٣). كما أنهما حدّا الوصل بأنه البحث في الطرق أو العناصر التي تبيِّن كيفية ترابط السابق باللاحق أو العكس بطريقة منتظمة ومقنعة(٤). ولقد ذكر دي بوجراند أنَّ هذا الصنيع يوضّح طريقة تَقْدِمة النّصّ ويحدّدها(٥). وطرائق الوصل في النصوص كثيرة جداً، ترتد في مجملها إلى جوانب فكرية مرتبطة بطريقة تفكير المرسل نفسه.

---

(١) ستيتية، سمير. منازل الرؤية منهج في قراءة النص ص٢٥.

(٢) انظر. بحيري، سعيد. علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) See: Halliday, M.A & R. Hassan. Cohesion in English, p. 244.

(٤) Ibid, P. 227.

(٥) انظر: DeBeaugrande, Robert: Linguistics Theory. The Fundamental Works, N.V. Longman Inc., 1991m PP250-251.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. الطبيعة الوظيفية للوصل

تُعَدّ الوظائف التي يقوم بها الوصل بجميع أنواعه وظائف نحوية و دلالية في آن معاً،يقول كوهن: "الإسناد والتحديد وظيفتان نحويتان خالصتان، في حين يتجاوز الوصل مجال الكلام بكثير"(١). ويُعْنَى الوصل بتعاقب الجمل تعاقب ارتباط داخل الخطاب، وهذا التعاقب لا يتجسّد في "محور التتابع"(٢) فقط كما يرى جان كوهن، وإنما يتجسّد أيضاً من خلال محور التدوير، و أقصد به محور الدوائر الدلاليّة.

ويبدو أنّ الذين بحثوا مبدأ العلاقات وركّزوا على الوصل، لم يتمكنوا من تحديد(الطبيعة التحليليّة للوصل)؛ ويعود ذلك إلى أنّهم بحثوا الوصل في إطار الجمل البسيطة، ولم يضعوه في إطار النّص. إن الوصل في إطار النصّ يُمثِّل الأداة الحقيقيّة التي تهيمن وتسيطر على جزئيات النصّ؛ فهو لا يُمثِّل تعاقباً شكلياً للجمل (التراكيب)، بل هو تعاقب وتقاطع في الوقت نفسه، فهو يعمل على ربط التراكيب المتعاقبة بالدوائر الدّلالية النصيّة.

لقد اقتصر البحث عند جان كوهن في مجال الربط على الجوانب الشكليّة للوصل، بل إنّ الأزهر الزناد حاول أن (يُشَكْلنَ الدلالة النصيّة)، وظهر هذا واضحاً في حديثه عن (الروابط بين الجمل في النص)، إذْ قَصَرَ الربط على الربط الخطي الذي يفيد الترتيب في الذكر فقط. ولكن بإدخال معنىً آخر مثل: الفاء ثم واو...الخ(٣). إنّ هذا التصوّر عند الزناد تصوّر محدود جداً، إن ترابط التراكيب داخل النصوص يسير بطريقة معقدة جداً، ليست بالبساطة التي يتصوّرها هذا الباحث؛ يقول طرفة بن العبد:

---

(١) كوهن، جان. بنية اللغة الشعريّة ص١٥٧.

(٢) المرجع نفسه ١٥٧.

(٣) انظر: الزناد، الأزهر. نسيج النص (بحث في ما يكونُ به الملفوظُ نصّاً) ص٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجميعُ تُلاقِنِي ... إلىَ ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ المُصَمَّدِ(١)

نَدَامَايَ بِيْضٌ كَالنُّجُومِ وَقَيْنَةٌ ... تَرُوْحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ ومُجْسَدِ(٢)

رحيبٌ قِطَابُ الجيبِ مِنْهَا رَفِيقَةٌ ... بَجِسٌّ النَّدَامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ(٣)

إذا نحنُ قلنا أَسْمِعِينَا انْبَرَتْ لَنَا ... عَلَىَ رِسْلِهَا مَطْرُوْفَةً لَمْ تَشَدَّدِ(٤)

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي ... وَبَيْعِي وإنْفَاقِي طَرِيْفِي ومُتْلَدِي(٥)

إلىَ أنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيْرَةُ كُلُّهَا ... وأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيْرِ الْمُعَبَّدِ(٦)

إنّ الترابط أو الوصل الذي يجعل من هذه الأبيات نصّاً متكاملاً،لا يخضع بالدرجة الأولى لمحور التتابع الذي يضم بعض الروابط الملفوظة، إن هذه الأبيات تترابط فيما بينهما بفضل الدائرة الدلالية التي يُشَكِّلها الخطاب،فهو يشير في البيت الأوّل إلى فخره بنسبه،إنّه خطاب موّجه للسامع، وهذا الفخر بالنسب تستتبعه عادة أخرى من عادات الجاهليين وهي شرب الخمر، إلا أن الشاعر لم يصل الفخر بالشرب مباشرة، وإنما مَهّد لذلك باستحضار دائرة دلالية متكاملة تتمثل في استحضاره لمجلس فيه نديمان، وفية جارية، عبّر عن صفاتها بمجموعة من الصفات المتتابعة، وهذا التتابع للوصف يعطي النصّ عمقاً، ويُشعرنا بترابطه. ولقد جعل هذه الدائرة الدلالية تمهيداً لقوله:

وما زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي ... وَبَيْعِي وإنْفَاقِي طَرِيْفِي وَمُتْلَدِي

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص١٨٧.

(٢) المصدر نفسه ص١٨٨.

(٣) المصدر نفسه ص١٨٩.

(٤) المصدر نفسه ص ١٩٠.

(٥) المصدر نفسه ص١٩١.

(٦) المصدر نفسه ص١٩١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فهذا البيت يرتبط بما سبقه؛ لكون التراكيب التي تتضمنها الأبيات السابقة، هي عبـــارة عن (توطئة دلالية) تمكننا من الوصول إلى (الفخر بالشرب) وهو الغرض الأساسي، ولا ننســى أن الشاعر ابتدأ بالفخر وانتهى به. فهذا الرابط الدلالي، أقوى بكثير من الروابط اللفظيـــة التـــي يتضمنها المحور التتابعي، إنّ الوصل هنا وصل تقاطعي شكلته ذهنية الشاعر حينما اســـتحضر الشاعر قصّة المجلس والجارية.

ويمكن تمثيل ما تقدّم بالشكل التالي:

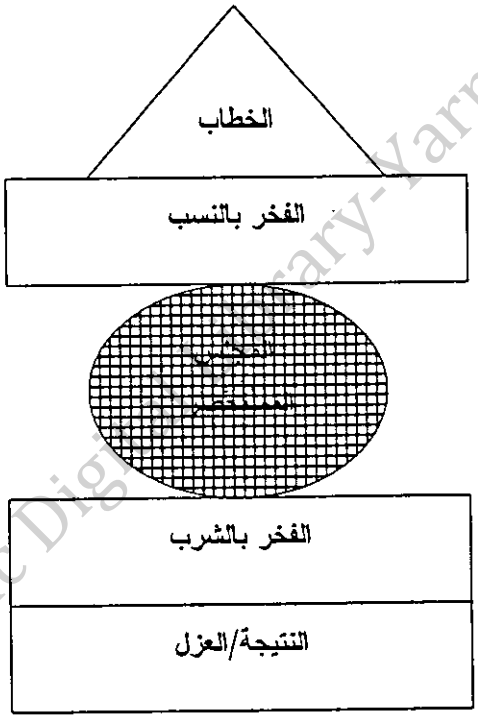

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهذا يعني أن الخطاب يتضمن الفخر، ولربط الفخر بشقيه الفخر بالنسب والفخر بالشرب، استحضر الشاعر (مجلساً) أي دائرة دلالية تصل التراكيب بعضها ببعض، وكانت نتيجة الفخر بالشرب، الطرد أو العزل من القبيلة.

ومن المثال السابق نستنتج أن الطبيعة الوظيفية للوصل لا تقتصر على ربط الألفاظ بصورة متتابعة، بل تربط المعاني، والدلالات التركيبيّة بعضها ببعض، بمعنى أن الوصل تقنية شعريّة، تتحقق بمظاهر مختلفة، وهذا ما سأبحثه فيما يلي.

ج. مظاهر الوصل في المعلقات

بَحْثُ مظاهر الوصل يعني بصورة تلقائية البحث في أشكال الوصل. ولقد قدّم علماء لغة النص ونحوه تقسيمات مختلفة للوصل، يتفق معظمها في المضامين وتختلف في المسميات، ويمكن القول إنّ جميع مظاهر الوصل هي تقنيات (نحويّة ودلالية) يَقْصِدُها المرسل، لربط البنيتين النصيتين الصغرى والكبرى.

يفترض "فان ديك" أن للنصّ بنيتين،الأولى: هي البنية الصغرى ويحققها عنصر التماسك (Cohesion)، وقد استخدم هذا المصطلح لوصف علاقة الوحدة على مستوى البنية السطحيّة، وسماه كذلك بالانسجام الموقعي. وهذا المفهوم يحيل إلى مظاهر تركيبيّة وعلائقية بين المكونات. أما الثانية: فهي البنية الكبرى، وتتعامل هذه البنية مع النص من حيث إنه بنية تضم المحتوى الكلي له، ويُدْرَسُ المعنى الشامل للنص من خلال ثنائية الثيمة[1] والتصور (Theme) (Rheme)، والموضوع (Subject) والمحمول (Predicate)، والبؤرة (Topic) والحجّة (Argument) والتعليق (Commentaire)[2].

تترابط التراكيب والفقرات عبر هاتين البنيتين بفعل جميع مظاهر الوصل، محدثة بذلك مبدأ التماسك،وعبر هاتين البنيتين تُلْحَظ مظاهر كثيرة جداً للوصل، يمكن أن تستنتج من خلال

---

(١) أرى أن يستبدل مصطلح التدويمة بالثيمة.

(٢) انظر: المرتجّي، أنور،سيميائية النص الأدبي ص ص (٨٦-٩٠).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التحليل النصّي، ومتابعة نحويّة النص، هذه النحويّة التي تؤكّد الربط أو الالتحام التام فيما بين التراكيب ودلالاتها من جهة، وسياقاتها من جهة أخرى.

وبعد أن وقفت على تقسيمات العلماء للوصل، فإنني أذهب مذهب جان كوهن، الذي قرّر أن الوصل يقسم إلى قسمين: ظاهر ومقدّر، أما الظاهر فيتم بفضل الأداة التركيبيّة الظاهرة الملفوظة، وأما المقدّر فيتحقق بمجرد القران دون أداة[١]؛ والسبب في هذا الاختيار، أن جميع الذين قسّموا الوصل مثل هاليداي وحسن والأزهر الزناد وغيرهم، لا تخرج قسمتهم عن ثنائية كوهن. وسأقف هنا على هذين النّوعين من الوصل،مركّزاً على الجانب التحليلي؛لأن الوصل يمثّل ظاهرة ديناميّة، غير ثابتة، والنصوص فيها مظاهر كثيرة للوصل لا حَصْرَ لها، فدراسة الوصل تكون من خلال النص، إذا أردناها دراسة صحيحة عميقة.

أ.الوصل الظاهر

يُقصد بالوصل الظاهر، ذلك النوع من الوصل الذي يتم بفعل الأدوات الملفوظة، ويتضمن هذا النوع من الوصل الجانبين اللفظي والدلالي معاً، ومن مظاهره:

١. **الوصل الإضافي:** هذا المصطلح من وضع هاليداي ورقية حسن، ويتم هذا النوع من الوصل بواسطة ربط التعبير الثاني بالأول بواسطة الأداتين (الواو) أو (أو)[٢] ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم[٣]:

مَتَى نَعْقِدْ قَرِيْنَتَنَا بِحَبْلٍ نَجُذُّ الْحَبْلَ أو نَقِصِ الْقَرِيْنَا

إذْ يَدْخل قوله: نَقِص القرينا في علاقة مع التركيب السابق: نَجُذُّ الحبلَ بوساطة حرف العطف "أو"، وهذه العلاقة نحويّة دلالية في آن معاً، ولو ربطنا العطف هنا بسياقه الذي ورد فيه، يمكننا ملاحظة القيمة الدلالية للعطف، فالشاعر يريد القول إننا قوم نغلب غيرنا في الحروب

---

(١) كوهن، جان. بنية اللغة الشعريّة ص١٥٨.

(٢) انظر: .Halliday, M.A and Hassan, R. Cohesion In English pp (244-248)

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص٤٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي الجدال. ويستند هذا إلى السياق العام وهو الفخر، فهو يفخر بقدرته وقومه على الحرب والكلام معاً، وهنا يكون العطف قد دلّ على قيمة براجماتية جديدة، عن طريق ربطه بسياقه البراجماتي، وإذا روعي الوضع النفسي هنا للشاعر، يتأكّد صدق هذا المذهب.

ومنه قول الحارث بن حلزة اليشكري[1]:

آنَسَتْ نَبْأَةً، وأفْزَعَهَا القُنَّـ ـاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الإمْسَاءُ

ففي قول الحارث يدخل التركيب الثاني: (وأفزعها القناص عصراً) في علاقة مع التركيب الأوّل (آنست نبأة) بوساطة حرف العطف (الواو)، والعطف هنا له أثر كبير جداً في عملية الربط؛لأنّ دلالة العطف هنا تتعدّى "مطلق الجمع" إلى ما هو أبعد، فهو يريد القول: إنّ النّعامة خافت؛ بسبب صوت الصياد، فيدخل العطف هنا ضمن محور الدلالة السببية.

وبخصوص "الواو" كأداة وصل، يذهب دي بوجراند إلى أن التأثير يمكن أن يزداد بعدم استعمالها أداة دالة على مطلق الجمع[2]، وذهب جان كوهن بأن الوصل يتحقق بالأداة وبدونها والدلالة واحدة[3].

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص ٥١٧.

(٢) انظر: دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء ص٣٥٢.

(٣) انظر: كوهن، جان. بنية اللغة الشعرية ص١٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. الوصل التكراري

وذلك بأن يعيد المرسل اللفظ الأوّل نفسه، أو مرادفه، أو يعيد التركيب الأوّل نفسه، ولقد ذكرت جانباً من الوصل اللفظي التكراري عند حديثي عن التماسك وطرائقه، وسأكمل جانباً من هذا الحديث هنا.

يقوم الوصل التكراري باعتباره أحد أهم المقتضيات الدلالية النصيّة بمجموعة من الوظائف، ويمكن ذكر أهمها وهي:

أ.تصعيد الدلالة: وذلك بالانتقال من الحدّ الطبيعي للدلالة، إلى المجاز وتفعيله، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأضيَافِ مِنَّا فَعَجَّلنا القِرى أنْ تَشْتِمُونَا[1]

قَرَيْنَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا[2]

يحاول المرسل من خلال التكرار (القِرَى، قريناكم، فَعَجلنا قراكم) أن ينتقل بدلالة القِرى، وهي: إطعام الضيف، إلى مرحلة أخرى وهي: دلالة القِرى على الحرب، وتفعيل هذه الدلالة أيضاً. ولا يخفى هنا أن الشاعر يحاول – عن طريق الانتقال المجازي – أن يُصَعِّد الموقف؛ وذلك بتكراره للقِرى؛ ليدل التكرار هنا على الاستهزاء والتهكم والسخرية من مقابليه.

ومن دلالة التكرار على التصعيد الدلالي أن ينتقل الشاعر بالدلالة إلى مرحلة الاختزال التام لدلالة التراكيب المتقدِّمة في تركيب واحد، ومحاولة تعميم هذا التركيب بدلالته الجديدة، ومن ذلك قول لبيد بي ربيعة العامري:

وتَمَتَّعَتْ رزَّ الأنيس فَراعَها عَنْ ظَهْرِ غيبٍ والأَنِيْسُ سَقَامُهَا[3]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٤٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص٤٢١.

(٣) المصدر نفسه ص ٥٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن تكرار "الأنيس" باعتباره جزءاً من التركيب: (والأنيس سقامها)؛هدفه هو اختزال دلالات التركيبين (وتسمَّعت رزّ الأنيس) و(فراعها عن ظهر غيب) في دلالة واحدة مختزلة وهي أن الأنيس يسبب الأذى للبقرة الوحشية. ولقد جمع المرسل في هذا التركيب (السبب والنتيجة معاً)، فالسبب شرور البشر، والنتيجة هلاك البقرة الوحشيّة.

ب.ديمومة التصعيد الدلالي: إذا كان التكرار في الحديث السابق أساساً لعملية التصعيد الدلالي، فإنه قد يكون في بعض الأحيان أساساً لديمومة التصعيد الدلالي؛وذلك حفاظاً على سلامة الوصل، وبالتالي إحداث التماسك للنص بصورة منطقية مقبولة، وهذا في الحقيقة مرتبط بالسياق النّفسي، ومن ذلك قول امرئ القيس:

فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ ولِجَامُهُ وبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمَاً غَيْرَ مُرْسَلِ[1]

ذكر امرؤ القيس هذا البيت بَعْدَما أفاض في وصف فرسه، في الأبيات التي تسبق هذا البيت، وجميع الأوصاف في الأبيات تدّل على أنّه عمل على تصعيد دلالات الوصف إلى أعلى درجاتها؛ وليحافظ على ديمومة الاستعداد والنشاط للفرس المذكور كَرّر كلمة (بات) في التركيبين (بات عليه سرجه ولجامه، وبات بعيني قائماً غير مرسل)، أي أن الفرس بات مستعدّاً لإرساله إلى الحرب، ففي هذا التكرار تأكيد لديمومة التصعيد الدلالي واستمراره في التراكيب السابقة على هذين التركيبين.

والجدير بالذكر، أن الشاعر الجاهلي كان واعياً تماماً في عملية توظيفه للتكرار في بناء النص، فظهر أن التكرار عنده يرد بصورة مقصودة، بعيدة عن الرتابة التي من شأنها أن تنحط بنحويّة النص، إذ كان يتحاشى تكرار عبارات طويلة دون مقصديّة واضحة تخدم فكره وغرضه، ودليل ذلك قول لبيد بن ربيعة العامري:

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَإذا الأَمَانَـــةُ قُسِّـــمَتْ فِـــي مَعْشَـــرٍ أَوْفَـــى بِـــأَعْظَمِ حَظِّنَـــا قَسَّـــامُهَا[١]

وَهُـــمُ السُّـــعَاةُ إذا الْعَشِـــيْرَةُ أُفْظِعَـــتْ وَهُـــمُ فَوَارِسُـــهَا وهُـــمْ حُكَّامُـــهَا[٢]

وهُـــمُ رَبِيْـــعٌ لِلْمُجَـــاوِرِ فِيْـــهِمُ والْمُرْمِـــلاَتِ إِذَا تَطَـــاوَلَ عَامُـــهَا[٣]

وهُـــمُ الْعَشِـــيْرَةُ أَنْ يُبْطِّـــئَ حَاسِـــدٌ أَوْ أَنْ يَلُـــومَ مَـــعَ الْعَـــدوِّ لِيَامُـــهَا[٤]

إنّ تكرار التدويمة الإسناديّة المكوّنة من: (الضمير "هم" والأسماء محط الفائدة التـــي تليه "فوارسُها، حُكّامها، ربيعُ، العشيرة") على هذا النحو، يبرز لنا أثر التكرار في عملية وصـــل التراكيب بعضها ببعض داخل النص؛ كما أن دوران هذه التراكيب حول "دلالة كلية واحدة" وهي قصديّة الفخر ومدح قومه، يؤكد أثر لتكرار في عملية الربط، وفي هذا التخالف اللفظي للتراكيب الإسنادية المكررة –مع وجود ما يثبت وحدتها "الضمير هم" – إبعاد لها عن درجة الرتابة. ولقـد أشار روبرت لوناكري Robert E.Longacre إلى مسألة تضمُّن عدد من الجمل لمجموعة مـــن المسندات المتشابهة عبر البنية النصيّة، وما لهذا التشابه من أهميّة في عملية وصـــل الـــتراكيب النصيّة، وبخاصّة إذا كانت جميع المسندات تدور حول فكرة واحدة[٥]. ولقد عَمّق هذه الإشـــارة الباحث وينفرد كرومبي Winifred Crombie في حديثه عن: "علاقات الربط"[٦] (The bonding relation)[٧].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٩٥.

(٢) المصدر نفسه ٥٩٥.

(٣) المصدر نفسه ص٥٩٦.

(٤) المصدر نفسه ص٥٩٦.

(٥) انظر: Longacre, Robert E: The Grammar of Discourse, N.Y., Plenum press, 1983, PP.82-83.

(٦) يشير كرومبي إلى أن علاقات الربط هي علاقات إضافية، وليست انتقائية (اختيارية)، ولكنها تركز على العطف؛ لضمان المواصلة، بالإضافة إلى التركيز على ذكر التفصيلات التي تخدم الفكرة الأم.

(٧) انظـــر: Crombie, Winifred: Process and Relation in discourse and language learning, Oxford University press, 1986, PP 23-24.

٣. الوصل التفصيلي[١]

وأقصد بهذا النوع من الوصل أن يُصَرِّح المرسل بتركيبٍ أو أكثر في بداية القول، فلا تكتمل دلالته إلا بعد النظر في التراكيب التالية له، والتي تشكل تفصيلات لا بُدّ من ذكرها، وهذه الظاهرة كثيرة في المعلقات السبع وفي الشعر الجاهلي عموماً. ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

فَلَوْلاَ ثَلاَثٌ هُنَّ مِنْ عِيْشَةِ الْفَتَى ... وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي[٢]

فَمِنْهُنَّ سَبْقُ الْعَاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتَى تُعْلَ بِالْمَاءِ تُزْبِدِ[٣]

وكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنَّباً ... كَسِيْدِ الْغَضَا نَبَّهْتَهُ الْمُتَوَرِّدِ[٤]

وَتَقْصِيْرُ يَوْمِ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الخِبَاءِ الْمُعَمَّدِ[٥]

إنّ قوله: (فلولا ثلاثٌ) يُشَكِّل تركيباً محورياً، لا تكتمل دلالته إلا من خلال التراكيب التفصيلية التالية له، أي فلولا خلال ثلاثٌ موجودة، وهذه الخلال هي شرب الخمر قبل اجتماع العاذلات، وعطفي إذا ناداني الخائف المذعور، والتمتع بامرأة...الخ. والذي ينظر في هذه التراكيب التي تضم هذه المعاني، يجدها تترابط فيما بينها بحسب المقتضى التفصيلي، الذي يوظِّف عناصر لغوية ودلالية كثيرة من أجل تمامه، فالمقتضى التفصيلي هنا اقتضى عطف التراكيب بعضها على بعض "بالواو".

وهناك شواهد كثيرة على هذا النوع من الوصل، ويكفي ما تقدّم، ولقد آثرت تسميته بالوصل "التفصيلي"؛ لأن أساسه هو التفصيل. بل إن الملمح المميز له هو رغبة الشاعر في ذكر تفصيلات خاصة بالموقف الشعري الممثل لشخصيته.

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص١٩٤.

(٣) المصدر نفسه ص١٩٤.

(٤) المصدر نفسه ص١٩٤.

(٥) المصدر نفسه ص١٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. الوصل التكميلي[١]

يلجأ المرسل إلى هذا النوع من الوصل؛ لتكملة الحدث الذي يؤسسه في التركيب الأول أو الثاني، فهو وصلٌ لاحق، وهذا كثير جداً في النص الشعري الجاهلي، إنّ كثيراً من الروابط التركيبية في المعلقات السبع تقوم على هذا النوع من الوصل، ويمثله قول طرفة:

لَهَا فَخِدانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فِيْهِمَا كَأَنَّهُمَا بَابَا مُنِيفٍ مُمَرَّدِ[٢]

فبعد أن قرّر طرفة أن للناقة وهي محور الوصف فخدين كاملين مكتنزين باللحم، اقتضى الوصف إكماله؛فجاء بالتركيب التشبيهي: (كأنهما بابا منيف مُمَرَّد)، إذْ وصل هذا التركيب بسابقه لإكمال وصفه. ومن ذلك قول امرئ القيس:

فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي مُلاءٍ مُذَيَّلِ[٣]

فَأَدْبَرنَ كَالْجَزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ بِجِيْدٍ مُعَمٍّ فِي العَشِيْرَةِ مُخْوَلِ[٤]

إذْ جاء امرؤ القيس بالتركيب التشبيهي؛ ليُتمّ الصورة التي يرتضيها لسرب البقر الوحشي؛ وليحدّد أنّه يقصد الإناث منه تحديداً؛ إذ إن إناثه يُشبهن العذارى اللواتي يطفن حول حجر منصوب ويطفن حوله في ملاء طويل. فالتركيب التشبيهي هو الذي يكمل دلالة التركيب الأوّل وهو (فعنّ لنا سِرْبٌ). وكذلك التركيب التشبيهي في البيت الثاني، إذْ جاء به الشاعر لغرض التكملة، فالشاعر يقصد التكملة قصداً دقيقاً، ولو لم يكن يقصد التكملة، لما صَرّح بالتركيبين التشبيهين، ولقال: فعنَّ لنا سِرْبٌ فأدبَرْنَ،فالتركيبان يقومان بوظيفة التحديد؛لأنهما نعتان، ففي الأوّل جملة (كأن نعاجه...) وهي نعت، وفي الثانية: شبه الجملة (كالجزع) متعلقة

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٥٩.

(٣) المصدر نفسه ص٩٣.

(٤) المصدر نفسه ص٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بمحذوف صفة لمحذوف أيضاً وهو مفعول مطلق يمكن تقديره بإدباراً، أي أدبرنَ إدباراً كائنـــاً كالجزعِ.

٥. الوصل السببي

للوصل السببي خطتان، الأولى: لفظية، والثانية: ذهنية، أما اللفظية فتلمح مـــن خـــلال العلاقات اللفظيّة بين التراكيب، وأما الذهنية فهي استنتاجية، تعتمد في كثير من الأحيـــان علـــى السياق غير اللغوي، وسأتحدث عن هذا الجانب عند حديثي عن الوصل المقدّر، وســـأتناول الآن الجانب اللفظي من الوصل السببي.

يقوم الوصل السببي على ملاحظة العلاقة السببيَّة بين التراكيب[١]، عن طريـق الأدوات النصيّة الملفوظة. وقد ذهب هاليداي وحسن إلى أن التمييز بين الشكلين الداخلـــي والخـــارجي للتماسك عبر هذا النوع من الوصل قليل الوضوح[٢]. والحق أنّ علاقات السببيّة التـــي توفرهـــا الأدوات الملفوظة واضحة تمام الوضوح. أما علاقات السببيّة التي توفرها السياقات النصيّة فهي التي بحاجة إلى مزيد تأمل وتحليل، والذي يثبت أن الوصل بوساطة الأدوات الملفوظة واضـــح تمام الوضوح قول امرئ القيس:

وَمَـــرّ عَلـــىَ الْقَنَـــانِ مِـــنْ نَفَيانِـــهِ فَـأَنْزَلَ مِنْـــهُ العُصْـمَ مِـنْ كُـلِّ مَـنْزِلِ[٣]

"فالفاء" هنا هي أداة الوصل الملفوظة والظاهرة، وهي حرف عطف وسبب، إذْ يقصـــد الشاعر هنا ربط السبب بالمُسَبَّب من خلال الأداة، فمرور الغيث على جبـــل (القنـــان) أخـــرج الوعول من منازلها، بعد أن كانت مستقرة فيها. فالتمييز بيـــن الشـــكلين الداخلـــي والخـــارجي للتماسك-كما هو ظاهر- واضح تماماً، وليس كما يَدَّعي هاليداي وحسن، وهناك شواهد كثـــيرة وحسبي ما تقدّم ذكره؛ لأن الهدف هو التمثيل لا الحصر.

---

(١) انظر: Halliday, M.A & Hasan, R. Cohesion in English. p. 250.

(٢) انظر: Ibid P. 250.

(٣) الأنباري. شرح القصائد السبع الطوال ص١٠٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦. الوصل الزمني

يتضمن هذا النوع من الوصل الاهتمام بالروابط الزمنية بين الأحداث(١)، ويظهر من كلام وينفرد كرومبي أن العلاقات التي تحكم تقابل الأحداث هي علاقات توافقية؛ ولهذا يحدث الربط وذلك بواسطة ربط الأحداث بعضها ببعض بناءً على مبدأ التقابل(٢). أي أن الوصل الزمني يمثّل تجسيداً للعلاقة الرابطة بين تركيبين متتابعين زمانياً. وأدوات الوصل الزمني داخل النصوص كثيرة مثل الأفعال التامة والناقصة، وكذلك ظروف الزمان وبعض البنى التركيبيّة الأخرى في الجملة، ولكن الأفعال تبقى أوفر تلك الوسائل دقة واستعمالاً(٣).

ومن الوصل الزمني قول امرئ القيس:

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دمْعِي مِحْمَلِي(٤)

فالفعلان "فاض وبَلّ" تربط بينهما رابطة الوصل الزمني، لأنهما متوافقان في الصيغة، وفي المدلول الزمن الماضي،كما أننا يمكن أن نستنتج من خلال هذا التتابع الزمني علاقة أخرى-مع أنّ الحديث هنا عن الترابط اللفظي وليس الذهني- وهي علاقة (السبب والنتيجة)، فالدموع فاضت وترتّب على هذا أنْ بَلّ محمله، وهذا يؤكّد أن ترتيب وينفرد كرومبي للعلاقات كان صادراً عن وعي تام بها، إذ رتّب علاقات الربط الدلالي داخل النص بطريقة دقيقة فجعل العلاقة الأولى علاقة السبب و الأثر...(٥) وفي هذا الترتيب دلالة على أنّ الزمن يؤدي إلى التوافق، والتوافق يؤدي علاقات العليّة، ولقد أكّد دي بوجراند "أن كثرة اللحمات الدالة على العليّة والزمانية تظهر أهميّة هاتين العلاقتين لتنظيم عالم النص"(٦).

---

(١) Halliday, M.A & Hasan, R: Cohesion in English. P 261.

(٢) Crombie, Winifred: Process and Relation in Discourse and Language Learning. P.18.

(٣) انظر: الزناد، الأزهر. نسيج النص ص٨٧.

(٤) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص٣١.

(٥) انظر: Crombie, Winifred: Process and Relation in Discourse and Language Learning. PP 17-19.

(٦) دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء ص٣٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. الوصل المقدّر

إذا كان الوصل الظاهر يتم بفعل بعض الوسائل الظاهرة الملفوظة، فإن الوصل المقدر يتم بوسائل وتقنيات خفية، لا تظهر إلاّ بَعْدَ الإمعان في لغة النص وعوالمه، وهذا الأمر يكشف جانباً كبيراً من الأدوات التي يقوم بها الخطاب في عملية بناء نحويّة النص، وكيف أنّه يستدعي اللغة ويوجهها، وكيف يحدّد مساراتها ووسائلها التنظيميّة. ويمكن إجمال مظاهر الوصل المقدّر في ما يلي:

١. القِران

القِران هو حذف الرابط اللفظي، وهو ما أطلقت عليه البلاغة التقليديّة الفصل[١]، ويمكن اعتبار الفصل أقوى الروابط الذهنية. وقد ذهب جان كوهن إلى أن القران هو الطريقة الشائعة للربط؛ ويعيد ذلك إلى أن حضور أداة العطف (و) مع بداية كل جملة في النص من الأمور الثقيلة جداً؛لذا يميل الكلام إلى مجرّد القرآن[٢].

ومذهبه هذا بحاجة إلى مراجعة، فالقران في كثير من الأحيان لا يحدث لأجل الخفّة، بل لأغراض أخرى، يمكن إدراكها بعد التحليل المنطقي لأجزاء النصّ نحواً ودلالة، يقول عمرو بن كلثوم:

بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ ... تُطِيْعُ بِنَا الوُشَاةَ وتَزْدَرِيْنَا[٣]

تَهَدَّدْنَا وأَوْعِدْنَا رُوَيْداً ... مَتَى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِيْنَا[٤]

لقد عَمَدَ الشاعر إلى المجيء بالفعل "تَهَدَّدْنا" دون رابط لفظي يربطه بالسابق؛ لغرض أسمى وهو وصل الإنكار الذي يحمله الاستفهام في البيت الأوّل، بالنفي الذي يحمله الاستفهام في

---

(١) انظر: كوهن، جان. بنية اللغة الشعريّة ص١٥٨.

(٢) انظر: المرجع نفسه ص١٥٨.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٠٢.

(٤) المصدر نفسه ص٤٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البيت الثاني، كما أن صيغة "تَهدَّدْنا" دون رابط لفظي يبرز علاقة السببيّة، فالتهديد والوعيد هما نتيجة للإصْغاء إلى قول الوشاة، وكما هو معلوم، فإن علاقتي العليّة والسببيّة من أقوى الروابط التنظيميَّة النّصيّة[١].

والذي يجعلنا نكتشف غرض الاستفهام ليس لغة الاستفهام وحسب، بل المعرفة المسبقة بقصديّة البناء الاستفهامي، وهذا في الحقيقة ما قَرّره "فان ديك" عند حديثه عن المرتكزات القواعدية (Grammatical Strategies). إذْ قَرَّر[٢] "أن المرتكزات القواعدية ليست مشكلة من القواعد وحسب، بل هي مرتكزات معرفية تستخدم لفهم البنى المحدّدة والتي خُصصت بوساطة قوانين النحو".

وهذا الأمر يُظْهِر أن المرتكزات القواعدية تخضع بالدرجة الأولى لظروف البناء اللغوي، والدوافع و الأسباب، بمعنى أن المرسل يخضع لما فوق الإنشاء في عملية الإنشاء، فالذي ينظِّم المعرفة المسبقة هو القدرة الذهنية التي تعمل على هضم الأحداث وتنظيمها.

ونخلص مما سبق إلى أنّ القران لا يأتي لغرض الخفّة وتحاشي الثقل في جمل الخطاب وحسب، بل يأتي لأغراض أخرى تحكمها مقصديّة[٣] الشاعر – باعتباره مرسلاً – وطرائق التنظيم، وكلّ غرض يحفز القارئ – باعتباره مستقبلاً – على البحث عن جوانب استدلالية نصيّة كثيرة لا حصر لها.

ذهب جان كوهن إلى أنه لا يوجد فرق دلالي بين الوصل بالقران والوصل باللفظ، فَبَعد أن ذكر أن الوصل يتحقق بالأداة مثل (السماء زرقاء والشمس دافئة) قال: "ومن الجلي أن الصيغة الثانية تماثل الصيغة الأولى من حيث الدلالة رغم تجردها من أداة العطف"[٤].

---

(١) انظر: دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء ص٣٥٠.

(٢) انظر: Van Dijk, Teun. A., Kintsch, Walter. Strategies of Discourse Comprehension. p.p 73-44.

(٣) المقصدية: مصطلح ذكره محمد مفتاح في كتابه دينامية النصّ (تنظير وإنجاز) ص ٣٨ و ٥٠.

(٤) كوهن، جان. بنية اللغة الشعرية ص١٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي هذا المذهب مبالغة كبيرة، فالصيغة الأولى تختلف في دلالتها عن الصيغة الثانية؛ والسبب في ذلك أن الصيغة الأولى تحمل دلالة تقريريّة. أما الثانية فمتعددة الدلالات تبعاً لتعدد المواقف والأحوال، إذْ قد تكون دالّة على التنبيه (أي تنبيه المرسل للمستقبل بخصوص قضيّة ما متعلقة برزقة السماء ودفء الشمس) وقد تكون دالة على السببيّة، فلولا زرقة السماء(وهذا يعني أن الجو صاف) لما كانت الشمس دافئة على الإطلاق. يقول الحارث بن حلزة:

لا يُقِيمُ العَزِيزُ في البَلَدِ السَّهْلِ ولا يَنْفَعُ الذَّليلَ النجاءُ[1]

فالشاعر يُقرِّر هنا حقيقة نفي إقامة العزيز القوي في الأرض السهلة، ونفي إفادة الهرب للضعيف. ولو حاولنا تجريد البيت من واو العطف؛لتعددّت الدلالات الخاصّة بالصيغة المجرّدة من حرف العطف، ويعود هذا التعدّد إلى طبيعة المقام. فكأنه-إذا حذفت الواو- يريد أن يؤكّد التنبيه على التهديد والتحذير والفخر...الخ. وبناء على ذلك؛ فإن ما ذهب إليه كوهن بحاجة حقيقية إلى إعادة نظر، فالوصل بالقِران أقوى بكثير من الوصل اللفظي، وهو مختلف عنه في الدلالة تمام الاختلاف.

٢. قصديّة التدرّج المنطقي[2]

تُعدّ قصدية التدرّج المنطقي من أهم الروابط الذهنية النصيّة، فالتتابع المنطقي للتراكيب المشكلة للنص يرتبط أساساً بالعمليات الذهنية التي تحضر في ذهن المرسل، وحضور العمليات الذهنية في ذهن المرسل ينبع من مقصديّة ذهنية لا مقصديّة ديناميكية، وهذان القسمان ذكرتهما الآن؛ لأنهما لم يبحثا، وإنما بُحِثَ مفهوم المقصديّة من وجهة نظر أدبية شبه خالصة[3]، دون الاهتمام بدور المقصديّة في عملية وصل أجزاء النصوص بعضها ببعض.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص٤٧٢.

(٢) مصطلح "التدرج" هو للدكتور سمير ستيتية في كتابه: علم اللغة التعلمي، الأردن، دار الأمل (د.ت) ص ٢٠٨.

(٣) انظر: مفتاح، محمد. ديناميّة النص (تنظير وإنجاز)، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٧م ص٥٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولقد اهتَمّ علماء لغة النص Text Linguistics بأثر العلاقات العليّة المنطقيّة في عملية بناء النص نحواً ودلالة. وهذه العلاقات يمكن أن تكون ظاهرة كما هي الحال في الوصل اللفظي، ويمكن أن تكون غير ظاهرة، كما هو الحال في الوصل الذهني، يقول أحد الباحثين المعاصرين: "إن التماسك عملية عقلية في أساسها، وجميع المعطيات النصيّة هي أدلة ترشدنا إلى التماسك وتكشف الغطاء عنه، ويهدف التماسك إلى كشف التماسك المحلي والكلي للنص"(١). والتماسك-كما هو معلوم-يقوم على الوصل؛ فالوصل المنطقي يتناول الجزء والكل في بنية النصّ الأدبي، أي أن التماسك أو الوصل تحديداً يكون على مستوى البنية الصغرى ونظيرتها الكبرى. ويمكن حَصْر قصديّة التدرّج المنطقي فيما يلي:

١.الوصل السببي المقدّر(٢)

ويقصد بهذا النوع من الوصل، أن يتصّل التركيب اللاحق بالسابق، لوجود علاقة التدّرج، ويوضّح دي بوجراند مفهوم التدرج بقوله: "أي أن تحقق إحداهما (أي صور المعلومات) يتوقف على حدوث الأخرى"(٣). وخير ما يمثله صور التعليق الشرطي المتنوعة في القصيدة الجاهلية، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى(٤):

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوّاً صَدِيقَهُ وَمَنْ لا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ

فالعلاقة بين التراكيب الشرطية في هذا البيت تقوم على التدرج، وهو أقوى العلاقات السببيّة المنطقية.

---

(١) انظر: Givon.T. (Coherence Text V.S. Coherence in Mind). In: GernsBacher, Morton Ann (Editors): Coherence in Spontaneous Text. A Companion Series To the Journal "Studies in Lanuage". Coherence in text V.S. coherence T. Givon. John Benjamins publishing company Amsterdam /Philadelphia, 1995. Vol. 31.p.82.

(٢) الوصل السببي هو مصطلح للباحثين هاليداي وحسن، أضفت له "المقدّر" للدلالة على الوصل السببي الذهني غير اللفظي.

(٣) دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء ص٣٤٧.

(٤) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٢٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي كثير من الأحيان يُستَنتَج الوصل السببي استنتاجاً، إذْ يُقَدَّم المرسل مجموعة من التراكيب لتوصله إلى تقرير وصف ما سابق، فتكون جميع هذه التراكيب مسبَّبات منطقيّة عن التركيب السابق، ومن ذلك قول عنترة العبسي:

إذْ تَسْتَبيكَ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ ... عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لذِيْذِ الْمَطْعَمِ[1]

وكَأَنَّ فَارَةَ تَاجِرٍ بِقَسِيْمَةٍ ... سَبَقَتْ عَوَارِضَهَا إلَيْكَ مِنَ الفَمِ[2]

أوْ رَوْضَةً أُنُفاً تَضَمَّنَ نَبْتَهَا ... غَيْثٌ قليلُ الدِّمنِ لَيْسَ بمِعْلَمِ[3]

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بِكْرٍ ثُرَّةٍ ... فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيْقَةٍ كالدِّرْهَمِ[4]

سَحّاً وتَسْكَاباً فَكُلَّ عَشِيَّةٍ ... يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ[5]

وَخَلا الذُّبابُ بِها فَلَيْسَ يَبَارِحٍ ... غَرِداً كَفِعْلِ الشَّارِبِ المُتَرَنِّمِ[6]

هَزِجاً يَحُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ ... قَدْحَ المُكِبِّ عَلَى الزِّنَادِ الأَجْذَمِ[7]

فالعلاقة التي تربط الأبيات السابقة هي علاقة السبب والنتيجة، ويمكن التدرّج في ذلك على النحو التالي:

* السبب إذْ تستبيك بذي غروب (رؤية ثغر المحبوبة).

* النتيجة الوصف + التشبيه + التخيير.

* السبب رؤية النبات.

* النتيجة توضيح حالة النبات + استمراريّة تسكاب الماء.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه ص٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه ص٣١١.

(٤) المصدر نفسه ص٣١٢.

(٥) المصدر نفسه ص٣١٣.

(٦) المصدر نفسه ص٣١٤.

(٧) المصدر نفسه ٣١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

* السبب انفراد الذباب في الروضة.

* النتيجة توضيح حالة الذباب وحركته.

فالشاعر يبدأ بالسبب وينتهي بالنتيجة، وهذا يمثل وصلاً للتراكيب بعضها ببعض، وهو وصل ذهني، لا يعتمد على قوة الملفوظات، بل يعتمد على القُدْرة الذهنية التي تمكن الشاعر من التنظيم المتكامل لنحويّة النّص.

٢.ترابط الأفكار

تعدّ العلاقات التوافقية مظهراً من مظاهر الوصل الذهني، وسأتناول هذه العلاقات عند حديثي عن الشكل اللغوي وأثره في إنتاج الدلالة النصيّة. وما أود الإشارة إليه هنا مسألة التسلسل المنطقي للأفكار داخل النص، وقيمة هذا التسلسل.

ثمة مشكلة بين الباحثين حول ما إذا كان ثمة فرق بين التدّرج والتسلسل؟. يرى الدكتور سمير ستيتيّة أن مصطلحي التسلسل والتدّرج ليسا مترادفين كما قد يظن، فالتسلسل انتقال طبيعي من جملة إلى أخرى لوجود صلة من نوع ما تجمع بينهما[١]. أما التدّرج فهو "انتقال يقتضيه المنطق من فكرة إلى أخرى، ذلك كأن تكون إحداهما نتيجة حتميّة للأخرى، فتكون السببيّة هي الرابط بينهما. وقد تكون إحداهما أعم من الأخرى، فتكون علاقة العموم والخصوص هي العلاقة التي تربط أولاهما بأختها"[٢]. ومن الوصل التسلسلي قول طرفة بن العبد:

وَإِنِّي لأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تُرُوْحُ وتَغْتَدِي[٣]

أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الإِرَانِ نَسَأْتُها عَلَى لاَحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ[٤]

---

(١) ستيتية، سمير. علم اللغة التعلمي ص٢٠٨.

(٢) المرجع نفسه ص٢٠٩.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص١٤٩.

(٤) المصدر نفسه ١٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُبَـــاري عِتَاقـــاً ناجِيَـــاتٍ وأتْبَعَـــتْ وَظِيْفَـــاً فَـــوْقَ مَـــوْرٍ مُعَبَّـــدِ[1]

تَرَبَّعَـــتِ القُفَّيْـــنِ بِالشَّـــوْلِ تَرْتَعِـــي حَدَائِـــقَ مَـــوْلِيِّ الأسِـــرَّةِ أغْيَـــدِ[2]

فهو هنا يصف الناقة، ومسألة الانتقال من فكرة إلى أخرى في كل بيت من الأبيات هي مسألة طبيعيّة تقتضيها علاقة طبيعيّة وهي وصف الناقة. وهناك شواهد كثيرة جداً علـــى ذلـــك وحسبي هنا التمثيل لا الحصر. أما التدرج أو الوصل التدرجي فتمثله العلاقات السببيّة فيما بيـــن الأفكار، وقد تمّ بحث هذه المسألة في الحديث عن الوصل السببي المقدّر، فلا داعـــي للوقـــوف عندها هنا مرّة أخرى.

٣. التقنية المستحضرة

يلجأ المرسل في مسألة الوصل الذهني إلى استحضار تقنيات مختلفـــة، ويكـــون هـــذا الاستحضار مقصوداً ويهدف منه إلى التوضيح والتأكيد، ومن هذه التقنيات المستحضرة تقنيـــة التفصيل، وتعقيد الرمز، والشكل اللغوي وغيرها من التقنيات التي سأقف على كثير منـــها فـــي الفصل الثالث من هذا البحث.

وصفوة القول إنّ الوصل بمظهريه الظاهر والمقدّر، يقوم بربـــط الـــتراكيب النصيّـــة بعضها ببعض، على المستويين النحوي والدلالي في آن معاً. وهذا الربط يُسْهِم في بناء النـــص وتنظيمه، ومن ثم قبول المستقبل له؛ لأنَّ القبول يعني نجاح النص علـــى جميـــع المســـتويات. ووظيفة الربط لا يقوم بها الوصل وحده، وإنما هناك روابط تركيبيّة أخرى كالإسناد مثلاً والذي سيشكل محور الحديث في المبحث التالي.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه ١٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: الإسناد ومظاهره

بُحِثَ الإسناد في النحو القديم وعند البلاغيين في إطار الجملة، وكان هذا البحث مهماً جداً ودقيقاً، وهو بحث يؤدي إلى قاعدة مهمّة جداً تنصّ على أنّ العلاقة بين المسندات عموماً هي علاقة استدعاء وتلازم، ولقد تكرّرت هذه القاعدة كثيراً في كتب النحو بطرق وبأساليب تعبيريّة مختلفة.

ويمكن توظيف هذه القاعدة المهمّة في عملية الكشف عن كيفيّة ترابط التراكيب النصيّة وانسجامها، أي في كيفية تأدية الإسناد دوره في تماسك النص؟. وقبل بيان ذلك مفصلاً أود أن أقرر مجموعة من الحقائق بخصوص الإسناد وهي[1]:

١. الإسناد فكر لغوي خالص.

٢. يمكن للإسناد أن يكون البذرة الأولى التي ينطلق منها النص.

٣. الإسناد باب من أبواب التعلق.

٤. الإسناد يحمل كل المعاني التي نريدها.

٥. الإسناد في اللغة يولِّد الكلام بعضه من بعض.

٦. وتبعاً لذلك يربط الكلام بعضه مع بعض.

٧. يترتب على كل ذلك أنّه يربط المعاني بعضها مع بعض.

---

(١) هذه الحقائق والأفكار مقتبسة من سلسلة ندوات للأستاذ الدكتور: سمير ستيتية أملاها على طلبة الدكتوراه – وكنت من بينهم – في العام الدراسي (٢٠٠٠-٢٠٠١).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد ثبت لي أن الربط الإسنادي يظهر في مظهرين، ويتفرع عن كل مظهر من هذين المظهرين مظاهر كثيرة، وهي في الحقيقة مظاهر توليديّة وديناميّة تعطي للنص ما يمكنني تسميته "بالتماسك الاسنادي المتصل". وهذان المظهران هما:

أ.الإسناد النحوي.

ب.الإسناد الأسلوبي.

وقد درس الباحثون المظهر الأول، ولكنهم في الحقيقة لم يخرجوا به إلى فضاء أرحب، فظلوا في إطار نحو الجملة. أما المظهر الثاني: فلم يتعرّضوا له لا من قريب ولا من بعيد، مع أن الإسناد الأسلوبي يشكل عنصراً مهمّاً من عناصر التماسك النصيّ، بل إن كثيراً من النصوص تكون مبنية على مبدأ الإسناد الأسلوبي. وسأقف عند هذين المظهرين؛ لأن الخطاب من حيث هو قدرة ذهنية قصدية، يعمل على بناء وتوجيه كل جزئية متعلقة بهما، مما يكفل سلامة بناء نحويّة النّص.

أ.الإسناد النحوي

يقوم الإسناد النحوي على مسألة التلازم بين المسند والمسند إليه، وأما الإسناد الأسلوبي فهو الذي يجعل الإسناد النحوي قاعدة ينطلق منها في عملية الحراك المتزن داخل النص، هذا الحراك الذي يجعل من القصيدة أو من النص عموماً بنية متماسكة. بمعنى أن الإسناد الأسلوبي يستوعب الإسناد النحوي ويحفزه، مما يؤدي إلى ربط الكلام بعضه ببعض، وكذلك الدلالات المشكلة للمعاني النصيّة.

أمّا الإسناد النحوي فهو لا يقوم بوظيفة نحويّة فقط، بل تتجاوز وظائفه النحو إلى الدلالة، وقد ذكر "جان كوهن" أن الإسناد وظيفة نحويّة خالصة[1]، والحق إنّ وظائف الإسناد كثيرة. وهو ليس وظيفة نحويّة وحسب، بل نحوية ودلالية في الوقت نفسه، بل إنّه أكثر ارتباطاً بالسياقات المشكلة له دون غيره من الوظائف النحويّة الدلالية، ويعمل الإسناد على ربط

---

(١) كوهن، جان. بنية اللغة الشعرية ص١٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المشكلة له دون غيره من الوظائف النحويّة الدلالية، ويعمل الإسناد على ربط التراكيب بعضها ببعض، وفيما يلي عرضٌ لأهم مظاهر الإسناد النحوي.

١. الإسناد التسلسلي[١]

ويُقْصَدُ به أن العلاقة بين التراكيب الإسناديّة في النّص طبيعيّة، إذ يتم الانتقال من تركيب إلى أخر لصلة تكون بينهما من نوع ما. وهذه الصلة تعمل على تشكيل ما يمكنني تسميته بالتدويمات الإسناديّة[٢]، والتي تتّحد فيما بينها؛ لتمكن القارئ من الوصول إلى المغزى. ومن ذلك قول طرفة بن العبد[٣]:

لِيَا فَخِدانِ أُكمِلَ النَّحْضُ فِيهِمَا كأَنَّهما بَابَا مُنِيْفٍ مُمَرَّدِ

إذْ تمّ الانتقال من المركب الإسنادي الإسمي (لها فخدان)، إلى المركب الإسنادي الفعلي الوصفي: (أكمل النَّحضُ فيهما)؛ لغرض إتمام الوصف، وهذا الانتقال تفرضه علاقة التحديد، فهو يريد أن يحدِّد كَمّال خلق فخديها، ثم انتقل بعد ذلك إلى المركب الإسنادي الثالث (كأنّهما بابا منيفٍ مُمَرَّدٍ)؛ لِيَستعظِمَ كمال خلق الفخدين على لغة التشبيه، ونلحظ هنا أنّ التراكيب الإسناديّة تتوالد بدلالاتها ومعانيها بعضها من بعض. وهذه التراكيب جميعها تشكل دائرة إسنادية متكاملة تضم تدويمة (استعظام كمال خلق فخدي الناقة)، وهذه التدويمة-كما يلحظ- هي حصيلة الترابط فيما بين التراكيب. وتتعالق هذه الدائرة الإسنادية مع الدائرة التي تليها في بيت آخر؛ وذلك للعلاقة التكاملية فيما بين التدويمات، فجميع التدويمات تتآزر فيما بينها؛ للوصول إلى المغزى.

ومن التعالق فيما بين الدوائر الإسناديّة قول لبيد بن ربيعة العامريّ:

---

(١) مصطلح "التسلسل" مأخوذ من كتاب الدكتور سمير ستيتيّة الذي يحمل عنوان: علم اللغة التعلمي ص٢٠٨. أما مصطلح: (الإسناد التسلسلي) فهو من وضع الباحث.

(٢) التدويمة هي مصطلح من وضع الباحث وهو يقابل المصطلح الإنجليزي (The Theme).

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص١٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بَـلْ مَـا تَذَكَّـرُ مِـنْ نُـوَارَ وَقَـدْ نَـأَتْ وتقطَّعَـــت أسْـــبَابُها ورِمَامُـــهَا[1]

مرِّيَـــةُ حَلَّـــتْ بِفَيـــدَ وجَـــاوَرَتْ أهْـلُ الحِجَـاز فَـأَيْنَ مِنْـكَ مَرَامُـهَا[2]

بِمَشَـــارِقِ الْجَبَلَيْـــنِ أوْ بِمُحَجَّـــرٍ فَتَضَمَّنَتْـــهَا قَـــرْدَةٌ فَرِخَامُـــهَا[3]

فَصَوَائِـــقٌ إنْ أيْمَنَـــتْ فَمِظَنَّـــةٌ مِنْـــها وحَـــافُ القَـــهْرِ أو طِلْخَامُـــهَا[4]

إنّ كلّ بيت من هذه الأبيات يُشَكِّل دائرة إسناديّة، تَضُمّ تدويمة، ويتم الانتقال من الدائـرة الأولى إلى الثانية إلى الثالثة والى الرابعة، بفعل تركيز الشاعر على حركة نُوار، فـهو يصـف حركتها والأمكنة التي تحلّ بها، وهذا الترابط فيما بين الدوائر جميعها هو ترابط طبيعي، تفرضه مقتضيات حركة نوار.

وثمة شواهد كثيرة على هذا النوع من الإسناد فالهدف هو التمثيل لا الحصر.

٢.الإسناد التدرّجي[٥]

ويُقْصَدُ به أن العلاقة بين التراكيب الإسنادية النصيّة هي علاقة منطقية، إذْ ينتقل المرسل من تركيب إلى آخر وفقاً لمقتضيات المنطق، وتؤدي العلاقات السببيّة هنا أثراً مهمّاً فـي هـذا الانتقال (السبب–النتيجة). وهذا الأمر ينسحب أيضاً على الدوائر الإسناديّة أيضاً، إذْ يتم الانتقـال من دائرة إسناديّة إلى أخرى وفقاً لمقتضيات المنطق. وتتأزر التدويمات فيمـا بينـها؛التشـكيل المغزى.

ويمكن القول أيضاً إن العلاقات فيما بين التراكيب وكذلك الدوائر الإسناديّة هنـا، هـي علاقات تلازم، وهي ليست علاقات ثانويّة،فَصِحَّة النص وتمامه أساساً موقوفان عليـها، إنّـها

---

(١) الأنباري: محمد بن القاسم شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٥٣٢.

(٢) المصدر نفسه ٥٣٣.

(٣) المصدر نفسه ٥٣٥.

(٤) المصدر نفسه ٥٣٥.

(٥) مصطلح التدرّج المنطقي، أخذته عن الدكتور سمير ستيتيّة في كتابه: علم اللغة التعلّمي ص٢٠٨، وقمت بتوظيف المصطلح: شكلاً ودلالة في عملية التصوّر الإسنادي، وخرجت بالمصطلح المذكور أعلاه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

علاقات منطقية، ولا يمكن الاستغناء عنها بالحذف مثلاً؛ لأن ذلك من شأنه أن يُخـــلّ بصحّـة التدويمة، ومن ثم لا يتم الوصول إلى المغزى، ويصبح النص بلا رسالة.

والعلاقات الإسناديّة التدرّجيّة هي أقوى العلاقات في النصوص؛ لأن الربط هنا لا يتـــم على مستوى البنية الصغرى للنصّ وحسب، بل يتم على مستوى البنيتين الصغرى والكبرى معاً، فتربط البنية الصغرى بالكبرى بفعل هذه العلاقات كغيرها من الروابط النصيّة الأخرى ولكـــن بدرجة أقوى. ولقد تناول ديك مسألة العلاقات فيما بين البنيتين الكبرى والصغرى، وذهب إلـــى أن البنية الكلية (Global Structure) يمكن تسميتها بالتدويمة (The Theme)[1]، إنّ هذا التصـوّر مأخوذ من نحو الجملة، وليس من نحو النصّ؛ لأن البنية الكلية هي حصيلة ترابـــط مجموعـة التدويمات النّصيّة، وذلك لإشراك جميع هذه التدويمات في تأسيس المغـزى(The Rheme)؛ لأن التدويمات (The Themes) تحمل قضايا (Propostions)، والإسناد يكون حاملاً لها وموجـــهاً. ومن الإسناد التدرجي التركيبي قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجْـــهَلَنْ أَحَـــدٌ عَلَيْنَـــا فَنَجْـهَلَ فَـوقَ جَـهْلِ الجَاهِلِيْنَـا[2]

فالانتقال من التركيب الإسنادي الأوّل (ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا) إلـــى الـتركيب الثـاني (نجهل فوق جهل الجاهلينا)، جاء وفقاً لمقتضيات المنطق، فالعلاقة علاقة (السـبب بالنتيجـة)، والذي يؤكّد ذلك أيضاً وجود الفاء السببيّة. ومن الإسناد التدرّجي قول عنترة بن شداد:

فَبَعَثْـتُ جَـارِيَتِي فَقُلْـتُ لَـهَا اذْهَبِـي فَتَحَسَّسِـي أَخْبَارَهَـا لِـيَ وَاعْلَمِـي[3]

قَـالَتْ رَأَيْـتُ مِـنَ الأَعَـادِي غِـرَّةً وَالشَّـاةُ مُمْكِنَـةٌ لِمَـنْ هُـوَ مُرْتَـمِ[4]

إن قول الجارية: رأيت...الخ يُمثّل رداً على طلب المرسل، إذْ أمَرَها بالذهاب والتعـرّف على أخبار المحبوبة والبحث عنها. وهذا يعني أن الانتقال من الدائرة الإســنادية الأولـــى إلـــى

---

(١) انظر: Van Dijk, Teun A. Prejudice in Discourse. P55.

(٢) الأنباري: محمد بن القاسم شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٢٦.

(٣) المصدر نفسه ص٣٥٤.

(٤) المصدر نفسه ص٣٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الثانية، كان وفقاً لمقتضيات المنطق، فالطلب يتبعه بطريقة مباشرة التنفيذ. ويُلحظ من خلال هاتين الدائرتين الإسناديتين أن الشاعر حاول أن يستحضر أسلوب الحوار[1]. وهذا الأسلوب يمثِّل أعلى درجات الربط الإسنادي في النصوص؛ وليزيد الموقف عمقاً؛ لجأ إلى أسلوب القوليّة: (قلت لها- قالت). والترابط الإسنادي هنا يعمل على تشكيل التدويمة وحملها وإثباتها.

والشواهد على الإسناد التدرّجي كثيرة في المعلقات السبع، فالهدف هو التمثيل لا الحصر.

٣. الإسناد التفصيلي[2]

ويُقْصَدُ به تعدُّد المُسْنَدات عبر البِنية النصيّة التي تعود إلى مسند إليه واحد يُذْكر في البدايَة، أي أنّ صِحَّةَ التدويمة وكمالها تكون مشروطة بترابط المُسْنَدات، ويلجأ المرسل إلى هذا النمط الإسنادي، للتفصيل الذي يقتضيه السياق غير اللغوي. ومن ذلك قول زهير:

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْها عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيْدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ ومَأْثَمِ[3]

عَظِيمَيْنِ في عُلْيا مَعَدٍّ، هُدِيتُما ... ومَن يَسْتَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ[4]

إذْ جاء الشاعر بخبر "أصبح" في البيت الأول "بعيدين" ثم أتبعه بخبر آخر وهو "عظيمين" في بداية البيت الثاني، وهذا الأمر يقتضيه الموقف، إذ يقتضي المقام (وهو مَدْحه للحارث ابن عوف وهرم بن سنان) أن يُفَصِّل في مستلزمات الصيرورة؛ لأن أصبح هنا معناها "صار"، وهذا التفصيل لا يكفيه بيتاً واحداً.

---

(١) الحوار بـ: قال وقلت، أي القوليّة هو كما يذكر الدكتور محمد مفتاح حوار صريح.
انظر: دينامية النص (تنظير وإنجاز) ص١١٦.

(٢) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٣) الأنباري: محمد بن القاسم شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٢٦٢.

(٤) المصدر نفسه ص٢٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. الإسناد المشروط [١]

قد يأتي العنصر الإسناديّ المتمّ للفائدة في بيت تالٍ يضم المسند إليه، وتكون صحّة التدويمة مشروطة باتحادهما. وهذه ظاهره إسنادية تتكررّ كثيراً في شعر المعلقات، ويظهر أنها مرتبطة بأسلوب الشاعر، الذي يقوم على اختيار النمط (النحوي-الدلالي) الذي يخدم التدويمة، كما أن هذا النمط الإسنادي يحمل عنصر التشويق، مما يجعل المرءَ يتابع التراكيب الإسناديّة ومدلولاتها دون ملل أو ضجر. ومن ذلك قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازاً، ونَاءَ بِكَلْكَلِ[٢]

أَلاَ أَيُّهَا اللَيلُ الطَّوِيْلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ[٣]

فالجملتان الفعلية والندائية في البيت الثاني، تشكلان العنصر الإسنادي المتمّ للفائدة، وبدونه لا تكتمل الدائرة الإسناديّة، فالبيت الواحد في هذين الشاهدين لا يشكل دائرة إسناديّة متكاملة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الإسناد المشروط هو فرع من الإسناد التدّرجي، ولقد خصصته بعنوان منفرد هنا؛ نظراً إلى أنّه لا يَقْوَى على تشكيل أكثر من دائرة إسناديّة واحدة، وغالباً ما يكون في حدود التركيب الواحد.

هذه هي أهم مظاهر الإسناد النحوي التي يمكن أنْ تظهر لنا من خلال النص الشعري، وهي مظاهر كليّة يمكن أن تَضُمّ عدداً كبيراً من المظاهر الجزئية، والتي يمكن الوصول إليها من خلال النّصوص، وكان الهمُّ الأكبر للباحث حَصْرَ المظاهر الكليّة بحسب ما يقتضيه منهج البحث.

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٧٦..

(٣) المصدر نفسه ٧٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ب.الإسناد الأسلوبي

ثبت للباحث في أثناء التحليل النصيّ للمعلقات السبع، أن الإسناد في بعض المعلقات يُمثِّل ظاهرة أسلوبيّة، فبعض الاستعمالات الشعرية للإسناد تمّت وفق قصديّة أسلوبيّة، استحضرتها عقلية الشاعر؛ لأغراض متعددّة، جميعها تخدم التدويمات؛ وذلك لحضور العلاقات فيما بين التدويمات، بفضلٍ من الاستعمال الأسلوبي للإسناد.

وهذا الاتجاه يُعَزِّز دور المنحى الأسلوبي في عملية التماسك النصيّ، ولقد انتقد دي بوجراند فان ديك؛لأن الأخير وزميله كنتش لم يركِّزا على التماسك الأسلوبي، بل كان تركيزهما مُنْصبّاً على التماسك الدلالي، لأن التماسك -بحسب دي بوجراند- يكون أسلوبياً ونحويّاً وبراجماتياً[1].

وكلام دي بوجراند دقيق جداً، ويمكن أن ننقله إلى حَيِّز الإسناد، فيكون الإسناد أحد الاتجاهات الأسلوبيّة التي تعمل على إحداث الترابط أو التماسك النصيين، ولكن كيف؟

في أثناء تحليلي للقصائد السبع،وجدتُ أن الإسناد عند بعض الشعراء يُمَثِّل مرتكزاً أساسياً في عملية بناء القصيدة، وأذكر على سبيل التمثيل معلقة الحارث بن حلزة اليشكري، ففي هذه المعلقة تجد الحارث قد ابتنى المعلقة على الإسناد. والملحظ الطريف عنده هو تشابه التراكيب الإسناديّة في الصيغة، وهذا التشابه الصيغي ليس مسألة شكليّة عنده، بل هو مسألة لها مساس بالتدويمات الإسناديّة أيضاً، ولنتأمل قول الحارث:

أيَّمَا خُطَّةٍ أرَدْتُمْ فَأَدُّو ... هَا إلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الأمْلاَءُ[2]

إنْ نَبَشْتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فالصَّا ... قِبِ فِيْهِ الأَمْوَاتُ والأَحْيَاءُ[3]

---

(١) انظر: Debeaugrande Robert. Linguistic Theory: The Discourse of Fundamental Works. P. 277.

(٢) الأنباري: محمد بن القاسم شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٦٤.

(٣) المصدر نفسه ٤٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أو نَقَشْتُم فالنَقْشُ تَجْشَمُه النَّا ... سُ وفيهِ الصَّلاحُ والإبْرَاءُ[1]

أو سَكَتُّم عَنَّا فكُنَّا كَمَنْ أغْـ ... ـمَضَ عَيْناً فِي جَفْنِهَا الأَقْذَاءُ[2]

أو مَنَعْتُم ما تسألُون فَمَنْ حُدَّ ... ثْتُمُوهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَلاَءُ[3]

هَل عَلِمْتُم أيَّامَ يُنْتَهب النَّا ... سُ غِوَاراً لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ[4]

يمثّل التشابه في الصيغ الإسناديّة ظاهرة أسلوبيّة في هذه الأبيات سواء أكان الإسناد فعليّاً نحو: (نبشتم، نَقَشْتُم، سكتُّم، منعتُم، علمتم)، أم إسمياً نحو (فيه الأموات، فيه الصّلاح، في جفنها أقذاء، له علينا العلاءُ، لكلِّ حيٍّ عُواء). وجميع الدوائر الإسناديّة المشكلة للأبيات تتّحد وتترابط فيما بينها بفعل التشابه الصيغي الإسنادي من جهة، وبفعل بعض الروابط الملفوظة مثل العطف من جهة أخرى. إنّ التشابه في الصيغ الإسناديّة هو أقوى الروابط في هذه الأبيات، وهو يُشكّل ملمحاً أسلوبياً ثابتاً. والذي يمضي في القصيدة إلى النهاية سيجد أنّ الشاعر يَتعمّد الإسناد تَعَمُّداً، ولا يأتي عفو الخاطر، وبخاصّة تكراره لصيغة الجملة الاسمية في الشطر الثاني من كلّ بيت من الأبيات، كما أن الحارث لا يكتفي باستخدامه للصيغ الاسميّة المتشابهة، بل يُدْخِلُ عنصراً آخر وهو التقديم والتأخير ولا يخفى ما لهذا العنصر من أثر في استمرارية الإيقاع وانتظامه، ومن ثم استمراريّة التماسك. ومن الإسناد الأسلوبي قول عمرو بن كلثوم:

وَنَحْنُ الْحَايِسُونَ بِذِي أُرَاطَى ... تَسَفُّ الجِلَّةُ الخُورُ الدَّرِينَا[5]

وَنَحْنُ الْحَاكِمُونَ إِذَا أُطِعْنَا ... وَنَحْنُ الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا[6]

وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا ... وَنَحْنُ الآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا[7]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٦٨.

(٢) المصدر نفسه ٤٦٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٦٩.

(٤) المصدر نفسه ٤٧٠.

(٥) المصدر نفسه ص٤٠٩.

(٦) المصدر نفسه ص٤١٠.

(٧) المصدر نفسه ص٤١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالشاعر يلجأ إلى الإسناد ليبني شطر البيت الواحد، والبيت كُلّه. وهذا الاختيار يَدُلُّ على رغبة الشاعر في الاستمرار؛ لأنّه استخدم صيغة اسم الفاعل، وهذه الصيغة تدل على الاستمرارية. إن جعل صيغة اسم الفاعل مسنداً ونحن مسنداً إليه، يَدُل على الالتحام التام فيما بين "نحن" كضمير يَدُل على الجماعة، والفعل الجماعي المتمثِّل ب (الحبس والحكم والترك والأخذ). من هنا يظهر لنا كيف أن الإسناد يؤطِّر للتدويمة ويُكَوِّنها، ويحملها بطريقة تجعلنا نتأثر بحرارة الطرح الذي يطرحه الشاعر. ولنتأمل قوله أيضاً[1]:

وَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ ... إِذَا قُبَبٌ بِأَبْطَحِهَا بُنِيْنَا

بِأَنَّا الْعَاصِمُونَ بِكُلِّ كَحْلٍ ... وَأَنَّا الْبَاذِلُونَ لِمُجْتَدِيْنَا

وأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا يَلِيْنَا ... إِذَا مَا الْبِيْضُ فَارَقَتِ الجُفُونَا

وَأَنَّا الْمَانِعُونَ إِذَا قَدَرْنَا ... وَأَنَّا الْمُهْلِكُونَ إِذَا أُتِيْنَا

وَأَنَّا الشَّارِبُونَ المَاءَ صَفْواً ... وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِراً وَطِيْنَا

فالإسناد هنا يبني القصيدة نحواً ودلالة، وهو ظاهرة أسلوبيّة يقصدها الشاعر، بهدف الوصول إلى نصٍّ متماسك، كما أن الأبيات السابقة الذكر تثبت أنّ الربط الإحالي، لا يقل أهميّة عن الربط الإسنادي، بل إنّ الإحالة تشكِّل عنصراً إسنادياً، يعمل على توجيه التراكيب النصيّة وربطها؛ لذا سيكون الحديث في المبحث التالي مباشرة عن الروابط الإحالية النصيّة إن شاء الله تعالى.

(١) الأنباري: محمد بن القاسم شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ص ٤١٧-٤١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث: الإحالات النصيّة

تشكل الروابط الإحالية النصيّة مظهراً مهمّاً من مظاهر الترابط والانسجام النصيين. وإذا كان الإسناد وكذلك الوصل فكراً لغويّاً، فإن الإحالة بحق هي الموجّه لهذا الفكر اللغوي، ويعود هذا لأسباب كثيرة منها: أنها تربط دلالات التراكيب بعضها ببعض، وتربط السياقات المشكلة للنص، كما أنّها تُقَدّم تبريرات وتفسيرات لإشكالات نصيّة مختلفة. وسأقف في هذا المبحث على مجموعة من المسائل الأساسية في الإحالة، وذلك كمفهومها، وطبيعتها، والتصوّرات المختلفة حول طبيعة أقسام الإحالة.

أ.مفهوم الإحالة وطبيعتها

أولى الباحثون في لغة النص ونحوه عناية كبيرة جداً للجانب الإحالي في عملية تماسك النص. وحدّوا الإحالة بأنها علاقة دلالية غير خاضعة لقيود نحويّة، وإنما خاضعة لقيود تقتضي المطابقة، أي تطابق الخصائص الدلاليّة بين العنصر المُحِيل والعنصر المُحَال إليه(١).

يقوم العمل الإحالي على مبدأ ملاحظة السابق، ومتابعة اللاحق في البنى النصيّة. وهذا يعني أنّها تعمل عن طريق أدواتها المختلفة على ربط السابق باللاحق، واللاحق بما سبقه. وهذا الربط له أثر بارز جداً في تحقيق الالتحام الدلالي للنّص. كما أنّ الإحالة تربط النص بما هو خارجه، وليس ربط المكوّنات النصيّة بعضها ببعض وحسب. ويقرّر "كلماير": أن الإحالة تشكل الإطار الدلالي لا الشكلي للنصيّة وورودها ضمن العناصر المؤثرة في تماسك النص يشكل مكاناً بارزاً، كما أنّ بحثها من خلال نحو النص يأتي لتقديم القواعد التي يجب أن تفي بقيود ما يسمى: "بالنصيّة"(٢).

---

(١) انظر: خطابي: محمد. لسانيات النص (مدخل إلى إنسجام الخطاب)، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١ ص١٧.

(٢) انظر: بحيري، سعيد. دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، (د.ت) ص٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب.أقسام الإحالة

حاول علماء لغة النّص أن يقدّموا تقسيمات للإحالة تقوم على أساسين وهما:

١.نَصّي: وذلك من خلال متابعة البنيّة الإحاليّة بتتابعاتها المختلفة داخل النص (إحالة داخل النص).

٢.تأويلي: ربط التتابعات الإحالية النصيّة بما هو خارج النّص (إحالة إلى خارج النّص).

ويقدّم هاليداي وحسن تصوّراً للإحالة يقضي بتقسيمها إلى: إحالة مقامية وإحالة نصيّة، أو خارجية وداخليّة، ويمكن تمثيل أقسام الإحالة كما وردت عند هاليداي وحسن على النحو التالي[١]:

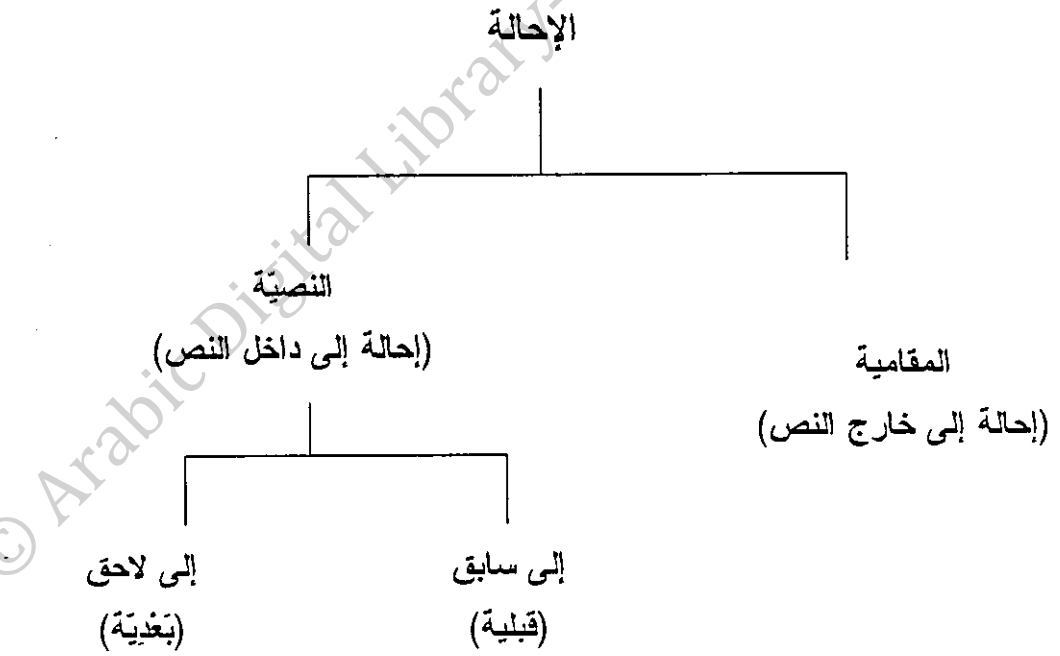

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) انظر: Halliday, M.A.K & Hasan, R. Cohesion in English. p.p 33-37. وانظر كذلك: خطابي، محمد: لسانيات النص ص١٧.

ولقد ميز هذان الباحثان بين نوعي الإحالة المقامية والنصية، فهما يتشابهان في نظرهما في حقيقة واحدة، وهي أن العنصر المحيل يستدعي البحث عن الشيء أو العنصر المحال إليه في مكان ما في النص، ويختلفان في أن المقامية تسهم في خلق النص، لكونها تربط لغة النص بالمقام، إلا أنها لا تقوم بذلك بطريقة مباشرة. أما النصية فهي التي تحدث الاتساق النصي بطريقة مباشرة، والذي يتأمل فيما كتبه هاليداي وحسن، يجد أنهما أوليا اهتماما خاصا بالإحالة النصية. وقاما بتحديد أدوات الاتساق الإحالية وهي الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة(١).

ويلحظ أن تقسيم هاليداي وحسن قد أصبح سنة اتبعها معظم الباحثين الذين أتوا بعدهما، مع أن هذا التقسيم لا يولي الاهتمام لما يمكنني تسميته ب: (فعالية الاحالة في عملية بناء النص)، فهذا التقسيم تقسيم شكلي يتناول جزءا من الإحالة، ولا يتناولها بطريقة موسعة فاعلة. كما أن الاهتمام بأدوات الإحالة هو من الأمور المألوفة للجميع، نحن في ميدان العمل الإحالي بحاجة إلى ما هو أعمق من ذلك.

وإذا أردنا تحديد فعالية الإحالة في عملية تماسك النص، لا بُدّ من مراعاة العناصر التاليّة في عملية التحليل اللغوي وهي:

١.الوعي باللغة المشكلة للنّص.

٢.الوعي بكافة أنواع السياقات المشكلة للنص.

٣.ويترتب على ذلك أن الإحالة توجّه النص حسب رؤية المرسل والمستقبل.

أمّا الوعي بلغة النص فيعني الوعي بفكر النص، والمحلل اللغويّ في تحليلاته لا يتعامل مع حقائق أو جوانب معرفيّة مسبقة يفرضها على النص، بل إنّ النصّ هو الذي يستدعي هذه المعارف في بعض الأحيان؛ لحلّ إشكالاته. ويسعفنا ما جاء به روبرت دي بوجراند من تصورات حول طبيعة التحليل اللغويّ، فهو يرى أنّ لغة النصّ هي المنطلق في عملية الكشف عن بناء

---

(١) انظر: Ibid. p. 37. And p.p. 31-87.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النصّ وعلاقاته[1]، فالمحلل يبدأ من السياق اللغويّ – كما يفهم من كلامه – ثم بعد ذلك ينظر في السياقات الأخرى غير اللغويّة.

ويترتّب على العنصرين الأولين أن العناية ستتجه نحو المرسل والمستقبل في آن واحد، فالإحالة تبدأ بالمرسل وتنتهي بالمستقبل. وهذا يعني أن النص ليس كياناً منغلقاً على نفسه، وفي هذه المسألة يُصرّح براون ويول بأن الاكتفاء بالنص وبعلاقاته المنغلقة لا يعدان من الأمور الكافية في التحليل اللغوي، بل لا بُدّ من معرفة جوانب أخرى-بحسب تصريحهما- غير الإحالات الضميريّة مثلاً، مثل المتحدث والسامع وظروف الإنتاج[2]. وهذا يعني أنّه بالإمكان تقديم تحليل "براجماتي-دلالي" للعمل الإحالي، لا تقديم وصف شكلي له كما هو الحال عند هاليداي وحسن وغيرهما من الذين نقلوا عنهما، كالأزهر الزناد وسعيد بحيري من الباحثين العرب المحدثين. وهذا ما سيتم تحقيقه في هذا المبحث.

أ.فعالية الأداء الإحالي في التماسك النصيّ

كان تركيز معظم علماء لغة النص في بحثهم للإحالة على ما يمكن تسميته ب "البعد الظاهر" من الفعل الإحالي، فخرجت بحوثهم-وإن اختلفت لغاتها- بنتيجة واحدة وهي أن الإحالة تؤدي إلى انسجام النصّ وتماسكه. أمّا كيف تؤدي ذلك؟ فهذا ما لم يُعْطَ حقّه من البحث إلى الآن. وكما أشرت سابقاً إن دراسة الإحالة ودورها في تماسك النّص لا يقوم على دراسة الإحالة من منظور وصفي مثل التقسيم الذي يقدّمه هاليداي وحسن، وإنما لا بُدّ من دراستها من منظور تحليلي، يَتّخِذ النصّ وسياقاته المختلفة أساساً في عملية التحليل. فما قدّمه هاليداي وحسن، يمكن أن يكون نواة ننطلق منها في عملية التحليل قَصْد البناء.

---

(١) انظر:

Debeagrande, Robert. (Text Linguistics in Discourse Studies). In: Van Dijk. Teun A: (Editor): Hand Book of Discourse Analysis. Academic Press. (A.P) Harcourt Brace Javonovich, Publishers London L.T.D 1985. Vol. 1. P./54.

(٢) انظر: Brown, Gillian & Yule, George. Discourse Analysis p. 27.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي أثناء متابعة النصوص، ثبت لي أن الإحالة لها فعلٌ كبير ودقيق في النصوص، من حيث التوجيه والربط الدلالي، وهي بحسب دلالتها وفعاليتها في الربط يمكن أن تصنَّف إلى:

١. إحالات سببيّة[١]

وتعني أن العنصر المحيل إلى عنصر سابق أو لاحق، يمثل حضوره في النّص أداة مهمّة من أدوات التماسك النصيّ، ويكوّن حذفه كلمات أو تراكيب لا رابط بينها، فتكون العلاقة بين المحيل والمحال إليه سببيّة تلازميّة، ومن ذلك قول امرئ القيس:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي[٢]

إن الضمير المستكن خلف التاء في الفعل (فقالت) وهو "هي" يمثل إحالة إلى عنيزة التي هي سبب دخول المرسل إلى الخدر. فالعلاقة بين المحيل والمحال إليه علاقة سببيّة. والذي يؤكّد ذلك مقتضيات الدلالة. فالإحالة هنا هي التي تشكّل المعنى الكلي للبيت، كما أنّها هي التي تَشَكّل البنية الحواريّة.

ومن ذلك قول عنترة بن شدّاد:

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُمَاةُ نِزَالَهُ لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ[٣]

جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ[٤]

فالضمير في شبه الجملة (له) يعود إلى المدجج الذي استحضرته مخيلة المرسل؛ ليكوّن مشهداً حربياً متكاملاً؛ يخدم هدفه الذي يتضمن التركيز على استمراريّة الحركة والقوة، وهذا لا ينسحب على هذين البيتين وحسب، بل على كلّ الأبيات التي جاءت لغرض التفصيل في رسم المشهد داخل النص.

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الأنباري: محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٣٦.

(٣) المصدر نفسه ص٣٤٥.

(٤) المصدر نفسه ص٣٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. إحالة الحذف[١]

ويقصد بهذا المصطلح فعالية العنصر الإحالي[٢] المحذوف في ترابط النص وانسجامه ففي الشعر تحديداً نلحظ كثيراً من العناصر الإحاليّة المحذوفة التي تقدّر في البنية العميقة للنّص، فتبقى هذه العناصر ماثلة في الذاكرة النصيّة، ويتم تقديرها اعتماداً على المقام والتتابعات النصيّة لبعض العناصر.

ومن إحالة الحذف قول طرفة:

كَقَنْطَـــرَةِ الرُّومِـــيِّ أَقْسَـــمَ رَبُّـــهَا لَتُكتَنَفـــاً حَتَّـــى تُشَـــادَ بِقَرْمَـــدِ[٣]

صُهَابِيَّـــةُ العُثْنُـــونِ مُوْجَـــدَةُ القَـــرَا بَعِيْـدَةُ وَخْـــدِ الرِّجْـــلِ مَـــوَّارَةُ الْيَـــدِ[٤]

ففي بداية كلّ بيت لا بُدّ من تقدير العنصر الإحالي المحذوف، الذي يتضمن الإحالة الى سابق تحدّده الذاكرة النصيّة، وتقديره يؤثّر في توجيه الإحالات النصيّة الأخرى، ويجعلها منسجمة، ومتوافقة. فالانسجام شرط مهم من شروط الإحالات النصيّة، وبخاصّة إذا تعددت الإحالات التي تحيل إلى ماهيّة واحدة. ويمكن تقدير العنصر الإحالي المحذوف ب: "هي" فتصبح التراكيب (هي كقنطرة الرومي)، (هي صهابيّة العثنون...الخ)، وحذف العنصر الإحالي هنا له قيم كبيرة يمكن حصرها في الآتي:

١. تخفيف حدّة التواتر الإحالي.

٢. تعميق الإحساس بوصف الناقة.

٣. الارتقاء بالإحالة إلى حَيِّز الذهنية (لأن المستقبل يَعْمَد إلى التقدير).

---

(١) سماها دي بوجراند في كتابه: النص والخطاب والإجراء بـ: (الإحالة لغير مذكور) وكان كلامه على درجة كبيرة من التعميم، انظر: ص ص ٣٣٢-٣٣٩.

(٢) مصطلح "العنصر الإحالي" أخذته من الأزهر الزناد ص (١٣١).

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع، ص ١٦٤.

(٤) المصدر نفسه ص١٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. التنبيه ولفت الانتباه؛ لأن قوله: هي"كقنطرة الرومي" و "هي صهابيّة العثنون" فيه درجة من البرودة الشعرية؛ تجعل المستقبل يستقبل التركيب بصورة عاديّة دون أن يعمل ذهنه. أما قوله: كقنطرة الرومي وصهابيّة العثنون فهو أقوى، وفيه دعوة إلى المستقبل للانتباه وعدم الملل من ذكر الأوصاف المتتابعة.

٣. إحالة إسناديّة(١)

ويُقْصَد بهذا النوع من الإحالة أن المسند إليه يقوم بوظيفتين: الأولى إسناديّة، والثانية إحالية، فتأتي الإحالة ضمن إطار عملية إسناديّة متكاملة. ونماذجها كثيرة جداً في شعر المعلقات السبع، ومن ذلك قول الحارث بن حلزة اليشكري:

فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ حَتَّى ... مَلَكَ المُنْذِرُ بنُ ماءِ السَّماءِ(٢)

وهو الرَّبُّ والشَّهِيْدُ عَلَى يَوْ ... مِ الْحِيَارَيْنِ والْبَلاَءُ بَلاءُ(٣)

مَلِكٌ أضْلَعُ البَرِيَّةِ لا يُوْ ... جَدُ فِيْهَا لِمَا لَدَيْهِ كَفَاءُ(٤)

أما الوظيفة الإسنادية التي يؤديها العنصر الإحالي – وهو هنا الضمير المنفصل (هو)– فتؤكِّد رغبة المرسل في إثبات بعض الصفات الحسيّة والمعنويّة للمنذر، وجعلها ملازمة له؛ لأن فوز المنذر يعني فوز الشاعر وقومه؛ لأنهم ترافقوا جميعاً لغزو أهل حيّ الحيارين. وأما الوظيفة الإحاليّة له فتكمن في إحالته إلى المنذر بن ماء السماء من جهة، وتقوية دائرة الوصف من جهة أخرى؛ لأن الضمير "هو" الذي يشكِّل العنصر الإحالي في النصّ، هو حاضن للأوصاف ومَصْدَر لها، وبما أنّه معهودٌ لدينا وتمَّ ذكره؛ فقد حذفه الشاعر من البيت الأخير إذ التقدير هو ملكٌ.

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الأنباري: محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٧٤.

(٣) المصدر نفسه ص٤٧٥.

(٤) المصدر نفسه ص٤٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويُلمَحُ من خلال موقعية العنصر الإحالي في هذه الأبيات، أنّه يخضع لقصديّة المرسل، رغم أن المستقبل هو الذي يقدّره مثلاً إن كان محذوفاً، فحذف العنصر الإسنادي الإحالي في البيت الثالث كان لأغراض كثيرة؛ أهمها على الإطلاق التخلص من برودة التعبير الشعري.

٤. إحالة تجريديّة(١)

ويُقْصَدُ بها أن يحيل العنصر الإحالي مهما كان نوعه إلى شيء أو ماهيّة ما تستند عليها البنية النصيّة، فالشاعر الجاهلي كان يلجأ كثيراً إلى تجريد شخص أو أكثر؛ ليحدثه. وتكمن قيمة هذا التجريد في أنه يُشَكِّل تقنية يتكئ عليها الشاعر في التفصيلات الخاصّة بالموقف الشعري من جهة، وفي ربط بعض الملفوظات بالعنصر المجرّد؛ وهو بذلك يسدّ فراغات كثيرة في فضاء النص الشعري، والشواهد على ذلك كثيرة منها قول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ(٢)

فالملفوظ "قفا" يحيل إلى متصوّر ذهني يصعب الوصول إليه من خلال النص، بل لا بُدّ من الإبحار في العوالم المشكلة للنص؛لذا فإن الملفوظ يتضمّن الإحالة إلى رِفْقَةٍ جَرّدها الشاعر، وهذا التجريد هو مرتكز التفصيلات التي جاءت ابتداءً من البيت الأوّل وحتى الخامس في القصيدة؛ وتأكيداً لذلك يمكن إيراد قول الشاعر في البيت الخامس:

وُقُوفَاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ(٣)

فوقوفاً هي حال عاملها الفعل "قفا" في البيت السابق، كما أن الفعل "قفا" ولفظ الحال "وقوفاً" يشتركان في المادّة المعجميّة نفسها، وهي: "وقف". وهذا يُقَوِّي الرابطة النصيّة فيما بين أبيات القصيدة.

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث، وما ذكره الأزهر الزناد في حديثه عن العناصر الإحاليّة المتصلة بمواد معجميّة، لا علاقة له بهذا المصطلح. انظر: نسيج النص ص١٣٢.

(٢) الأنباري: محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص١٥.

(٣) المصدر نفسه ص٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن الأمور اللافتة للنظر في الإحالة التجريديةأن الشاعر يلجأ إلى التجريد؛ لاصطناع الحوار داخل النصّ، وفي هذه الحالة يُفْرِغُ الشاعر ما عنده من أحاسيس وهواجس في تراكيب يوازي بعضها بعضاً، مما يجعل القصيدة متماسكة في المعنى وفي المبنى معاً، ومن ذلك سلسلة التجريدات التي استحضرها طرفة بن العبد في قوله:

ذَرِيْنِي أُرَوِّي هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا ... مَخَافَةَ شِرْبٍ فِي الحياةِ مُصَرَّدِ[1]

كَرِيْمٌ يُرَوِّي نَفْسَهُ فِي حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إنْ مُتْنَا غَداً أيُّنَا الصَّدِي[2]

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بَخِيلٍ بِمالِهِ ... كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ[3]

تَرَى جَثْوَتَيْنِ مِنْ تُرابٍ عَلَيْهِمَا ... صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيْحٍ مُنَضَّدِ[4]

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيْلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ[5]

أَرَى العيشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وما تَنْقُصِ الأيَّامُ والدَّهرُ يَنْفَدِ[6]

لَعَمْرُكَ إنّ الموتَ مَا أخطَأَ الفَتَى ... لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَدِ[7]

فَمَا لِي أرَانِي وابْنَ عَمِّي مَالِكاً ... مَتَى أدْنُ مِنْهُ يَنْأَ عَنِّي ويَبْعُدِ[8]

فهو في هذه الأبيات يُجَرِّد متحدثاً ومتحدثةً؛ ليتحاور معهما؛ لأن في هذا الحوار توالداً للألفاظ وللمعاني أيضاً، فالألفاظ يتوالد بعضها من بعض، ويلحظ هذا في: (ذريني، أرى، تـوى،

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه ١٩٨.

(٣) المصدر نفسه ١٩٩.

(٤) المصدر نفسه ٢٠٠.

(٥) المصدر نفسه ٢٠٠.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٠١.

(٧) المصدر نفسه ٢٠١.

(٨) المصدر نفسه ص ٢٠٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أرى، أرى، أراني). وهذا يثبت أن الحوار هو الحالة الأولية للخطاب[١]، ومن وسائل الربط التي تولدت عن الإحالة إلى المجرد:

١. التكرار، وهذا أمر شديد الوضوح.

٢. الوصل الذهني أو المقدر، فجميع الأبيات لا تترابط بفعل التكرار اللفظي وحسب، بل بفعل التشابه التدويمي فيما بين تدويمات الأبيات؛ لأن جميع هذه التدويمات تركز على تحقيق المغزى الأساسي وهو: (عدم ديمومة الأشياء). ولقد أكد الشاعر المغزى بالقسم في البيت قبل الأخير. وكأنه أراد أن يقول: تبصر يا مالك فلا شيء دائم أبدا. وهذا يثبت أن التجريد مثلما يمدد التراكيب النصية يعود إلى تقليصها واختزالها ثانية.

إن بزوغ الوصل المقدر (الذهني) من لدن الإحالة التجريدية يثبت المؤازرة الحاصلة فيما بين الإحالة والوصل؛ من اجل الوصول إلى نص متماسك، ورسالة ناجحة.

٥. الإحالات الارتكازية[٢]

ويقصد بالإحالة الإرتكازية، ذلك الضرب من الإحالات الذي يتمتع بخصيصة الامتداد الأفقي في النصوص، بحيث يذكر العنصر الإحالي في نقطة ما داخل النص؛ ليحيل إلى المحال إليه والذي غالبا ما يكون بعد مجموعة كبيرة من التراكيب، وهذا يحدث لغرضين أساسيين وهما:

أ.لغوي: هو ربط التراكيب المتباعدة نصيا بعضها ببعض.

ب.نفسي: شد انتباه المستقبل لمتابعة النص.

---

(١) انظر: Macdonelle, Diane. Theories of Discourse (An Introduction) p.p. (1-2).

(٢) هذا المصطلح من وضع الباحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأمثلته كثيرة جداً، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألاَ هُبِّـــي بِصَحْنِـــكِ فَاصْبَحِيْنَـــا ... وَلاَ تُبْقِـــي خُمُـــورَ الأَنْدَرِيْنَـــا[1]

مُشَعْشَـــعَةً كَـــأنّ الحُـــصَّ فِيْـــهَا ... إِذَا مَـــا المَـــاءُ خَالَطَـــهَا سَـــخِيْنَا[2]

تَجُـــورُ بِـــذِي اللُّبَانَـــةِ عَـــنْ هَـــوَاهُ ... إِذَا مَـــا ذَاقَـــهَا حَتَّـــى يَلِيْنَـــا[3]

تَـــرَى اللَّحِـــزَ الشَّـــحِيْحَ إِذَا أُمِـــرَّتْ ... عَلَيْـــهِ لِمَالِـــهِ فِيْـــهَا مُـــهِيْنَا[4]

صَبَنْـــتِ الْكَـــأْسَ عَنَّـــا أُمَّ عَمْـــرٍو ... وَكَـــانَ الْكَـــأْسُ مَجْرَاهَـــا الْيَمِيْنَـــا[5]

وَمَاشَـــرُّ الثَّلاثَـــةِ أُمَّ عَمْـــرٍو ... بِصَـــاحِبِكِ الَّـــذِي لا تَصْبَحِيْنَـــا[6]

إنّ العنصر الإحالي في قوله (هُبِّي) هو ضمير المخاطبة المؤنث، وهو كما نرى في هذه الأبيات يعود أو يحيل إلى أمّ عمرو في البيت الخامس. وهذا يمثل نقطة ارتكاز للشاعر، ومن ثم فهو يغطي بالربط المتكامل جميع تراكيب الأبيات. والذي يُلْحظ أن العنصر الإحالي يحيل إلى مُحَال إليه، والمُحَال إليه نفسه يصبح عنصراً إحالياً، يحيل إلى مُحَال إليه آخر، فالضمير يحيل إلى أم عمرو، وأم عمرو تحيل إلى ضمائر أخرى سابقة. وهذا النمط بالإضافة إلى تسميته بالإحالة الارتكازية يمكن تسميته بالإحالة التشبيكيّة؛ لأن جميع مراحل الإبداع في

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٣٧١.

(٢) المصدر نفسه ٣٧٢.

(٣) المصدر نفسه ٣٧٣.

(٤) المصدر نفسه ٣٧٣.

(٥) هذان البيتان ذكرهما الزوزني في كتابه: شرح المعلقات السبع ص١٦٦. ولم يذكرهما الأنباري في شرحه، وأرجح هنا رواية الزوزني؛ لأنّ التكرار المعجمي يثبت ذلك؛ إضافة إلى أن الكأس من أهم أدوات مجلس الشرب؛ إضافة لوجود أبيات في القصيدة تحمل المنحى الأسلوبي نفسه في عملية الصوغ وقد ذكرها الأنباري وهذه بعضها:

- ندافع عنهم الأعداء قدماً ... ونحمل عنهمُ ما حمّلونا ص٣٩٤.
- نطاعن ما تراخى النّاس عنّا ... ونَضْرِبُ بالسيوف إذا غُشينا ص٣٩٤.
- وكُنّا الأيمنينَ إذا التقينا ... وكان الأيسرينَ بَنوُ أبينا ص٤١١.

(٦) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الوصف تبدو متقاطعة بعضها مع بعض بوساطة التشبيك الإحالي المستمر والربط لجميع الأوصاف: (وصف حركة الجارية - وصف الخمرة).

٤. الإحالات التماثلية[١]

ويُقْصَدُ بها تغذية المُحَال إليه بمجموعة من العناصر الإحاليّة المتشابهة، فتجتمع هذه العناصر وتتآزر فيما بينها؛ لتحيل إلى ماهيّة واحدة، ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التِّلاعِ مَخَافَةً ... وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ[٢]

وإنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي ... وإنْ تَقْتَنِصْنِي في الحوانيْتِ تَصْطَدِ[٣]

مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحْكَ كَأْسًا رَوِيَّةً ... وإنْ كُنْتَ عنها غَانِياً فاغْنَ وازدَدِ[٤]

وإنْ يَلْتَقِ الحَيُّ الجميعُ تُلاقِنِي ... إلى ذِرْوَةِ البيتِ الكَرِيْمِ المُصَمَّدِ[٥]

إن ياء المتكلم في التراكيب تبغني، وتلقني، وتقتنصي، وتصطدي، وتأتني، تلاقيني تحيل إلى الأنا الشاعرة المستكنّة خلف الياء الظاهرة. وتعمل على تغذية الأنا، وتعمّق الإحساس بها. وهناك شواهد كثيرة على هذا النوع من الإحالات، فالهدف هو التمثيل لا الحصر.

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ١٨٦.

(٣) المصدر نفسه ١٨٧.

(٤) المصدر نفسه ١٨٧.

(٥) المصدر نفسه١٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥. الإحالات التخالفية[١]

ويُقْصَدُ بها الجمع بين عنصرين إحاليين يختلف أحدهما عن الآخر، رغم اتفاقهما في اللفظ، ولا ينسحب هذا على ما يُسمى بالإحالة التكراريّة (Epanaphora)؛ لأن الإحالة التكراريّة تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص لقصد التأكيد[٢].

ومن الإحالة التخالفية قول عمرو بن كلثوم:

صَبَنْتِ الكَأْسَ عَنَّا أمَّ عمرٍو ... وَكانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِيْنَا[٣]

وَمَا شَرُّ الثَّلاثَةِ أمَّ عَمْرٍو ... بِصَاحِبِكِ الَّذِي لاَ تَصْبَحِيْنَا[٤]

وكأسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ ... وَأُخْرَى فِي دِمَشْقَ وَقَاصِرِينَا[٥]

يظهر للقارئ أول وهلة أن كؤوس الخمر في هذه الأبيات متشابهة، ولكنّ الحقيقة على خلاف ذلك، فالكأس الأوّل فيه درجة كبيرة من التخصيص والتحديد، إنّه كأس أم عمرو. أما الكأس الثاني ففيه تعميم؛ لأنّ من عادة العرب أن تُجري الكأس من اليمين إلى الشمال، فهذا كأس عام؛ وليؤكدّ الشاعر هذه العموميّة، قال في البيت الثالث (وكأسٍ)، وقوله هذا فيه إحالة إلى جلسات الشاعر المختلفة في الأماكن المذكورة. وهذا التضاد أو التخالف الإحالي رابط للتراكيب، ولولاه لما انسجم النص، وكأن الشاعر يريد أن يقول: يا أمّ عمرو إن فعلك هذا خاطئ؛ لأن العادة الأصيلة تقتضي أن تُجرى الكؤوس من اليمين، وأنا أعرف قَصْدَك، ولقد شربت كؤوساً في مناطق مختلفة، فالكأس الثالث في البيت الثالث يشير إلى غضب الشاعر.

هذا أهم ما يمكن بحثه في فعالية الأداء الإحالي وأثره في ربط التراكيب بعضها ببعض.

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الزناد، الأزهر. نسيج النص ص١١٩.

(٣) الزوزني، الحسين بن أحمد. شرح المعلقات السبع ص١٦٦.

(٤) المصدر نفسه ص١٦٦.

(٥) المصدر نفسه ص١٦٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقبل الانتقال إلى المبحث الرابع يمكن القول إن الإحالات النصيّة بجميع مظاهرها تعمل على توفير الربط الدلالي للتراكيب النصيّة، كما أنّها تحتل مكاناً بارزاً بين مجموعة الروابط التركيبيّة النصيّة؛ لأنّها بجميع مظاهرها تعمل على تفعيل العناصر التي تفي بقيود النصيّة، وفعاليتها تتمتع بدرجة عالية من الحركية. لذا فإن العمل الإحالي يمكن وصفه بأنه عمل منفتح لا منغلق على نفسه. وهذا يعني أنّه عمل مُؤطر للتماسك النصيّ من لدن النص نفسه، ومّما هو خارجه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع: بعض جوانب الربط الذكري[1]

الروابط النصيّة التي تقوم على علاقة الذكر وعدمه هي الحذف والتقديم والتأخير، والتكرار. وهي جميعها ظواهر انحرافيّة؛ تُقَدَّر أو تُلْحَظ في النصّ؛ وذلك لثباتها في ذاكرة النص. وهذا الثبات ناشئ عن الوظائف المهمّة التي تؤديها. إذْ من شأنها أن تجعل النص متسقاً، وبطريقة مقنعة، تضمن سلامة التواصل فيما بين المرسل والمستقبل. وتناول هذه الظواهر في هذه الأطروحة ليس تكراراً لما بحثه العلماء قديماً وحديثاً، وإنّما هو من قبيل التركيز على قدرة هذه الظواهر على ربط التراكيب وتماسكها داخل النص، أي فعاليتها النصيّة. وفيما يلي بحث لذلك.

أ.ظاهرة الحذف

إنّ الحذف هو أحد العلاقات النصيّة التي لا يجب إغفالها في عمليّة فهم النص وتحليله؛ لأن الفهم الصحيح للنّص ناتج عن التماسك الحقيقي له.

ما زالت ظاهرة الحذف حتّى وقتنا الحاضر تبحث وفق اتجاهات شكلية مختلفة[2]، فأكثر الباحثين يركّزون في دراستهم لهذه الظاهرة على جوانب نحويّة بسيطة، وغالباً لا ينظرون إلى القيم والفوائد العظيمة لهذه الظاهرة من منظور شامل ومتكامل.

وبَحْثُ الحذف من منظور نَصّي، يستدعي النظر في الأثر الذي يقوم به في اتّساق النص. ووفقاً "لفان ديك": إن قوانين البنية النصيّة الكبرى (البنية العميقة عند تشومسكي) تؤدي إلى انسجام النص. ويأتي الحذف؛ ليؤكّد فعاليّة هذه القوانين ويطلق على قوانين البنية الكبرى

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: ما قدّمه "جان كوهن" بخصوص حذف النعت في كتابه بنية اللغة الشعرية ص١٣٤. وما كتبه الدكتور طاهر سليمان حمّوده في كتابه ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي. فما قدمّه حمّوده هو اجترار لما قدّمه اللغويون القدماء – رحمهم الله.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مصطلح: (Macro Rules)، ويُصبح النصُّ بعد إدخال قانون الحذف قضيّة البنية الكبرى، أي: قضيّة النص[1]. بمعنى أن الذي يوصلنا إلى مغزى النص هو قانون الحذف.

والذي يُلْحظ على هذا الطرح أنّه يُركِّز على كيفيّة الاختزال، لا على كيفيّة التركُّب والبناء، بمعنى أنّه لا يخبرنا عن الهدف النصيّ للحذف، ولهذا لا بُدّ من التركيز على الأهداف الجزئية للحذف من منظور نحو النص لا نحو الجملة؛ فالجزء هو الذي يوصل إلى الكل، وإذا عُلِمتْ مقاصد الحذف الجزئية فإن هذا سيساعد المستقبل على فهم كيفية البناء وتحليله.

ومن خلال التحليل اللغوي، ثبت أن الحذف له أهداف نصيّة ومقاصد متنوعة داخل النص، ويمكن إجمالها فيما يلي:

١. تثبيت السياق ودعمه

ذكرت فيما مضى أن السياق هو حضور علائقي بين الألفاظ والجمل ومعانيها. واستمرار الحضور يعني استمرار العلاقات. وحينما ينقطع حبل العلاقة فالسياق لا يعود سياقاً. فالسياق يسقط بسقوط العلاقات، فهو مهدّد بعنصرين:

أ. ضعف الحضور.

ب. انقطاع العلاقات.

ويأتي الحذف؛ ليحافظ على السياق من السقوط، وحتى أوضح ذلك فلننظر في قول لبيد بن ربيعة العامري:

عَفَتِ الدّيار مَحَلُّها فَمُقَامُها ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُها[2]

---

(١) انظر:

Van Dijk, Teun.. Semantic Discourse Analysis. In: Van Dijk, Teun. A. (Editor): HandBook of Discourse Analysis. Academic Press (A.P) Harcourt Brace Javonovich, publishers, London L.T.D.1985. V.2. P. 116.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص٥١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَمَدَافِـــعُ الرَّيَّـــانِ عُـــرِّيَ رَسْـــمُهَا خَلَقَـاً كَمَـا ضَمِـنَ الوُحِـيُّ سِـلامُها[1]

دِمَـــنٌ تَجَـــرَّمِ بَعْـــدَ عَـــهدِ أنِيسِـــهَا حِجَـــجٌ خَلَـــوْنَ حَلاَلُـــهَا وحَرَامُـــها[2]

عبر البنية السطحيّة لهذه الأبيات يتراءى للقارئ أنّه لا يوجد حَذْف فيها، ولكن التحليل السياقي يثبت وجود محذوفات مقصودة، يهمنا منها الحذف الذي اعترى التركيب الإسنادي في البيت الثالث: (# دمنٌ)، إذ تمّ حذف المسند إليه، والتقدير: (هي دِمنٌ). وتَمّ هذا الحذف؛ لأن الشاعر في سياق الحديث عن معالم الدِّيار. وهذا الأمر معروف بالنسبة للمستقبل من قول الشاعر: (عفت الديارُ). أي من خلال السياق اللغوي نفسه، ولو قام الشاعر بذكر المسند إليه؛ لانحطّ بالتركيب الإسنادي من درجة الإبلاغية والتأثير إلى التقريريّة الباهتة، ومن ثم يَنْحَطّ السياق. فالشاعر لا يسعى إلى وصف الديار بِقَدْر ما يَسْعى إلى وصف حزنه وأساه تجاه الدِّيار. هذه هي الشعريّة بعينها، وهذا ما يُمَيِّز النص الشعري عن غيره.

٢. التماسك المنطقي للتراكيب

يأتي تقدير المحذوف في كثير من الأحيان؛ ليجعل التراكيب متماسكة منطقياً، وبدون التقدير – عبر البنية الصغرى – يبدو النصّ مشوشاً وغير منطقي، ومن ذلك قول لبيد:

فَعَـــلا فُـــرُوعُ الأيْـــهُقَانِ وَأطْفَلَـــتْ بِالْجَـــهْلَتَيْنِ ظِبَاؤُهَـــا وَنَعَامُـــهَا[3]

يضم هذا البيت تركيبين سطحيين، ويبدو مكتملاً، في حين تستدعي البنية العميقة للنص وجود تركيب ثالث، هو الذي يعطيه سمة الاكتمال والصحّة المنطقية، فالمنطق يقتضي هذا التركيب[4]: فنحن نقرّ بأن الظباء تُولد، ولكن كيف تَلِد النعام؟ إن النعام لا تلد ولادة إنما تبيضُ بيضاً؛ لهذا لا بدَّ من التقدير التالي حتى يترابط النصّ منطقياً و(أطفلت بالجهلتين ظباؤها)

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص٥١٨.

(٢) المصدر نفسه ص٥٢٠.

(٣) المصدر نفسه ص٥٢٤.

(٤) هذا يقابل عند القدماء مصطلح: القرينة العقلية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

و(باضت أو أفرخت نعامها). فلا يستقيم النصّ دون تقدير المحذوف، وإن ترابطت التراكيب بوساطة حروف العطف. إن تقدير المحذوف واللجوء إلى التقدير عموماً، يؤكّد حقيقة مؤداها أنّ التماسك كينونة ذهنية، أو أنّه لازمه نصيّة تجعل من النصّ كينونة ذهنية عقليّة[1]. ومن الجدير ذكره أن الحذف قد يقع هنا، لغرض إقامة الوزن وحسب، وفي هذا تضحية بالصحّة المنطقية للتركيب الذي طاله الحذف، وهذا أمر غير مقبول، فالصحة المنطقية هي الأساس.

٣. الحذف لتحاشي التكرار غير الهادف نصيّاً

التكرار ظاهرة مُهمة تُسْهِم في بناء نحويّة النّص؛ لأن في التكرار تماسكاً وانسجاماً، ففي بعض الأحيان – وهي قليلة جداً – يُحْدِث التكرار انقطاعاً سياقياً، فيعمل الحذف على عدم حدوث الانقطاع، فتكون مهمّة الحذف اتّساقيّة مقصودة، ومن ذلك قول عنترة بن شداد:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[2]

إلاَ رَوَاكِدَ يَيْنَهُنَ خَصَائِصٌ وَبَقِيَّةٌ مِنْ نُؤْيِهَا المُجْرَنْثِمِ[3]

إن التركيب (إلاّ رواكِدَ) يستدعي عاملاً وهذا العامل يُقَدَّر بـ (ما عرفت إلاّ رواكد). ولكن عُمِدَ إلى حذف العامل؛ لأن ظهوره يُؤدّي إلى انقطاعٍ في السياق؛ وذلك لأنّه يُصْبح تكريراً لـ (عرفت) في البيت الأوّل، فالحذف هنا أدّى إلى وصل التركيب في البيت الثاني (إلاّ رواكد) بالفعل (عرف) في البيت الأول؛ لأن (إلاّ رواكد) من حيث هي بنية استثنائية أقوى هنا. وهذا البيت يمكن أن يضاف إلى المعلقة، لأنّه شديد الارتباط بسابقه، فالبنية الاستثنائية هنا مترتبة على البنية الاستفهامية (أم هل عرفت الدار بعد توهُّم)، فالعلاقة بينهما علاقة تدرّجيّة (ما عرفت إلاّ رواكد).

---

(١) انظر: Anngerns Bacher, Morton & T. Givon. (Editors): Coherence in Spontaneous Text. The Prefeace p (I).

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٢٩٤.

(٣) ذكره الدكتور فخر الدين قباوة نقلاً عن حاشية النحاس، انظر: شرح المعلقات العشر، الخطيب التبريزي، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت، دار الآفاق، ط٤، ١٩٨٠م ص٢٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. التخلص من الحشو

قد يؤدي الحذف إلى انسجام النص وتماسكه بتقليص حجم الاستطالة، "ذلك أن الإيجاز فضلاً عما فيه من تخفيف يكسب العبارة قوّة ويجنبها ثقل الاستطالة وترهلها"[١]. ويأتي هذا الحذف لعلم المرسل والمستقبل بملابسات القضيّة. ومن ذلك قول امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إنَّ شَأْنَنَا قَلِيْلُ الْغِنَى إنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ[٢]

فقد حذف جواب الشرط في جملة (إن كنت لما تمولِ)؛ لتحاشي الدخول في الحشو غير الهادف، وتم الحذف لعلم المستقبل بملابسات الموقف. ويمكن تقديره بـ (إن كنت قليل الغنى مثلي فإننا فقراء). وهناك أغراض كثيرة للحذف لا يحتمل البحث ذكرها؛ فهي مبثوثة في كتب النحو، وجميعها تَدْخل ضمن (تثبيت السياق ودعمه).

ب. ظاهرة التقديم والتأخير

حظيت ظاهرة التقديم والتأخير باهتمام جلّ النحويين والبلاغيين العرب المتقدمين، وأفاضوا في الحديث عنها، فذكروا أغراضها وفوائدها، ولكنّ اهتمامهم بها لم يتجاوز نحو الجملة. وثمة إشارات قليلة جداً يمكن أن تدخل في نحو النّص. ولا تقتضي منهجية البحث إعادة ما ذكروه؛ لأن المنطلق هنا يختلف عن منطلقهم. ولكنها تقتضي توظيف بعض ما ذكروه من منظور نصّي، أي توسعة مفهوم هذه الظاهرة، وكذلك الكشف عن فعالية هذه الظاهرة في ربط التراكيب بعضها ببعض داخل النصّ. أمّا كيفية تأدية التقديم إلى تماسك النصّ فهذا بيانه:

إن عملية التقديم والتأخير داخل النصّ تنبع من قصديّة المرسل، وهي بهذا ترتبط بسياقها البراجماتي، فهو الذي يعطيها كينونتها، وهويتها، وشكلها. وقد كان الجرجاني من أبرز العلماء الذين وقفوا على هذه الظاهرة تحليلاً واستنتاجاً ولقد ربطها بسياقها البراجماتي من حيث

---

(١) حمودة، طاهر سليمان. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ص٩٠.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار. شرح القصائد السبع الجاهليات ص٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تركيزه على مبدأ النيّة أو القصد. أي من حيث ربط التقديم والتأخير بنيّة المتكلم[1]. يقول الجرجاني: "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مَسْمَعُه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[2]. إذن فالعامل النفسي له علاقة مباشرة جداً بالتقديم والتأخير. ومن الجدير بالذكر أن علماء لغة النصّ ونحوه في عصرنا هذا بدءاً من "فإنّ ديك" وانتهاءً بـ "بتوفي"، لم يركّزوا بل لم يتناولوا فعالية التقديم والتأخير في عملية بناء النص. وهذا ما ستحاول هذه الدراسة إكماله؛ لما لهذه الظاهرة من أثر كبير في ربط التراكيب النصيّة بعضها ببعض.

ويقوم التقديم والتأخير بوظائف الربط النصيّة التالية:

١. التصعيد الدلالي للتراكيب

وهذه الوظيفة قريبة من وظيفة الوصل التكراري، ولكنها تختلف في طبيعة الانتقال، فالانتقال هنا لا يتم من الحد الطبيعي للدلالة إلى المجازي وتفعيله، وإنما يتم من خلال الانتقال بالتركيب من الحد الطبيعي التقريري، إلى الحدّ الإبلاغي الذي يُمَهِّد لتراكيب أخرى لاحقه، وهنا يحدث الربط، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

لَنَا الدُّنْيَا ومَا أَمْسَى عَلَيْهَا وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِيْنَا[3]

فتقديم شبه الجملة (لنا) على المبتدأ، يحمل رغبة المرسل في تصعيد دلالة التركيب الإسنادي، وجعله أساساً للتراكيب اللاحقة التي تُؤكّد رغبة الشاعر في إثبات دلالتي التوحُّد والتهديد. وهنا في هذا البيت تذوب الأنا الفردية، ويصبح الفعل فعلاً جماعياً عند تقديم ضمير الجماعة المجرور على المبتدأ، وتنسجم دلالات التراكيب المعطوف بعضها على بعض بفعله.

---

(١) انظر: الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز ص٨٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٨٣.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ٤٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. وصل التراكيب بعضها ببعض

قد يأتي المرسل بالعنصر المقدّم؛ لغرض الوصل، أي وصل بيت شعري بآخر، ليستمر في عملية البناء الشعري، ومن ذلك قول لبيد:

بِطَلِيْحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً ... مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وسَنَامُهَا[١]

فَإِذَا تَغَالى لَحْمُهَا فَتَحَسَّرَتْ ... وتقطَّعَتْ بَعْدَ الكِلاَلِ خِدَامُهَا[٢]

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزِّمَامِ كَأَنَّهَا ... صَهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا[٣]

فَقَدَّم الشاعر شبة الجملة (لها) على المسند إليه (هباب)؛ من أجل وصل فعل الشرط في البيت الثاني بجوابه في البيت الثالث. فإلى جانب الوظيفة الإيقاعية هناك وظيفة تركيبيّة، فالشاعر في هذا الموضع تحديداً، لم يُقدِّم المسند إليه؛ من أجل المحافظة على الإيقاع والمحافظة على الوزن فقط. بل من أجل وصل التراكيب بعضها ببعض.

٣. إكساب التراكيب قُوّة تأثيريّة على المستقبل

يلجأ الشاعر إلى استخدام ظاهرة التقديم والتأخير؛ وذلك ليكسب التركيب سِمَة القوّة الإبلاغيّة، فيتوجه اهتمام المستقبل إلى أعلى درجات القبول للنص؛ لأن التأثير يمتد ليشمل تراكيب نصيّة أخرى. ولقد ذكر الجرجاني طرفاً من هذه الوظيفة النّصيّة، فذكر مسألة التقديم للاهتمام، ولكنه ركزّ على توجيه سبب الاهتمام[٤]. والأسباب في الحقيقة كثيرة جداً يُحَدِّدها المقام.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع، ص ٣٥٩.

(٢) المصدر نفسه ٥٤٠.

(٣) المصدر نفسه ٥٤١.

(٤) انظر: الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز ص٨٤. وانظر كذلك: القزويني، الخطيب. الإيضاح في علوم البلاغة ج٢/ص٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إلاّ صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ[1]

فقد قدم الشاعر (نصفٌ) الثانية، ليوجِّه اهتمام المستقبل إلى أهميّة النصف الثاني من الإنسان، وأن هذا النصف لا يقل أهمية عن النصف الأول وهو (اللسان) وإن ابتدئ به.

٤. التماسك الإيقاعي

الإيقاع المتماسك والمنتظم يعطي القصيدة تماسكاً وتأثيراً، فتؤثِّر في المستقبل، وسلامة التأثير تعني نجاح النص في إيصال رسالة المبدع. وتؤدي هذه الظاهرة – أي التقديم والتأخير – إلى التماسك الإيقاعي. وهي تمثل تقنية عمل الشاعر الجاهلي على توظيفها؛ حفاظاً على سلامة الإيقاع. وهذا يدل على مقصديّة عند الشاعر الجاهلي، اقتضت استغلال تقنية التقديم والتأخير في عملية بناء القصيدة. ومن ذلك قول الحارث بن حلزة:

وَأَتَانَا عَنِ الأَرَاقِمِ أَنْبَا ءٌ وَخَطْبٌ نُعْنَى بِهِ ونُسَاءُ[2]

أَنَّ إِخْوَانَنَا الأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قَوْلِهِمْ إِحْفَاءُ[3]

يَخْلِطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْـ ـبِ وَلاَ يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الخَلاَءُ[4]

زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْـ ـرَ مُوَالٍ لَنَا وأَنَّا الْوَلاَءُ[5]

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ بليلٍ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ[6]

مِنْ مُنَادٍ ومِنْ مُجِيْبٍ ومِنْ تصـ ـهَالِ خَيْلٍ خِلاَلَ ذاكَ رُغَاءُ[7]

---

(١) الزوزني، الحسين بن أحمد. شرح المعلقات السبع ص١٢٢.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٤٤٥.

(٣) المصدر نفسه ٤٤٦.

(٤) المصدر نفسه ٤٤٨.

(٥) المصدر نفسه ٤٤٩.

(٦) المصدر نفسه ٤٥٢.

(٧) المصدر نفسه ٤٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أيُّـــها النَّـــاطِقُ المُرَقِّـــشُ عَنَّـــا ... عِنـــدَ عَمْـــرو وهَـــلْ لـِـذَاكَ بَقَـــاءُ[1]

لا تَخَلْنَـــا عَلَـــى غِرَاتِـــكَ إنَّـــا ... قَبْـلُ مَـا قَـدْ وَشَـى بِنَـا الأَعْـدَاءُ[2]

فَبَقِيْنَـــا عَلَـــى الشَّـــنَاءَةِ تَنمِيْـــ ... ـنَـــا حُصُـــونٌ وَعِـــزَّةٌ قَعْسَـــاءُ[3]

قَبْـلَ مَـا الْيَـومِ بَيَّضَـتْ بِعِيُـونِ الـ ... ـنَّـــاسِ فِيْـــهَا تَعَيُّـــطٌ وإِبَـــاءُ[4]

وكَـــأَنَّ المَنُـــونَ تَـــرْدِى بِنَـــا أَرْ ... عَـــنَ جَوْنـــاً ينجـــابُ عَنْـــهُ العَمَـــاءُ[5]

فالأبيات المتقدِّمة تعتمد من حيث البناء الإيقاعي على تقنية التقديم والتأخير، فالشـــاعر عَمَد إلى هذه الظاهرة في بناء الوزن والقافية. وأما مواضع هذه الظاهرة فهي (أتانا عن الأراقم أنباءٌ) (في قولهم إحفاء)، و(لا يَنْفَعُ الخليَّ الخلاءُ)، و (أصبحت لَهُمْ ضَوْضاء)، و (خـــلالَ ذاكَ رُغَاءُ)، و (هل لذاك بقاءُ)، و (وشى بنا الأعداءُ)، و (فيها تَغَيُّظٌ وإباءُ)، و (ينجابُ عنهُ العماءُ).

وهذا الاستعمال يبرز خصيصة أسلوبيّة مهمّة عنده، كما أنّه يـــبرز العلاقـــة الجدليّـــة التلازميّة بين طريقة التفكير وطريقة الصّوْغ، فالقصيدة من أولها إلى آخرها تسير علـــى هـــذا النهج. والمراوحة في الاستعمال – أي توظيف هذه الظاهرة وغيرها – قليلة جداً، بل تكـــاد أن تكون معدومة كما هي الحال في الأبيات السابقة.

ومن استغلال ظاهرة التقديم والتأخير في عملية بناء النص لغةً وفكراً وإيقاعاً، ما نجـــده في معلقة لبيد بن ربيعة العامري، إلاّ أنّ الأمر عند لبيد أكثر قبولاً مما هو عند الحـــارث؛ لأن لبيداً سَعَى إلى الفكر والإيقاعِ معاً من خلال التقديم والتأخير، فكان يراوح في الاستعمال، ومـــن ذلك قوله:

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال، ص ٤٥٣.

(٢) المصدر نفسه ٤٥٤.

(٣) المصدر نفسه ٤٥٦.

(٤) المصدر نفسه ٤٥٨.

(٥) المصدر نفسه ٤٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بَـاتَتْ وأسْـبَلَ وَاكِـفٌ مِـنْ دِيْمَـةٍ ... يُـرْوِي الْخَمَـائِلَ دَائِمـاً تَسْـجَامُهَا[1]

تَجْتَـافُ أصْـلاً قَالِصَـاً مُتَنَبِّـذاً ... بِعُجُـوبِ أنْقَـاءٍ يَمِيـلُ هَيَامُـهَا[2]

يَعْلُـوُ طَرِيْقَـةَ مَتْنِـهَا مُتَوَاتِـرٌ ... فِـي لَيْلَـةٍ كَفَـرَ النُّجُـومَ غَمَامُـهَا[3]

وَتُضِـيءُ فِـي وَجْـهِ الظَّـلامِ مُنِـيْرَةً ... كَجُمانَـةِ البَحْـرِيِّ سُـلَّ نِظَامُـهَا[4]

حَتَّـى إِذَا حَسَـرَ الظَّـلامُ وأَسْـفَرَتْ ... بَكَـرَتْ تَـزِلُّ عَـنِ الثَّـرَى أزْلاَمُـهَا[5]

عَلِـهَتْ تَـرَدَّدُ فِي نِـهَاءِ صُعَـائِدٍ ... سَـبْعَاً تُؤَامـاً كَـامِلاً أيَّامُـهَا[6]

حَتَّـى إِذَا يَئِـسَ الرُّمَـاةُ وَأرْسَـلُوا ... غُضْفَـاً دَوَاجِـنَ قَـافِلاً أعْصَامُـهَا[7]

ج.ظاهرة التكرار

يُعَدّ التكرار أحد أهم أدوات الاتّساق النّصي. ولقد بُحِثَ هذا الجانب كثيراً. والذي يَـهُمّ البحث هنا هو الوقوف على كيفيّة حدوث الربط التركيبي بوساطة التكرار، وأثره فـي تماسك النص، أي فعالية التكرار في بناء النص.

وفي البداية يمكن القول: إن ظاهرة التكرار مرتبطة بالمقام ارتباطاً كبيراً جداً، والمقـام (الذي هو قيد براجماتي) هو الذي يكسب هذه الظاهرة العمق الإبلاغي التأثيري. يقول أحمد ابن

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص٥٥٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٥٨.

(٣) المصدر نفسه ٥٦٠.

(٤) المصدر نفسه ٥٦١.

(٥) المصدر نفسه ٥٦٢.

(٦) المصدر نفسه ٥٦٣.

(٧) المصدر نفسه ٥٦٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فارس: "وسُنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بـــالأمر .."[1]. "فالعنايـة بالأمر" هي التي تدفع إلى التكرار؛ ولولا هذا الأمر لما لجأ المُرْسِل إلى هذه الظاهرة.

ويمكن تتبع دور التكرار في عملية ربط التراكيب النصيّة بعضها ببعض مـــن خـــلال العرض لأقسامه، مع إبراز طبيعة كل قسم من الأقسام. فما هي أقسامه؟

يركِّز الباحثون في بحثهم لمسألة التكرار على الجانب اللفظي تركيزاً كبيراً، أما الجـانب الذهني له فهو قليل الذكر. وعلى أيّة حال، فإنه بدا للباحث ومن خلال التحليل تقسيم التكرار إلى قسمين جوهريين هما: التكرار اللفظي المحسوس، والتكرار اللفظي التدويمي الملحوظ. وفيما يلي بحث لهما.

١. التكرار اللفظي

يقوم التكرار اللفظي على إعادة العنصر المعجمي نفسه، أو أن يرد مرادف له أو اســـمٌ عام، أو أن يرد اسم مطلق. وهو يختلف عن باقي أدوات التماسك في أنّ جميع أدوات التماســك هي نحويّة تفرض علاقة بين جملتين بينما التماسك المعجمي (التكرار اللفظي) ليس نحوياً، وإنما هو فصيلة قائمة بحد ذاتها[2].

والتكرار اللفظي يكون في اللفظ المفرد وفي التراكيب، وهو يؤكِّد قُـدْرة الكلمـــة علـــى الربط وفاعليتها. وسيتم الوقوف في الفصل الثالث على دور الكلمة في الربط، وقدرتـــها علـــى التأطير والبناء، وسيتم – من خلال ذلك – إثبات أن نحو النص لا يدرس الروابـــط التركيبيّـــة وحسب، بل يدرس أيضاً الروابط اللفظيّة داخل التركيب الواحد، لما لها من دور كبير في عمليّة ربط التركيب بما يأتي بعده وبما يسبقه من تراكيب.

---

(١) ابن فارس، أحمد. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامـــها، تحقيـــق: عمـــر فاروق الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٣م ص٢١٣.

(٢) انظر: M.A. Halliday & R. Hassan. Cohesion in English p 278.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويقوم التكرار اللفظي بربط التراكيب بعضها ببعض لفظاً ودلالة، وإيقاعاً، ومن ذلك قول لبيد:

فَمَضَـــى وقَدَّمَـــهَا وَكَـــانَتْ عَـــادَةً مِنْـــهُ إِذَا هِـــي عَـــرَّدَتْ إِقْدَامُـــهَا[1]

قام الشاعر في هذا البيت بتكرير لفظتين متشابهتين في اللفظ والمعنى وهمـــا: (قَدَّمـــها وإقدامها)، ولقد تَمّ هذا التكرار وفقاً لمقتضيات المقام، والذي يتضمن قلـــق الشـــاعر والحركـــة الدّؤوب، وهو على المستوى الدلالي يربط بين تصوّرين – بوساطة التكريـــر – الأوّل: إقـــدام الحمار الوحشي، والثاني: إقدام الأتان؛ ليعمّقَ الإحساس بحركة كلٍّ من الطرفين المذكورين. من جهة أخرى، يتحكم التكرار بعملية التضاد الحركي الموجودة، فالمضي يقابله التقـــدّم، والتعريـــد (وهو الفرار أو الميلان وترك الطريق) يقابله التقدّم. فمعادلة الحركة عند الشاعر لا تكتمـــل دون وجود اللفظ المكرّر، ويمكن تمثيل ذلك وفقاً للمعادلة التالية:

المضي ← الإقدام

التعريد (المضي) ← الإقدام

كما أن التكرار اللفظي هنا يخدم القصيدة من حيث الإيقاع، إذ استغل الشـــاعر اللفظـــة المكررة (إقدامها) في بناء الوزن والقافية معاً، فجاء التكرار لأغراض دلالية وإيقاعيّـــة. وهـــذا يعني ربطاً دلالياً وإيقاعياً للتراكيب بعضها ببعض، من هنا يحدث الانسجام للنص، وبالتالي يتـــم قبوله.

وقد يأتي التكرير اللفظي؛ ليعمق الإحساس بالمعاناة الوجدانيّة الإنسانيّة، التي قَدْ تُوصـــل الإنسان إلى أعلى درجات الوَلَه، فتدفعه إلى التجريد، ومن ذلك قول عنترة:

يَـــا دارَ عَبْلَـــةَ بِـــالجِوَاءِ تَكَلَّمِـــي وعِمِـــي صَبَاحـــاً دارَ عَبْلَـــةَ واسْـــلَمِي[2]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٥٥٠.

(٢) المصدر نفسه ص٢٩٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن تكرير (دار عبلة) جاء تجسيداً للمعاناة الوجدانية فالمعاناة جعلته يُكلِّم الدِّيار، بمعنى أن التكرار؛ جاء لقصديّة التجريد؛ ولِيعُمّق الإحساس بوقع الدِّيار على نفس الشاعر. فالديار حاضرة في ذهنه وفي وجدانه، وديمومة الحضور الوجداني تستلزم عند التلفظ ديمومة اللفظ، فهو يرغب في استمرارية حضور (دار عبلة) في أكبر عدد من الأبيات. ومن التكرار اللفظي الهادف إلى تعميق الإحساس بالمعاناة الوجدانية قوله أيضاً:

حُيِّيتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وأَقْفَرَ بَعْدَ أمِّ الْهَيْثَمِ(١)

فالتكرار الترادفي (أقوى وأقفر) جاء، تعميقاً للإحساس بالمعاناة الوجدانية التي يعيشها الشاعر، فالديار اجتمعت فيها جميع جوانب الجدب والعفاء، وهذا مما يزيد معاناته، وصدق إحساسه.

٢. التكرار التدويمي

وأقصد بالتكرار التدويمي تكرار شكل لغويّ قالبي؛ لربط مجموعة من التدويمات النصيّة. وهذا النوع التكراري ليس تكراراً للمعاني، وإنما تدعيم وتقوية لها؛ من أجل الوصول بها إلى أعلى درجات الإبلاغية، مما يضمن نجاح الرسالة، فلنتأمل أبيات زهير التالية:

فَكُلاًّ أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ صَحِيْحَاتِ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَتَّمِ(٢)

ومَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فإنَّهُ يُطِيْعُ الْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ(٣)

ومَنْ يُوفِ لا يُذْمَمْ ومن يُفْضِ قَلْبُهُ إِلى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ(٤)

ومَنْ يَبْغِ أَطْرَافَ الرِّمَاحَ يَنَلْنَهُ وَلَوْ رَامَ أَنْ يَرْقَى السَّمَاءَ بِسُلَّمِ(٥)

---

(١) الزوزني، الحسين بن أحمد. شرح المعلقات السبع ص١٩٢.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار. شرح القصائد السبع ص٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه ص٢٨٠.

(٤) المصدر نفسه ص٢٨٢.

(٥) المصدر نفسه ص٢٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومـنْ يَـكُ ذا فَضْـلٍ فَيَبْخَـلْ بِفَضْلِـهِ عَلَـى قَوْمِـهِ يُسْـتَغْنَ عَنْـهُ ويُذْمَـمِ[1]

ومـنْ لا يَـزَلْ يَسْـتَرْحِلُ النـاسَ نَفْسَـه ولا يُعْفِـها يومـاً مِـنَ الـذَّمِّ يَنْـدَمِ[2]

ومـنْ يَغْـتَرِبْ يَحْسِـبْ عَـدوّاً صديقَـهُ ومـنْ لا يُكَـرِّم نَفْسَـهُ لا يُكَـرَّمِ[3]

ومـنْ لا يَـذُدْ عَـنْ حَوْضِـهِ بِسِـلاحِهِ يُـهَدَّمْ ومَـنْ لا يظْلِمِ النـاسَ يُظْلَـمِ[4]

ومـنْ لم يُصَـانِعْ فِـي أُمُـورٍ كَثِـيْرَة يُضَـرَّس بأنيـابٍ ويُوَطـأ بِمَنْسَـمِ[5]

ومنْ يَجْعَلِ المعروفَ مـنْ دون عِرْضِـهِ يَفِـرْهُ ومَـنْ لا يَتَّـقِ الشَّـتْمَ يُشْـتَمِ[6]

سَئِمْتُ تَكَـالِيفَ الحَيـاةِ ومَـنْ يَعِـشْ ثَمَـانِيْنَ عَامـاً لا أَبَـا لَـكَ يَسْـأَمِ[7]

هذه الأبيات تَتَضَمَّن تكريراً للقالب الشرطي، وهذا التكرير جاء وِفْقَ مَقْصَدِيّة تقوم على التدرّج والتسلسل. فالتدرّج هنا يقتضي التسلسل، رغم وجود فارق بينهما. إن حكمة الشـاعر – بعد رؤيته للحرب وويلاتها – جعلته ينتقل بالخطاب من مرحلـة التخصيـص إلـى العموميّـة الإبلاغيّة (الانتقال إلى الحكمة)، وهذه الحكمة مقترنة بحكمة الهرم بن سنان والحارثة بن عوف، بل هي صادرة أساساً عن حكمة هذين الرجلين. فبعد أن قاما بتأدية ديات القتلى حقنـاً للدمـاء،

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه ص٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه ص٢٨٥.

(٤) المصدر نفسه ٢٨٥.

(٥) المصدر نفسه ٢٨٦.

(٦) المصدر نفسه ٢٨٧.

(٧) المصدر نفسه ص٢٨٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَمِل الشاعر على دعم حكمتها هذه بحكمٍ أخرى، تضمنت عدداً من النصائح عمل على ربطها بوساطة تكرار القالب الشرطي، أي تكرار القالب الشرطي هو الذي يعمل على ربط التدويمات وهو أقوى في الربط من "الواو" التي تتصدّر كل بيت من الأبيات.

ويلحظ من خلال هذا التكرار أن الشاعر عمل على تكييف خطابه بقدر متلقيه؛وذلك ليحدث التفاعل بين ما يصدر عنه وبين متلقيه، لأن التفاعل-كما يفهم من كلام الدكتور: محمد مفتاح- هو الذي يؤدي إلى نجاح المقصديّة[1].

وهناك أمثلة كثيرة على التكرار التدويمي، فحسبي ما قَدّمت؛لأن الهدف هو التمثيل لا الحصر. وقبل الانتهاء من بحث الرابط التكراري، أود أن أطرح سؤالاً أحسبه من الأسئلة المهمّة ونصّه: هل التكرار له علاقة بالجانب الإيقاعي؟ إن للتكرار أثراً مهماً في دعم الإحساس بالإيقاع، لا العكس، فالتكرار يحافظ على الدوريّة، والذي يهمنا في الشعر هو الدوريّة، ويصرّح جان كوهن بعكس ذلك قائلاً[2]: "تكمن وظيفة الإيقاع في دعم هذا الإحساس بالتكرار المنتظم". الصحيح هو أن التكرار هو الذي يُولّد الإيقاع لا العكس.

وصفوة القول: إن جميع جوانب الربط الذكري: التقديرية والرتبوية والتكرارية، تعمل على ربط التراكيب بعضها ببعض داخل النص، وهذا الربط يسير وفقاً لمقصديّة المبدع (المرسل)، الذي يَسعى دائماً إلى تحقيق أكبر قدر من الإبلاغيّة التأثيريّة، وهذه المقصديّة تنبع من صميم الرؤية الخطابيّة.

وقبل الانتقال إلى الفصل الثالث أود تقرير مجموعة من الحقائق المهمّة ومؤداها: أن الفَصْلَ فيما بين الروابط التركيبيّة النّصيّة في هذه الأطروحة؛ كان لغرض الدراسة والتحليل، فهي-كما أشرت سابقاً- تعمل وفقاً لمبدأ المؤازرة، بل إنّها تتداخل مع بعضها البعض، والأمثلة على ذلك كثيرة، فهناك مثلاً: وصل تكراري، وإحالات اسناديّة، ووصل سببي، وإحالة سببيّة،

---

(١) انظر: مفتاح، محمد. دينامية النص (تنظير وإنجاز) ص ص ٥٠-٥١.

(٢) كوهن، جان. بنية اللغة الشعرية ص٢١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أنّها تشترك فيما بينها في كثير من العلاقات التركيبيّة، ولقد تمّت الإشارة إلى هذا في أثنـــاء الحديث عن مظاهر هذه الروابط فيما مضى بحثه.

وإذا كان هذا الفصل بمنزلة محاولة للكشف عن آلية عمل الروابط التركيبيّـــة النصيّـــة: النحويّة والدلالية، فإنّ الفصل الثالث هو تكملة لهذه المحاولة وفقاً لتوجُّهات خطابية مختلفـــة والله الموفق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

الوظائف الاتصالية للتراكيب داخل النص

- مدخل
- المبحث الأول: اللغة وأثرها في تشكيل أطراف معادلة الإيصال
- المبحث الثاني: اللغة وأثرها في إبراز وجدانيات النص
- المبحث الثالث: اللغة وأثرها في تحديد روامز النص
- المبحث الرابع: التشكل اللغوي وأثره في إنتاج الدلالة النصية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مدخل

تناول البحث في الفصل السابق الروابط التركيبيّة النّصيّة في المعلقات السبع ودورها في تماسك النص. وظهر من خلال التحليل كيف أن الخطاب يبني نحو النص بتوجهاته المختلفة. ولإكمال بحث دور الخطاب في بناء نحو النصّ. لا بد من بحث الوظائف الاتّصاليّة للتراكيب داخل النص؛ لأنّ هذه الوظائف هي التي تقنن العلاقات النصيّة وتعمقها، فهي مرتكزات لغويّة نظامية يعتمدها النص في عملية بنائه، وتعبيره عن فكر صاحبه وإحساسه تجاه المحسوس واللامحسوس.

يبرز هذا الاتجاه بشكل خاص العلاقة القائمة بين لغة النص وفكره، وعلاقة اللغة بالفكر، وكيف أن اللغة بأنظمتها المختلفة تجعل الفكر قريباً من الآخرين. ويترتب على ذلك أنّ اللغة ليست أداة توصيل وحسب، بل هي أداة توصيل وتأثير وبناء، ولو كان الأمر بخلاف ذلك، لما كتبت النصوص أصلاً. وبهذا الخصوص يقول سمير ستيتية:" ليس توصيل الأفكار إلى الآخرين بالعملية التي تدعو إلى الاستهانة بالأنظمة اللغويّة والتقليل من شأنها، بل النقيض – نقيض ذلك – هو الصحيح. وهذا يعني في التحليل الأخير أن استيعاب نظام اللغة، وتطويع الأفكار والمعاني لهذا النظام، هو الذي يجعل قطوف الأفكار والمعاني دانية للآخرين. وهذا لا يتأتى إلا إذا كان مفهوم اللغة أوسع من كونه أداة – مجرد أداة – للتوصيل"(١).

ليست اللغة أداة اتّصال وحسب، إنّها قُدْرة ذهنيّة نظاميّة، تعمل على تنظيم عالم النص بكلماته وتراكيبه ومعانيه وجميع دلالاته الجزئية والكليّة، فهي تُولّد المعاني التركيبيّة والنّصيّة. وكلُّ ما نراه من تراكيب منطوقة يرتد أساساً إلى منظومة اللغة العليا (اللغة المعينة) والتي تُطَوِّعُ المعاني لها، فلكل "لغة طريقتها في توليد المعاني، من أجل أن يتم تطويع المعنى للصيغ والعبارات المنطوقة...." (٢).

وهذا لا يعني الاستهانة أيضاً بالفكر، فالعلاقة بين اللغة والفكر علاقة جدلية تلازمية؛ تقوم على التفاعل فيما بينهما مما يؤدي في النهاية إلى الخروج بتصور تكاملي للمسألة. يقول العالم "دولاكروا:"

---

(١) ستيتية، سمير، المشكلات اللغويّة في الوظائف والمصطلح والازدواجيّة ص ١٢.

(٢) المرجع نفسه ص ١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن الفكر ينع اللغة في نفس الوقت الذي يُصنَعُ فيه من طرف اللغة"[1]. إنّ كل ما تقدم ذكره؛ قد جاء لتأكيد دور اللغة الأساسي في إبراز الفكر، هذا الفكر الذي يحمل دلالات ومعاني كثيرة جداً، تصيبها الفوضى دون ضابط يضبطها، وهذا الضابط هو "أنظمة اللغة".

إذن فالقول إن اللغة أداة اتّصال يعني أنها تُقَدّمُ تقنيات نظاميّة للنصّ، تعمل على تنظيمه وتوجيهه، مما يحقق له مبدأ التماسك، وبالتالي تحقيق نحوية صحيحة له؛ ولهذا ستبحث في هذا الفصل مجموعة من المسائل المهمة، والتي تعمل اللغة على إبرازها، وهذه المسائل هي:

١. اللغة وأثرها في تشكيل أطراف معادلة الاتّصال.

٢. اللغة وأثرها في إبراز وجدانيات النصّ.

٣. اللغة وأثرها في تحديد روامز النصّ.

٤. الشكل اللغويّ وأثره في إنتاج الدلالة النصيّة.

فهذه المسائل من أهم المسائل التي يجب أن تبحث عند البدء ببحث الجوانب النحويّة والدلاليّة للنص؛ لأن نحويّة النصّ ليست جانباً شكلياً يبحث في الروابط الظاهرة، وإنّما جانب (نحوي – دلالي – رمزي) لتحقيق كفاية نصية، ولا يمكن أن تتحقق هذه الكفاية إلاّ من خلال دمج العناصر المتقدمة الذكر بعضها ببعض.

وببحث هذه المسائل يتبين الأثر الكبير الذي تقوم به توجهات الخطاب اللغويّة – على تنوعها – في عملية بناء النصّ. وفيما يلي بحث لهذه المسائل والله الموفق.

---

(١) حماد، أحمد عبد الرحمن. العلاقة بين اللغة والفكر (دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة)، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م ص ١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويلحظ على هذه الأبعاد أنّها تشمل النصّ وعمليات إنتاجه وتلقيه. وهذا يعني أن النص في عملية تشكله يخضع لجوانب لغوية، وأخرى غير لغوية لغة النصّ نفسها. ويذهب روبرت دي بوجراند إلى أننا في تعاملنا مع النصّ – عند تحليله – يجب ألاّ نهمل التصورات غير اللغويّة والتي تنطلق من لغة النصّ نفسه[1]، وبناءً على ذلك، فإن اللغة تحكم جميع هذه الأبعاد، على النحو الآتي:

أ. المرسل: تمده اللغة "بالقالبيات" المؤثرة، والتي تتجلى بصور من التراكيب، ومجموعة من العلاقات فيما بين التراكيب، وهذا يعمق الإحساس بالانفعال.

ب. المستقبل: يقوم بتقويم الرسالة اعتماداً على حِسّه اللغويّ الموضوعي، والتي تعمل اللغة على جعله موضوعياً، مما يكفل نجاح الرسالة.

ج. السياق: يتضمن المرجع الذي ترتد إليه لغة النصّ ودلالاته.

د. الاتّصال يعمل على توليد الوظيفة الانتباهيّة بين المرسل والمستقبل، من خلال الفعالية اللغويّة للتراكيب.

هـ. النظام اللغويّ أو السنن: وهنا يقوم السياق اللغويّ باستدعاء سياقات أخرى؛ وذلك لضمان سيادة الفهم والتفاعل بين المرسل والمستقبل. إذ لا بد من وحدة السنن حتى يستمر التواصل والتفاهم.

و. الرسالة: تقوم اللغة بنقلها من حيز الذهنية إلى الحيز المحسوس على هيئة ألفاظ وتراكيب وعلاقات فيما بينها؛ مما يجعلها ترقى إلى أعلى درجات القبول والتأثير.

---

(١) انظر: DeBeaugrande, Robert. (Text Linguistics in Discourse Studies) In: VAN Dijk, Teun. A. (Editor): Hand book of Discourse Analysis (Dimensions of Discourse). Academic PRess (A.P) Harcourt Brace Javonovich Publishers London L.T.D. 1985. Vol. 2. P. 54.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذن فاللغة الخطابية تساعد التراكيب النصيّة على القيام بوظائفها الاتّصاليّة المعبرة عن انفعالات مبدعها وأحاسيسه وإذا تم التعبير بطريقة سليمة مؤثرة، فإن هذا يعني أن النصّ متماسك. وهذا كله يسهم في بناء نحو النصّ.

يرى الباحث أن أهم بعدين من هذه الأبعاد هما المرسل والمستقبل؛ لأن جميع الأبعاد الأخرى تجري فيما بينهما، وتأتي وفقاً لاختيارهما.

أ. اللغة ومسألة الإرسال (المرسل واللغة)

تعمل اللغة على تطويع الأفكار النصيّة وتقريبها من المستقبل، كما أنها تمكن المرسل من التعبير عن أقصى درجات انفعاله، إذن فهي تسهم في بناء الوظيفة الانفعالية من طرف المرسل وتعمقها، يقول طرفه بن العبد:

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ[1]

يَرَوضَةِ دُعْمِيٍّ فَأَكْنَافِ حَائِلٍ ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي وأَبْكِي إِلَى الْغَدِ[2]

تعمل اللغة من خلال أدواتها بتعميق انفعالات الشاعر تجاه (المحبوبة – الرمز)، ولعل حركية الأدوات اللغويّة – كما هو واضح في هذين البيتين – لتثبت هذا الأمر بوضوح. وتتجلى هذه الحركية فيما يلي:

١. مقصديّة التقديم والتأخير: إنّ تقديمه للمحبوبة الرمز (خولة) في التركيب (لخولة أطلال)، جاء مقصوداً لتعميق الإحساس بمعاناته؛ ولأنها أساس لمجموعة من التتابعات التالية لهذا التركيب الإسنادي.

٢. يمكن حصر هذه التتابعات التي تحقق الحركية الانفعالية فيما يلي:

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- تتابعات مكانية (برقة ثهمد وروضة دعمي وأكناف حائل). فالتتابع المكاني له أهمية كبيرة في تحقيق الوظيفة الانفعالية.
- تتابعات زمنية: عبّر عنها الشاعر من خلال عطف التركيبين المتشابهين (أبكي – أبكي) أحدهما على الآخر، وتحديده لزمن البكاء، فالبكاء مستمر إلى الغد.
- تتابعات رمزية: وتتجلى في التركيب التشبيهي (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد). فالأطلال شاخصة دائماً، واضحة وظاهرة كباقي الوشم في ظاهر اليد.
- تتابعات تحديدية: فالأمكنة محددة، وكذلك زمن المعاناة في هذه الأمكنة.

يرى ياكوبسون أن الوظيفة الانفعالية تحدث بوساطة أدوات الانفعال وحسب. وهذا الرأي بحاجة إلى إعادة نظر؛ إذ تحدث هذه الوظيفة بأدوات أخرى غير أدوات الانفعال المعروفة، وهذه الأدوات كثيرة ومتنوعة، وتكون في سياقاتها أشد تأثيراً على المستقبل من التراكيب التي تحمل الانفعال. والشواهد على ذلك كثيرة، فمن ذلك ما تقدم ذكره في أبيات طرفة، ومنه ما يمكن تسميته بالعمليات التعويضية، وذلك كأن يلجأ المرسل إلى التركيز على "الفكرة الانفعالية"[1] للرسالة لا على حصر الوظيفة الانفعالية في تراكيب لغوية بعينها، ومن ذلك قوله لبيد:

بَـاتَتْ وأَسْـبَلَ واكِـفٌ مِـنْ دِيْمَـةٍ يُـرْوِي الخَمَـائِلَ دَائِمـاً تَسْـجَامُهَا[2]
تَجْتَـافُ أَصْـلاً قَالِصَـاً مُتَنَبِّـذاً بِعُجُـوبِ أَنْقَـاءٍ يَمِيْـلُ هَيَامُـهَا[3]

يركز المرسل في هذا الخطاب الموجه على إبراز الانفعال ضمن تركيزه على الفكرة الانفعالية، فقد استحضر مشهداً حزيناً لبقرة وحشيّة فقدت ولدها؛ فأصابها ذهول كبير جداً، رافقه حركة وحزن شديدان، دفعا بها إلى البيات في جوف شجرة أصلها بعيد عن أصول الشجر.

---

(١) مصطلح "الفكرة الانفعالية" هو لمحمد عزّام في كتابه: التحليل الالسني للأدب ص ١٥٧.
(٢) الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٥٥٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٥٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومما يقوي هذا التصور أن التراكيب جميعها دالة على الحركة والحزن، ويلحظ من خلال النصّ أن التراكيب تنحرف مدلولاتها استجابة للفكرة الأساس، وذلك تحقيقاً للوظيفة الانفعالية. ويظهر هذا جلياً في قوله:

وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلامِ مُنِيْرَةً كَجُمَانَةِ البَحْرِيِّ سُلَّ نِظَامُهَا[1]

فالإضاءة هنا تدل على الحزن والألم، وهذا مستدل عليه من الشطر الثاني، إذ شبه إضاءة البقرة في حال حركتها بإضاءة درة البحري إذا انقطع خيطها، فالانقطاع يحدث حركة ولمعاناً أقوى.

إذن يصعب حضر الوظيفة الانفعالية وتحديدها في أدوات وأساليب بعينها؛ لأنّ المرسل قد يأتي بتقنيات كثيرة؛ ليعبر عن انفعاله غير أدوات الانفعال المعهودة.

ب. اللغة ومسألة الاستقبال (المستقبل واللغة)

المرسل والمستقبل هما اللذان يكتشفان تماسك النصّ وقدرته التأثيرية. وبما أن الأمر كذلك، فإن اللغة تمدّهما بقالبيات لغوية قادرة على نقل التصورات والأهداف. ويمكن أن يكون المرسل هو الهدف – كما هو في أبيات لبيد السابقة – أو أن يكون المستقبل هو الهدف، وحينما يكون المستقبل هو الهدف تتولد عنه الوظيفة التقويمية أو التقديرية. ويرى ياكوبسون أنها تحدث عندما يقع التأكيد على المستقبل بصيغ الأمر والطلب والنداء[2]. ويرى الباحث أنّها قد تحدث بوسائل أخرى، ولتأكيد هذا الأمر يمكن إيراد خطاب عمرو بن كلثوم الذي قام بتوجيهه إلى عمرو بن هند والذي يقول فيه:

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص٥٦١.

(٢) انظر: المرتجي، أنور. سيميائية النصّ الأدبي ص ٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أَبَـا هِنْـدٍ فَـلا تَعْجَـلْ عَلَيْنَـا ... وانْظِرْنَـا نُخَـبِّرْكَ الْيَقِينَـا[1]

بِأَنَّـا نُـورِدُ الرَّايَـاتِ بِيْضَـاً ... ونُصْدِرُهُـنَّ حُمْـراً قَـدْ رَوِينَـا[2]

وأيَّـامٍ لَنَـا غُـرٍّ طِـوَالٍ ... عَصَيْنَـا المَلْـكَ فِيْـهَا أَنْ نَدِينَـا[3]

وسَـيِّدِ مَعْشَـرٍ قَـدْ تَوَّجُـوهُ ... بِتَـاجِ المُلْـكِ يَحْمِـي المُحْجَرِينَـا[4]

تَرَكْنَـا الخَيْـلَ عَاكِفَـةً عَلَيْـهِ ... مُقَلَّـدَةً أَعِنَّتَـهَا صُفُونَـا[5]

وَقَـدْ هَـرَّتْ كِـلابُ الحَـيِّ مِنَّـا ... وشَـذَّ بْنَـا قَتَـادَةَ مَـنْ يَلِينَـا[6]

مَتَـى نَنْقُـلْ إِلَى قَـوْمٍ رِحَالَنَـا ... يَكُونُـوا فِـي اللِّقَـاءِ لَـهَا طَحِينَـا[7]

يَكُـونُ ثِفَالُـهَا شَـرْقِيَّ سَـلْمَى ... ولُهْوَتُـهَا قُضَاعَـةَ أَجْمَعِينَـا[8]

إن هدف الخطاب هنا هو التأثير على الملك عمرو بن هند. وقد حدث هذا، كما هو واضح من السياقين اللغويّ والتاريخي معاً. فالهدف ليس المرسل وإنّما المستقبل، صحيح أن الشاعر يفتخر بقومه، إلاّ أنّه ليس هو الهدف، ولو كان هو الهدف لما استرسل بهذه الطريقة فهو يريد أن يحذر قبيلة بكر من خلال خطابه لعمرو بن هند، واقتضى هذا التحذير ما يلي:

١. تتابع التراكيب الطلبية وفقاً للمقصدية، وهذه التراكيب هي: أبا هندٍ، لا تعجلْ، انْظِرْنَا، متى ننقل؟.

٢. اختيار طريقة اتصالية قائمة على "التفصيل الفعلي"، إذ اختار وفقاً للمقصدية الذهنية نمطين من الأفعال وهما: المضارع والماضي. وهي تأخذ في المنحى الدلالي بعداً دلالياً

---

(١) الأنباري، شرح القصائد السبع ص ٣٨٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٣٨٨.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٨٨.
(٤) المصدر نفسه ص ٣٨٩.
(٥) المصدر نفسه ص ٣٨٩.
(٦) المصدر نفسه ص ٣٩٠.
(٧) المصدر نفسه ص ٣٩١.
(٨) المصدر نفسه ص ٣٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقوم على تعميق الإحساس بالقضية الخلافية التي يطرحها الخطاب. وهـذا يرتـد بحسـب السياق التاريخي إلى خلاف بكر وتغلب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني: اللغة وأثرها في إبراز وجدانيات النصّ

يلجأ المرسل – وعن مقصدية واعية في كثير من الأحيان – إلى اختيار أساليب وتعبيرات نحوية كثيرة؛ لتعبر عن إحساسه وكل ما يجول في وجدانه. وهذا العمل من شأنه أن يُقوّي عنصر التواصل المؤثر فيما بينه وبين المستقبل، وعملية الاختيار هذه تبرز الدور الذي تقوم به اللغة في إبراز الطابع الوجداني للنصّ. فالعربية مثلاً استحدثت تعبيرات خاصة بمواقف وجدانية معينة[١]. وهذا الاستحداث يعمق الجانب الإبلاغي لهذه المواقف؛ لأن الجانب الإبلاغي يعني تخطي الجانبين الموضوعي والفكري للكلام، وتخطي عملية إيصال الوقائع والأفكار عن طريق الإخبار والإعلام[٢]. والسؤال الذي يمكن طرحه: ما الذي يتحكم في عملية التخطي هذه؟

تحدد السياقات اللغويّة وغير اللغويّة الأطر اللازمة لهذه العملية. ويرى ستيفن أولمان أن السياق هو الذي يحدد المعنى، كما أنه هو الذي يساعد في إدراك عملية التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية الانفعالية[٣]، ووفقاً لذلك يستطيع الإنسان أن يقيس ويحدد ما يرسل بدقة لا العكس[٤]، ويتفاعل ويتواصل مع كل ما يرسل.

وتبقى التصورات المقدمة حول العلاقة بين اللغة والوجدان بحاجة إلى مزيد نظر وتأمل؛ لأن هذه المسالة من أعقد المسائل في عملية تحليل لغة النصّ، كما أن علماء نحو النصّ لم يدرسوها، رغم خطورتها وأهميتها في عملية تماسك النصوص. والسؤال الذي يمكن طرحه كيف تقوم اللغة في إبراز الطابع الوجداني للنص؟. وما علاقة ذلك بتماسك النصّ؟

---

(١) انظر: ستيتية، سمير. المشكلات اللغويّة في الوظائف والمصطلح والازدواجية ص ٣٤.

(٢) انظر: دمشقية، عفيف. الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة، الفكر العربي، العددان المزدوجان (٨-٩)، ١٩٧٩، ص ٢٠٣.

(٣) انظر: أولمان، ستيفن. دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، القاهرة، دار غريب، ط٢، (د.ت) ص ص ٦٨-٧١.

(٤) انظر: بالمر، فرانك. علم الدلالة (إطار جديد). ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، (د.ط) ١٩٥٠م ص ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تبرز اللغة الطابع الوجداني للنصّ ضمن تجسيدها لمقصدية المرسل. والمقصدية تعني" أن كل جملة لغوية أو نص وراءها مقصدية أولى تتجلى في بعض الحالات مثل: الاعتقاد والخوف والتمني والرغبة والحب والكراهية، وثانوية هي ما يعرفه المتلقي من مقاصد المتكلم والحالات التي وراءها...."[1]. ويأتي دور المستقبل للكشف عن هذه المقصدية وتحليلها، فإذا وقف المستقبل على مقصدية المرسل من قبل المستقبل فإن اللغة ستبدو مُنَظِّمةً للعلاقة فيما بين التركيب النحوي والتعبير الوجداني الذي يحمله هذا التركيب. وهذا النهج يعني أن اللغة ليست ناقلة للمعاني الوجدانية وحسب، إنّها ناقلة ومنظمة في الوقت نفسه. ويظهر هذا التنظيم بصور وأساليب لغوية محسوسة كثيرة، يقول امرؤ القيس:

كَـأَنِّي غَـدَاةَ الْبَيْـنِ يَـوْمَ تَحَمَّلُـوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ[2]

إنّ انتظام المعاني الوجدانية في هذا البيت ليس بوساطة ارتباط دلالته بألفاظه، وإنّما بفعل المقصدية التنظيمية التي اقتضت أن يبدأ الشاعر بيته بأداة التشبيه، لأن هذه البداية هي التي تعمل على تعميق الإحساس بالحزن والمعاناة تجاه رحيل الأحباب، فهو محزون ومهموم، وعبر عن هذا الحزن باستحضاره لدائرة إبلاغية قوية جداً ومتينة، وهذه الدائرة هي "دائرة التشبيه". فاللغة – بحسب هذا الفهم – مسؤولة عن عمليات الفهم والإفهام، ويترابط هذا البيت مع غيره من الأبيات ترابطاً قوياً، نظراً للتركيز على دلالة الحزن (المقصدية الأولى)، ولإثبات ذلك يمكن ذكر قوله في القصيدة:

وإنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رسمٍ دارسٍ مِنْ مُعَوَّلِ[3]

فالحزن أوصله إلى الاعتراف بأن شفاءه مما هو فيه دمعة تُصبّ في ديار الأحبة، وإن التركيب الاستفهامي (فهل عند رسم دارس من معول؟) يحمل أقصى درجات الانفعال العاطفي، فهو يحمل بعدين سيميائيين، الأول: البعد التماثلي، والثاني: البعد التخالفي، أما البعد الأول:

---

(١) مفتاح، محمد. دينامية النصّ تنظير وإنجاز ص ٥٠.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيتمثل في إنكاره فائدة أو قيمة خطاب الرسم الدارس فهو لا يرد حبيباً. وهذا الإنكار صحيح من حيث المنطق والعقل. أمّا البعد الثاني: فيتمثل في عدم الاقتناع بعملية الإنكار هذه، وهذا نداء الوجدان وهو الأمر النافذ. وهذان البعدان يمثلان عنصرين مهمين في عملية ربط التراكيب بعضها ببعض منذ بداية القصيدة حينما لجأ إلى التجريد في قوله: قفا نبك.....الخ.

لقد أوضحنا تداخل المواقف الموضوعية والعاطفية الذاتية، وهذا التداخل يؤكد مقدرة الشاعر على صهر هذه المواقف جميعها؛ لتعبر اللغة عن وحدة المواقف الوجدانية. وهذه الوحدة هي نوع من التماسك النحوي والدلالي للتراكيب النصية، فهي تثبت قدرة اللغة على إبراز وجدانيات النص، وجعلها أساساً توليدياً للتراكيب اللاحقة، يقول الحارث بن حلزة البشكري:

أَيُّهَا النَّاطِقُ المُرَقِّشَ عَنَّا ... عِنْدَ عمرٍو وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ[1]

لاَ تَخَلْنَا عَلَى غَرَاتِكَ إِنَّا ... قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الأَعْدَاءُ[2]

إنّ النداء والاستفهام وكذلك النهي والتوكيد في قوله: إنّا في هذين البيتين هي أساليب تعبيرية انفعالية؛ جاءت لنفي الإفساد والتبليغ اللذين قام بهما الناطق، أي المفسد عند الملك عمرو بن هند ضد قبيلة الشاعر. فالسياق التاريخي يؤكد هذا الفهم. إذن نحن أمام قضيتين، الأولى: تاريخية اجتماعية تتمثل في علاقة قبيلة الشاعر بقبيلة الناطق المفسد، تولد عن هذه القضية قضية ثانية: وهي نتيجة للسابقة وتمثل ردَّ فعل الشاعر تجاه هذا الإفساد، فهي قضية نفسية وجدانية، عايشت الشاعر، وعبَّر عنها من خلال هاتين القضيتين في قضية وجدانية واحدة، وهذا يبرز كيفية توالد القضايا بعضها من بعض داخل النصّ الواحد، ويمكن تمثيل هذا بالشكل التالي:

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٥٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٥٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

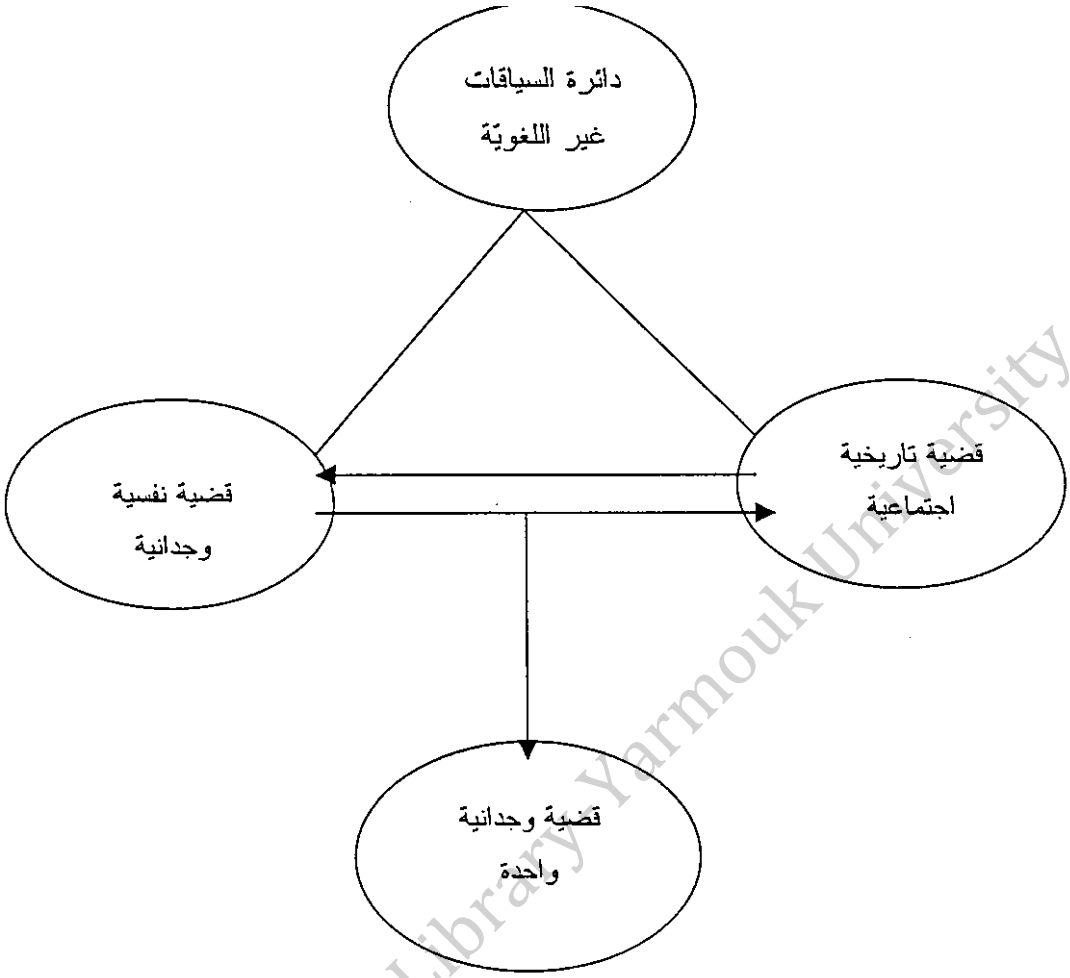

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لقد تولّد عن دائرة السياقات غير اللغويّة قضيتان، هما بمنزلة النتيجة والسبب، والتفاعل الحاصل بينهما أدّى إلى صهر القضيتين في قضية واحدة، تمثلت في التحذير الذي اتخذ أساليب لغوية مختلفة تم ذكرها. والجدير ذكره أن المنادى في قوله: (أيها الناطق المرقش) هو الذي جعل هذه الدوائر ينفتح بعضها على بعض، وتتفاعل فيما بينهما؛ لتكوين دائرة وجدانية واحدة؛ لبيان كيفية تعالق التراكيب بعضها ببعض، وقيامها بوظائفها الاتصالية بنجاح.

وهناك شواهد شعرية كثيرة تثبت أثر اللغة في إبراز وجدانيات النص، كما أنّها تثبت مرونة اللغة، وتثبت علاقة الفعل والتفاعل فيما بين السياقات اللغوية، وغير اللغوية، هذه العلاقات التي تجعل النصّ بنية منفتحة لا منغلقة، فحسبي ما تقدم ذكره؛ فالهدف هو التمثيل لا الحصر.

المبحث الثالث: اللغة وأثرها في تحديد روامز النصّ

تمّ في المبحثين السابقين بحث الوظائف الاتصالية للتراكيب من خلال توضيح أثر اللغة في تحديد أطراف معادلة الاتّصال؛ لأن الوظائف الاتصالية ناتجة عن اختيار المرسل للأنظمة اللغويّة التي تحدد اتجاهات النصّ. ويأتي هذا المبحث لدراسة الوظائف الاتصالية للتراكيب من خلال الرامزة اللغويّة[1]. إذ تقوم الرامزة بمهمتي التجسيد الرمزي للمدلولات، وربط التراكيب النصيّة بعضها ببعض.

١. العلامة اللغويّة

يقول بنفنست:" إنّ صيغة اللغة تحدد الأنظمة السيميائية جميعاً"[2]، وتبعاً لهذا، فإن اللغة تحدد روامزها، وتحدد جميع اتجاهات التواصل اللغويّ. وتعد العلامة اللغويّة شكلاً من أشكال التواصل اللغوي، يلجأ إليها المرسل في عملية التواصل اللغويّ الإبلاغي المؤثر. فهي تمثل أعلى درجات التكثيف الدلالي للمدلولات التي تقبع خلفها. والعلامة اللغويّة هي الدليل اللغويّ نفسه عند دي سوسير أي هي الرمز اللغوي الذي تقوم اللغة بتحديد صيغته وجميع مدلولاته[3].

٢٠٦٤١٤

فالرمز اللغويّ يتكون من دال ومدلول مترابطين، والعلاقة بينهما مرتجلة. فالدال هو الصورة اللغويّة المادية والمنطوقة، في حين أن المدلول هو التصور، والعلاقة بينها يمكن أن توصف بأنّها تلازمية نفسية[4]. والبحث في الرامزة اللغويّة نصياً يعني البحث في شبكة الوظائف الاتصالية للتراكيب؛ لأن الأثر الرمزي يحدث أثراً اتصالياً قواعدياً، وهذا يعني في النهاية أنّ تقعيد الرمز أصبح ضرورة ملحة في بحث نحوية النصّ.

---

(١) مصطلح الرامزة مأخوذ من سمير ستيتية في كتابه علم اللغة التعلّمي ص ١٠.

(٢) الغانمي، سعيد. اللغة والخطاب الأدبي، ص ٤٢.

(٣) انظر: فاير، بول وبايلون، كريستيان. مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية، ترجمة: طلال وهبه، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م ص ١٥. والمرتجي، أنور. سيميائية النصّ الأدبي ص ص ٥-٦. وبالمر، فرانك. علم الدلالة (إطار جديد) ص ٤٦.

(٤) انظر: مبارك، حنون. دروس في السيميائيات، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٧م ص ٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. البنى الرمزية ونحوية النصوص (تقعيد الرمز)

يرى الباحث أن البنى الرمزية في النصوص بجميع أشكالها يمكن أن تكون أساسا مهما من ضمن الأسس البنائية لنحو النص، ويعود هذا الاتجاه إلى أن الرامزة – بعد تحليلها وإبراز كافة دلالاتها الكلية والجزئية – لها أثر كبير جدا في دلالة التعبير التركيبي وفي ربط التراكيب بعضها ببعض.

ولقد أشار علماء لغة النص ونحوه إلى فعالية الكلمة في النص، وعلاقتها بغيرها من الكلمات. وأهم ما جاء به هؤلاء العلماء هو ربط الرامزة بسياقها، حتى يتحقق الفهم الصحيح للنص[١]. ويرى فان ديك أنه وليتحقق الفهم الصحيح للنص، لابد من ربطه بسياقه المعرفي[٢]، ولقد ذهب فيلمور مذهبه هذا[٣]. إلا أن دي بوجراند خالف نظرية فان ديك في المعرفة؛ لأن النظرية ليس بمستطاعها أن تكون خاصة أو عامة، كما أن الفهم والاستيعاب لا يشكلان وحدة إجرائية، فهما يختلفان من شخص لآخر وفقا للمواقف ولمستعملي اللغة. فمستعل اللغة يمتلك ذاكرة محدودة المدى، فهو لا يمتلك إنتاج وفهم الملفوظات بنفس الوقت، إن مستعملي اللغة متفاوتون في ذلك[٤].

واتجاه دي بوجراند هذا يدل على رغبة منه في إبقاء الألفاظ والروامز عامة ضمن السياق اللغوي، وإذا استدعى الأمر النظر في السياقات غير اللغوية، لحل إشكالات رمزية أو لفظية معينة، فإن المنطلق يجب أن يكون السياق اللغوي نفسه أو النص نفسه. فهو في بحث آخر

---

(١) انظر: Van Dijk, Teun. A. & Kintsh, Walter. Strategies of Discourse Comprehension P. 33.

(٢) انظر: Ibid. PP. 44-46.

(٣) انظر: Fillmore, Charles, J. Linguistics as a Tool for Discouse Analysis. In. Van Dijk, Teun. A. (Editor): Hand book Of Discourse Analysis. Academic Press (A.P). Harcourt Brace Javonovich publisher London. L.T.D 1985. Vol. I. P. 11.

(٤) انظر: De Beaugrande, Robert. Linguistics Theory: the discourse of fundamental works. P. 267.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

له لا ينفي دور المفاهيم والتصورات المعرفية في إحداث التماسك النصي، إلاّ أنه يرى أن النصّ هو الذي ينشِّط ويحفز عمليات الاستدلال، ولكن بطريقة منظمة جداً[١].

ولقد ذهب باول جورج ماير قريباً من هذا المذهب، فذهب إلى أن العلاقات السيميولوجية التي للرامزة لا تكمن في الرامزة نفسها، أو في علاقة التركيب الذي ترد فيه الرامزة مع تركيب نصي آخر، وإنّما تكمن في علاقة التركيب بعنصر آخر خارج النصّ ولكنه اشترط أن تجري هذه العملية داخل النص، وتقوم لغته بتجسيدها. وذهب أيضاً إلى أن الرامزة داخل النصّ تتحدد قيمتها من خلال وظيفتها النصيّة المزدوجة النحوية والدلالية، وإذا لم تؤد وظيفة نحوية ودلالية فإنّها تبقى مجرد أيقونة. باختصار إنها لا تتحدد قيمتها في كونها إشارة وإنّما في علاقتها مع أبعاد نصية أخرى[٢].

وهذا كلّه يعني أن الرامزة لها تأثير قوي جداً في عملية تحديد البناء النحوي للنصّ وتأطيره. وهذا يتم عن طريق لغة النصّ وتعالقاتها السياقية المختلفة والتي تنطلق أساساً من اللغة نفسها. وهذا يقوي مذهب بركلي الذي يقوم على أن السيميائية نظرية للقواعد النصية[٣].

© Arabic Digital Library Yarmouk University

---

(١) انظر: دي بوجراند، روبرت. النصّ والخطاب والإجراء ص ٢٠١.

(٢) انظر: Myer, Paul George. Some Observation on the signaling of structure in technical discourse In: Grammar In The Construction of Text. P. 10.

(٣) انظر: بركلي، هربرت. مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة: قاسم المقداد، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، (د.ط)، ١٩٩٠م ص ٣٠.

إنّ اللغة تعمل على تجسيد الرامزة مادياً، وتعمل الرامزة على توفير التغطية الاتصالية التماسكية اللازمة، يقول امرؤ القيس:

أفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدلُّلِ ... وإنْ كُنْتِ قَدْ أزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي[1]

أغَرَّكِ منِّي أنّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وأنّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ[2]

وإنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيْقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ[3]

ومَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاّ لِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكِ فِي أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[4]

إنّ الرامزة "أفاطُم" – وهي رامزة تركيبية – تشكلُ محورَ حديث الشاعر؛ ولأجلها عبر عن مكنوناته، وإحساساته، فجميع التراكيب التالية لها جاءت؛ تفصيلاً لها ومنبثقة عنها. ويمكن القول: إنّ هذه الرامزة عملت على استدعاء روابط نصية كثيرة، نحوية ودلالية، فجميع الأبيات السابقة بألفاظها وتراكيبها تشكل امتداداً نحوياً ودلالياً للرامزة. ويتمظهر هذا الامتداد فيما يلي:

١. **الربط المقدر (الذهني):** ويتمثل في استحضار نمط أسلوبي نحوي يوازي النمط الأول الذي يجسد الرامزة، إنّه النمط الاستفهامي :(أغرك مني)، وتم هذا الاستحضار، لترسيخ حقيقة عدم مبالاة الشاعر تجاه إعراض فاطمة؛ والذي يؤكد هذا الفهم أنه قال بعد هذه الأبيات:

وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا ... تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ[5]

فهو يريد أن يقول: إنّه لا يبالي بها وهو مالك لقلبه. فهو قد تمتع في الأيام الخوالي بنساء كثيرات على مهلة من أمره وغير خائف. وقوله (وبيضة خدر) هو تركيب رامز يتفق ذهنياً مع النمط المستحضر (أغرك مني)، وفيه درجة كبيرة من العمومية، أي ورب امرأة لزمت

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٦.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٧.

(٥) المصدر نفسه ص ٤٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خدرها. والحقيقة أنها ليست امرأة واحدة بل نساء كثر، والذي يؤكد هذا المعرفة المسبقة عن امرئ القيس، إذ تمتع مع نساء كثر وأخبار مجونه وفسقه معروفة وكثيرة.

٢. **الربط الظاهر:** ويتمثل هذا في استدعاء الرامزة لمجموعة من الروابط اللفظية الظاهرة، لإحكام التفصيل المفضي إلى التماسك، وهذه الروابط هي:

أ. العطف: (وإن كنت قد أزمعت، وأنك مهما تأمري القلب بفعل، وما ذرفت عيناك).

ويمكن تمثيل العلاقة بين التغطية الرمزية للتراكيب والروابط التركيبية المستحضرة بالشكل التالي:

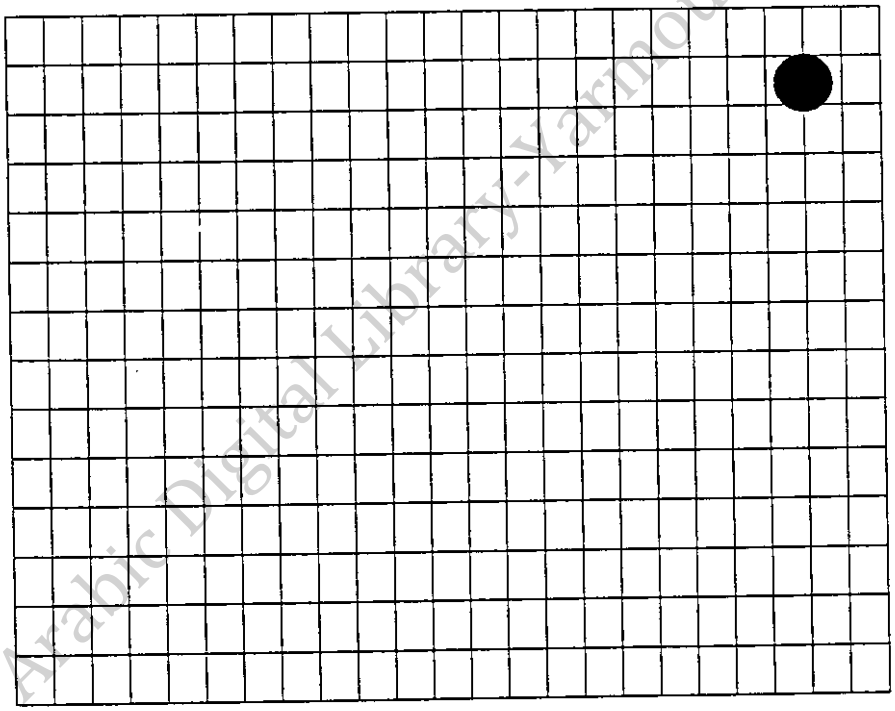

فالدائرة المعتمة تمثل "الرامزة"، والخطوط المتقاطعة تمثل الروابط التركيبية المستحضرة والمتصلة اتصالا مباشرا بالرامزة النصية. ويمكن لهذه الرامزة أن تتغير موقعيتها بحسب الاستعمالات النصية التي تخضع للأنظمة اللغوية التي يستدعيها الخطاب.

ب. التكرار: فالتغطية الرمزية اقتضت تكرير أنماط أسلوبية نحوية وهي:

- وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل.
- أن حبك قاتلي.
- أنك مهما تأمري القلب يفعل.

ويعمل التكرار على تعميق الإحساس بالرسالة. ويلحظ أن الشاعر عمد إلى تكرير القالب الشرطي، وكذلك القالب الاسنادي، وجميع هذه القوالب ترتبط بالرامزة بعلاقة التدرج المنطقي فالرامزة سبب، واستحضار هذه القوالب وتكريرها نتيجة، ولا توجد علاقة أقوى من علاقة النتيجة بالسبب.

٣. الإحالات النصية

وفقا للتصور العلائقي (الرمزي – النحوي) تتعالق التراكيب النصية فيما بينها بروابط إحالية مختلفة، مؤدية بذلك وظائفها الاتصالية، فتكون الإحالات مسببة عن الرمز، فالرمز سبب إحالي، والإحالات مسببات رمزية.

ويشكل الضمير في الأبيات – من خلال تغطيته لمساقات نصية كبيرة – عنصرا إحاليا رمزيا مهما. فجميع ضمائر التأنيث الخطابية تعود إلى الرامزة فاطمة، وهذا العود يعطي النص تماسكا، ويجعله يحقق وظائفه الاتصالية دون تشتت. ويمكن أن تفرز هذه الضمائر كما يلي:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

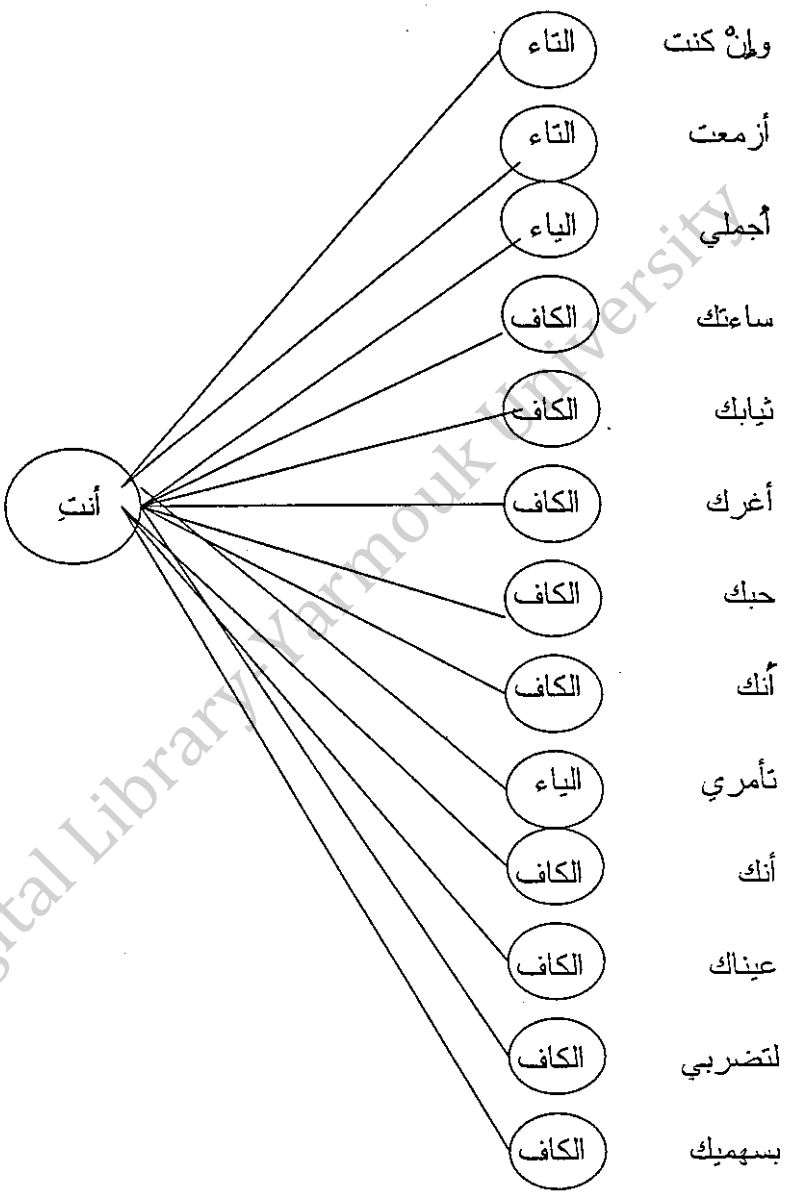

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتثبت عملية فرز الضمائر أن جميع الضمائر يمكن أن تختزل وفقاً لبنيتها العميقة- في ضمير المخاطبة المؤنث (أنت)، والذي يعود إلى الرامزة (فاطمة). وهذا يؤكد الوحدة الإحالية للضمير، ويمكن تمثيل العلاقة بين التغطية الرمزية وإحالاتها بالشكل التالي:

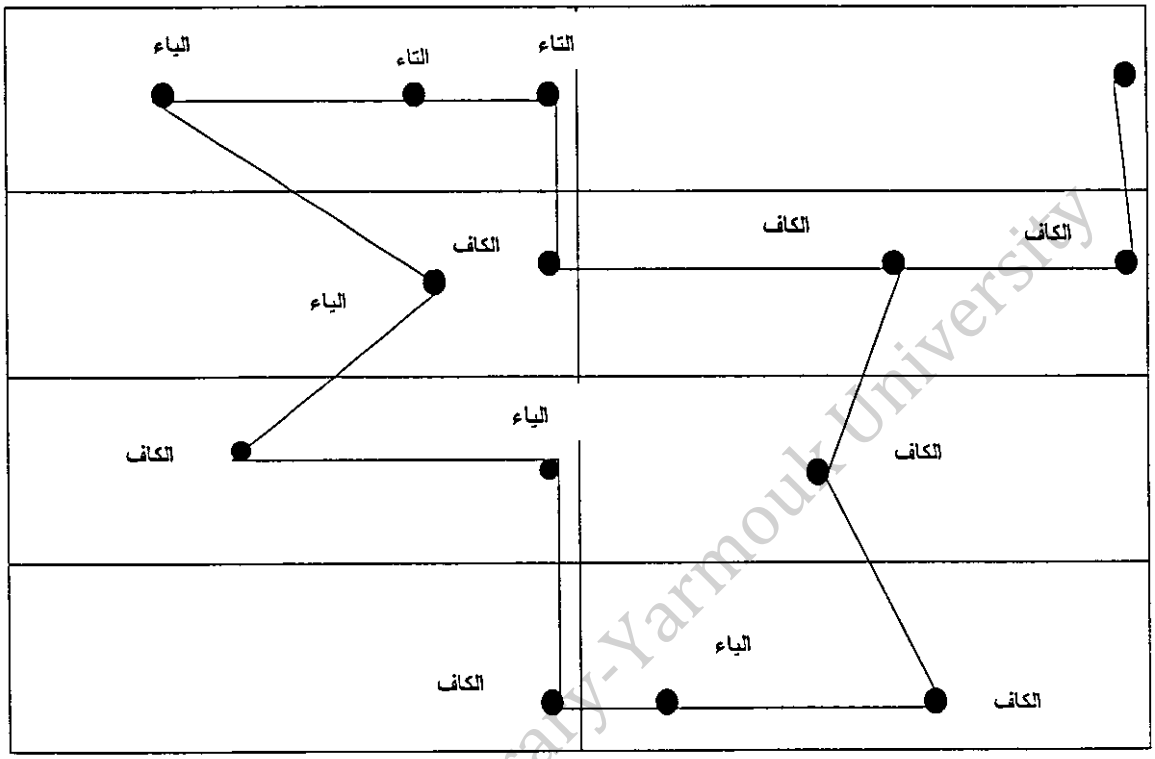

فالخطوط المعتمة الأفقية تمثّل أبيات القصيدة (هندسة). أمّا الخط المعتم الفاصل فيمثل الفصل بين أشطر الأبيات. والدوائر المعتمة الصغيرة تمثل الإحالات الضميرية المغطاة بالرامزة، والمتعالقة معها.

إذن فالرامزة لها قدرة إنتاجية منظمة، فهي ترتبط مع تراكيبها بعلاقات مختلفة، تقوم على الفعل والتفاعل؛ مما يؤدي في النهاية إلى تحقيق غرض الاتّصال بطريقة منظمة مؤثرة. ويتضح من هذا المبحث أن اللغة التي تجسد الرامزة التي يستدعيها وينظمها الخطاب بتوجهاته المختلفة تعمل على إبراز روامز النصّ؛ بهدف تقعيد الرمز، وجعله يأخذ منحىً نحوياً، مما يضمن بناء نظرية متكاملة لنحوية النصّ. لا يعتريها النقص.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع: الشكل اللغويّ وأثره في إنتاج الدلالة النصيّة

أ. مفهوم الشكل اللغويّ

يقصد بالشكل اللغويّ القالب اللغويّ الذي يختاره المرسل ويوظّفه في العملية التعبيرية. إذ تقوم اللغة بمد المرسل بأشكال لغوية مختلفة المصادر؛ فبعضها نحوي والآخر معجمي وبلاغي....الخ. وتعمل هذه الأشكال على تحقيق وظائف نصية كثيرة، إذ تعمل على تحقيق الوظائف الاتصالية للتراكيب، وربط التراكيب والأجزاء النصيّة بعضها ببعض، مما يضمن نجاح الرسالة وتحقيقها لغرضها الأساس.

إنّ اللغة الخطابية هي التي تستدعي الشكل اللغوي وتحمله، وتجعله يتفاعل مع غيره من الأشكال؛ لتحقيق هدف الرسالة. ويمكن تمثيل علاقة اللغة بأشكالها النصيّة بالشكل التالي:

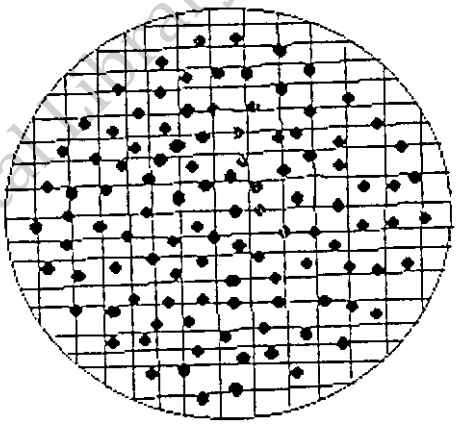

فالدائرة تشير إلى النهج الدائري اللغويّ. والدوائر المعتمة الصغيرة تشير إلى الأشكال اللغوية المتعددة التي تحتضنها اللغة. أمّا الخطوط الصغيرة المتقاطعة فتشير إلى تعالق هذه الأشكال بعضها ببعض، وترابطها مع غيرها من العناصر النصيّة.

ولقد تحدث العلماء عن معظم الأشكال اللغويّة دون أن يطلقوا عليها مصطلح "الشكل اللغوي"؛ لذا سيهتم البحث بجمع هذه الاشكال، وتسميتها بالشكل اللغوي ثم النظر في فعاليتها في بناء نحو النصّ.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ب. نماذج الشكل اللغويّ

هناك نماذج كثيرة للشكل اللغويّ. ويبدو للباحث أنّها قائمة على مبدأ واحد وهو "التصور الذهني"، إذ ترتد جميعها إلى بنية ذهنية لغوية، تعمل على تنظيم هذه الأشكال في فضاء النص، كما أنّها تعمل على تحفيزها نصياً فتبدو فعاليتها التعبيرية عالية جداً.

ونماذج الشكل اللغويّ ليست شكلية، وإنّما هي نماذج توليدية تتمتع بخاصيتي الحركية والاندماج، كما أن توجهاتها لغوية دلالية، وتحليلها يثبت أن النحو النصي لا ينفصل عن الدلالة والمعاني النصية، كما أن النحو يخضع لكافة مستويات اللغة. "فالنحو يظهر في كافة مستويات اللغة"[1]، أمّا نماذج الشكل اللغويّ فهي:

١. الشكل اللغويّ الإسنادي

تستدعي العملية الإبداعية أن يقوم المرسل (المبدع) بمحاورة اللغة، فتمده اللغة بقوالب لغوية تسهم في بناء نحوية النصّ. وهذه القوالب كثيرة متنوعة. ويقوم الشكل اللغوي القالبي الذهني بربط جميع تراكيب النصّ وإن اختلفت الألفاظ والجمل. ومن ذلك القالب الاسنادي. ولقد سبقت الإشارة إلى هذا عند الحديث عن الإسناد ومظاهره، وتحديداً في حديث الباحث عن الإسناد التسلسلي، إذ يتم الانتقال من دائرة إسنادية إلى أخرى في النص، بسبب اشتراك هذه الدوائر في قالب لغوي واحد وهو القالب اللغويّ الإسنادي، ويعمل هذا القالب على تعميق فعالية الروابط النصيّة الأخرى، فتتحقق بذلك الوظائف الاتصالية للتراكيب داخل النص، ومن ذلك قول الحارث:

---

(١) انظر: Papegaaij, bart. & schubert, klaus. Text coherence in translation. P. 17.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أيَّمَـــا خُطَّـــةٍ أَرَدْتُـــمْ فَـــأَدُّوْ ... هَـا إِلَيْنَـا تَمْشِـي بِـهَا الأَمْـلاَءُ[1]

إِنْ نَبَشْـتُمْ مَـا بَيْـنَ مِلْحَـةَ فَالصَّـا ... قِـبِ فِيـهِ الأَمْـوَاتُ والأَحْيَـاءُ[2]

أَوْ نَقَشْـتُمْ فَـالنَّقْشُ تَجْشَـمُهُ النَّـا ... سُ وَفِيْـهِ الصَّـلاَحُ والإِبْـرَاءُ[3]

أَوْ سَـكَتُّمْ عَنَّـا فَكُنَّـا كَمَـنْ أَغْـ ... ـمَضَ عَيْنـاً فِـي جَفْنِـهَا الأَقْـذَاءُ[4]

أَوْ مَنَعْتُـمْ مَـا تُسْـأَلُوْن فَمَـنْ حُـدَّ ... تْمُـوهُ لَـهُ عَلَيْنَـا الْعَـلاَءُ[5]

هَـلْ عَلِمْتُـمْ أَيَّـامَ يُنْتَـهَبُ النَّـا ... سُ غِـوَاراً لِكُـلِّ حَـيٍّ عُـوَاءُ[6]

إِذْ رَفَعْنَـا الجِمَـالَ مِـنْ سَـعَفِ البَحْـ ... ـرَيْـنِ سَـيْراً حَتَّـى نَـهَاهَا الْحِسَـاءُ[7]

ثُـمَّ مِلْنَـا عَلَـى تَمِيْـمٍ فَأَحْرَمْـ ... ـنَـا وَفِيْنَـا بَنَـاتُ مُـرٍّ إِمَـاءُ[8]

لاَ يُقِيْـمُ العَزِيْـزُ بِـالبَلَدِ السَّهْـ ... ـلِ وَلاَ يَنْفَـعُ الذَّلِيْـلَ النَّجَـاءُ[9]

لَيْـسَ يُنْجِـي مُوَائِـلاً مِـنْ حِـذَار ... رَأْسُ طَـوْدٍ وَحَـرَّةٌ رَجْـلاَءُ[10]

فَمَلَكْنَـا بِذَلِـكَ النَّـاسَ حَتَّـى ... مَلَـكَ المُنْذِرُبْـنُ مَـاءِ السَّـمَاءِ[11]

وَهَـوُ الـرَّبُّ والشَّـهِيْدُ عَلَـى يَـوْ ... مِ الْحِيَـارَيْنِ وَالبَـلاَءُ بَـلاَءُ[12]

مَلِـكٌ أَضْلَـعُ البَرِيَّـةِ لاَيُـو ... جَـدُ فِيْـهَا لِمَـا لَدَيْـهِ كَفَـاءُ[13]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٦٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٤٦٨.

(٤) المصدر نفسه ص ٤٦٩.

(٥) المصدر نفسه ص ٤٦٩.

(٦) المصدر نفسه ص ٤٧٠.

(٧) المصدر نفسه ص ٤٧١.

(٨) المصدر نفسه ص ٤٧٢.

(٩) المصدر نفسه ص ٤٧٢.

(١٠) المصدر نفسه ص ٤٧٣.

(١١) المصدر نفسه ص ٤٧٤.

(١٢) المصدر نفسه ص ٤٧٥.

(١٣) المصدر نفسه ص ٤٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَـــاْترُكُوا الْبَغْـــيَ والتَّعَـــدِّي وَإِمَّـــا ... تَتَعاشُـــوا فَفِـسي التَّعَاشِـــي الـــدَّاءُ[1]

واذْكُـــرُوا حِلْـفَ ذِي الْمَجَـــازِ وَمَـــاقُدْ ... دمَ فِيْـــهِ العُـــهُودُ وَالكُفَـــلاَءُ[2]

حَـــذَرَ الْخَـــوْنِ وَالتَّعَـــدِّي وَهَـــلْ يَنْـــ ... ـقُـضُ مَـا فِـي الْمَـهَارقِ الأَهْـــوَاءُ[3]

واعْلَمُـــوا أَنَّنَـــا وَإِيَّـــاكُمْ فِيْـــ ... ـمَا اشْـتَرَطْنَا يَـوْمَ اخْتَلَفْنَـا سَـواءُ[4]

فالقالب الإسنادي المرتد إلى المعادلة الذهنية المستقرة في ذهن الشاعر هو الذي يربـــط تراكيب هذه الأبيات بعضها ببعض، كما أنه هو الذي يمد الشاعر بالقدرة على تفريـــغ عتابـــه وتقريعه وفخره، كما أن الديمومة الإسنادية هي التي تُولِّد الـــدلالات النصيّـــة وتوجهـــها، وأن الاختلاف الحاصل بين الدلالات التركيبية النصيّة هو الأساس فـــي عمليـــة تحقيـــق الوظـــائف الاتصالية للتراكيب، ولولا هذا التخالف لما جاء النصّ معبراً عن الوحدة النفسية للمرسل.

ويقوي القالب الذهني الإسنادي التجاور التسلسلي بين التراكيب؛ لتحقيق مبدأي اتّصـــال التعابير بعضها ببعض، وتحقيقها لوظيفتها الانفعالية الصادقة، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

وَنَحْـــنُ إِذَا عِمَـــادُ الْحَـــيِّ خَـــرَّتْ ... عَلَـــى الأَحْفَـاضِ نَمْنَـعُ مَـا يَلِيْنَـا[5]

نُدَافِـــعُ عَنْـــهُمُ الأَعْـــدَاءُ قُدُمَـــاً ... وَنَحْمِـــلُ عَنْـــهُمُ مَـا حَمَّلُونَـــا[6]

نُطَـــاعِنُ مَـــا تَرَاخَـــى النَّـــاسُ عَنَّـــا ... وَنَضْـــرِبُ بِالسُّـــيُوفِ إِذَا غُشِـــيْنَا[7]

يَسُـــمْرٍ مِـــنْ قَنَـــا الْخَطِـــيِّ لُـــدْنٍ ... ذَوَابِـــلَ أَوْ بِبِيْـــضٍ يَعْتَلِيْنَـــا[8]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٧٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٩٤.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٩٥.

(٦) المصدر نفسه ص ٣٩٦.

(٧) المصدر نفسه ص ٣٩٧.

(٨) المصدر نفسه ص ٣٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نَشُــقُّ بِــهَا رُءُوْسَ الْقَــوْمِ شَــقًّا وَنُخْلِيَــهَا الرِّقَــابَ فَيَخْتَلِيْنَــا[1]

تَخَــالُ جَمَــاجِمَ الأَبْطَــالِ فِيْــهَا وُسُــوقاً بِالأَمَــاعِزِ يَرْتَمِيْنَــا[2]

نَحُــزُّ رُءُوْسَــهُمْ فِــي غَــيْرِ بِــرٍّ فَمَــا يَــدْرُوْنَ مَــاذَا يَتَّقُوْنَــا[3]

فالتتابع الإسنادي للتراكيب: (نمنع، وندافع، ونحمل، ونطاعن، ونضرب، ونشق، وتخال، ونحز، ويدرون...) يقوي رابطة التجاور التسلسلي بينها، مما يجعلها تحقق وظائفها الاتصالية، ويكسب النصّ تماسكاً على المستويين النحوي والدلالي.

ويأتي القالب اللغويّ الذهني، بصور مختلفة داخل النصّ فيكون إسنادياً، وأسلوبياً أيضاً، أي أن المرسل يعمد إلى جعل القالب اللغويّ الذهني يأخذ منحى أسلوبياً؛ وكل هذا يجعله ينتج دلالات نصية تمثل الوظيفة الاتصالية للتراكيب، ومن ذلك أن يعمد المرسل إلى اختيار أسلوب نحوي بعينه ويقوم بتكريره وذلك كقول زهير:

وَإِنَّ سَــفَاهَ الشَّــيْخِ لاَ حِلْــمَ بَعْــدَهُ

وإِنَّ الْفَتَــى بَعْــدَ السَّــفَاهَةِ يَحْلُــمِ[4]

عمد الشاعر إلى اختيار أسلوب التوكيد الأداتي؛ ليؤكد حكمته، كما أنه قام في ذهنه أنْ يقابل حالة الشيخ الذي لا يؤمل صلاحه، نتيجة أعماله الفاسدة، بالفتى الذي يرجى صلاحه بعد سفاهته. وتمت هذه المقابلة بالتركيبين التوكيديين المتتابعين، وهذه العلاقة هي علاقة استلزامية.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩٧.

(٤) الزوزني، الحسين بن أحمد. شرح المعلقات السبع ص ١٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. الشكل اللغويّ التقابلي

يُعدّ الشكل اللغويّ التقابلي أحد الأشكال اللغويّة التي توفرها اللغة للمرسل. والتقابل مأخوذ من المقابلة والتي "أصلها ترتيب الكلام على ما يجب، فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً، وآخره ما يليق به آخراً، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه، وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد....."[١].

ويعمل التقابل على جعل النصّ متماسكاً ومعبراً عن غرضه بطريقة مقنعة وناجحة؛ لأن المقابلة أو المقارنة الصريحة أو الضمنية بين شيئيين تشكلان مظهراً من مظاهر التماسك[٢]. ومن التقابل قول عنترة:

تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرٍ حَشِيَّةٍ وَأَبِيْتُ فَوْقَ سَرَاةِ أَدْهَمَ مُلْجَمِ[٣]

إذ يقابل الشاعر بين حالته وحالة عبلة، فهي تنام وتصبح منعمة مسرورة، بينما هو يبيت فوق ظهر فرس أدهم ملجم يقاسي الظروف الصعبة. ولعل اختياره للتركيب (أبيت) فيه دلالة عميقة ومقصودة، فالبيات يتضمن دوام العذاب. ودلالة هذا البيت تجعل الباحث يذهب إلى الحديث عن ضرورة ضمّه هو والبيت التالي إلى معلقة عنترة وهو:

وَتَظَلُّ عَبْلَةُ في الخُزُوزِ تَجُرُّهَا وَأَظَلُّ فِي حَلَقِ الحَدِيْدِ المُبْهَمِ[٤]

والسبب في ذلك هو ارتداد البيتين إلى بنية نحوية واحدة، تقوم على الشكل التقابلي، فهو يقابل فيما بين حالته وحالتها، فهي منعمة وهو يعاني، والذي يؤكد ذلك أيضاً التشابه القالبي لهذا البيت مع السابق له في القصيدة وهو:

---

(١) ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيراوني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م ٢/١٥.

(٢) انظر: ستيتية، سمير. منازل الرؤية منهج في قراءة النص ص ٢١.

(٣) ذكره فخر الدين قباوة نقلاً عن الجمهرة في تعليقه على شرح التبريزي ص ١٠٨.

(٤) الأنباري، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَتَحِـــلُّ عَبْلَـــةُ بِـــالجِوَاءِ وَأَهْلُنَـــا بِـــالْحَزَنِ فَالصُّمَّـــانِ فَـــالمُتَثَلَّمِ[1]

فهو يقابل بين إقامة عبلة وبين إقامته هو وأهله.

ويمكن القول: إنّ تقابل الصيغ أو القوالب التركيبية يبرز العلاقة الوطيدة فيما بين الشكل اللغويّ والتعبير الوجداني المتضمن فيه، فالمعاناة تقابل بما يخالفها، والدلالة المأساوية للتقـــابل تعمق الإحساس بوجدانيات النص، وإن النصّ في حقيقته هو معاناتة، والتفكير الدائم فـــي هـــذه المعاناة هو الذي يولد الترابط لها. ويمكن تمثيل العلاقة بين المتقابلات النصيّة بالشكل التالي:

(أ)

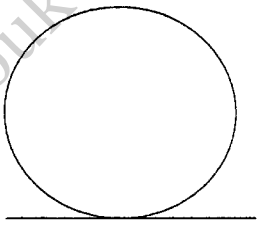

(ب)

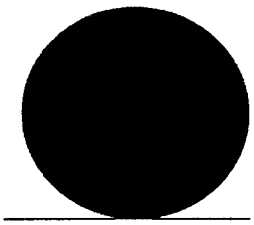

فالدائرة البيضاء في الشطر الأول تقابلها دائرة سوداء في الشطر الثاني.

والشكل اللغويّ التقابلي من أهم الأشكال اللغويّة النصيّة التي تعمل على بنـــاء نحويـــة النصّ. فالنصوص الشعرية الأصيلة قائمة على مبدأ عرض القضية ومقابلتها بقضيـــة أخـــرى، ولولا التخالف لما استمر الشاعر في العملية التعبيرية، فالقضية لا تكتمل وفقـــاً لمبـــدأ التشـــابه الدلالي والنحوي للتراكيب، وإنّما لابد من مقابلة التركيب بتركيب آخر يخالفه. ومن هنا لابد من استيعاب قضية مهمة في عملية بناء نحو النصّ، وهي أن نحو النصّ لا يهتم بالترابط الشـــكلي للتراكيب، والدليل على ذلك أن الترابط الشكلي والدراسة النحويـــة الشـــكلية للنصـــوص ليـــس بمستطاعهما الوصول إلى تحقيق كفاية نصية؛ لذا لابد من متابعة الخيط الدلالي الذي تنتجه هـــذه الروابط للوصول إلى كفاية نصية تمكن الفرد من إنتاج النصوص وفقاً لمبدأ القدرة على عـــرض القضية بطريقة مقنعة ومعبرة ومؤثرة. ويتحكم بهذه العناصر مجتمعة مبدأ التماسك النصي.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص٢٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣. الشكل اللغويّ التشبيهي

يقوم المرسل في كثير من الأحيان باستخدام تقنية الشكل اللغويّ التشبيهي؛ لتكوين الدلالة النصيّة التي تعبر عن الوظيفة الاتصالية للتركيب، فيأتي القالب النحوي حاملاً للتشبيه الذي يخدم التدويمة النصيّة التي تمثل غرض المرسل من عملية الاتّصال اللغويّ أساساً، ومن ذلك قول طرفة بن العبد البكري:

أنَا الرَّجُلُ الجَعْدُ الذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَاشٌ كَرَأْسِ الحَيَّةِ المُتَوَقِّدِ[١]

فالتشبيه في هذا البيت؛ جاء توكيداً للتدويمة التي يقصدها الشاعر. فهو يريد أن يؤكد قوته وخفته وتوقد ذكائه، فهو في اجتماع هذه الأوصاف تماماً كرأس الحية المتوقد . وهذا التشبيه يؤثر في نفسية المستقبل فيدفعه إلى التأمل وتحليل الصورة، لأنه فيه ما فيه من القوة والصعوبة. ويبدو للباحث من خلال تتبعه للشكل اللغويّ التشبيهي في المعلقات السبع أنّه- أي الشكل التشبيهي- يدخل في بناء تقنية التفصيل التي تستدعيها نحوية النص، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

عَلَيْنَا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلاَصٍ تَرَى فَوْقَ النِّجَادِ لَهَا غُضُونَا[٢]

إذَا وُضِعَتْ عَنِ الأَبْطَالِ يَوْماً رَأَيْتَ لَهَا جُلُودَ القَوْمِ جُوْنَا[٣]

كَأَنَّ مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُهَا الرِّيَاحُ إذَا جَرَيْنَا[٤]

فالمقتضى التفصيلي هو الذي دفع الشاعر إلى استحضار التركيب التشبيهي في البيت الثالث. فهو يصف الدروع التي يلبسها قومه في الحرب، فهي قوية على الأعداء وعلى صاحبها،

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص ٢١٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٤١٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٤١٦.

(٤) المصدر نفسه ص ٤١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجلود القوم سوداء اللون منها. ولم يكتف بهذا الوصف فجاء بالتركيب الإسنادي التشبيهي ليُظهر لمقابلة أن هذه الدروع تستعمل في الحروب كثيراً؛ لأن أوساطها تشبه أوساط غُدر بالماء التي هبت عليها الريح فأحدثت فيها خطوطاً متعرجة. وهذا يدل على رغبة الشاعر في تعميق الإحساس باستعظام هذه الدروع، وكل ذلك تابع للمقتضى التفصيلي الوصفي.

٤. الشكل اللغويّ المعجمي

يقصد بالشكل اللغويّ المعجمي الألفاظ المترابطة بعضها ببعض بفعل ما يمكن تسميته بالتقارب الدلالي للألفاظ المنتظمة سياقياً، إذ ترد ألفاظ كثيرة في النصّ تتقارب في دلالاتها النصية، ويؤدي هذا التقارب الدلالي إلى انسجام في النص، وتؤكد هذه الظاهرة أن الانسجام النصي يبدأ بتالعالق الألفاظ لتكوين التركيب، ثم بعد ذلك يتم النظر في تعالق التراكيب بعضها ببعض؛ لتكوين النصّ. ويؤكد الباحث أن الدلالة المعجمية لا تقل أهمية عن الدلالة السياقية للألفاظ لأن الدلالات السياقية تبدو في كثير من الأحيان تطويراً للحالات المعجمية، وإن كان السياق هو الذي يعطي الخصوصية الدلالية لها. يقول عنترة العبسي:

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ... يَتَذامَرُوْنَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ[١]

يَدْعُونَ عَنْتَرُ والرِّماحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ[٢]

مَا زِلْتُ أَرْمِيْهِمْ بِغُرَّةِ وَجْهِهِ ... وَلَبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبِلَ بِالدَّمِ[٣]

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وأَبْرَأَ سُقْمَهَا ... قِيلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ[٤]

وأَزُورَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بَلِبَانِهِ ... وَشَكَا إِلَيَّ بَعِبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ[٥]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٥٩

(٤) المصدر نفسه ص ٣٥٩.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٦٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لَـوْ كَـانَ يَـدْري مـا المُحَـاوَرَةُ اشْـتَكَى أوْ كَـانَ لَـوْ عَلِـمَ الكَـلامَ مُكَلِّمِـي[1]

إن الألفاظ في هذه الأبيات متقاربة الدلالة، وجمعيها تدور في فضاء واحد وهو فضـــاء المعركة، وتعبّر عن إحساس واحد وهو إحساس الشاعر. ويمكن أن تختزل جميع هذه الألفاظ في مجموعة من الألفاظ المعبرة في دلالاتها عن جو المعركة ومستلزماتها وهذه الألفاظ هي: (القوم، عنترة، الفوارس، المحاورة، الرماح).

وهذه الألفاظ المختزلة تحتضن جميع الألفاظ الأخرى ولقد أطلق جـــايفون (T. Givon) عليها مصطلح: الإشارات القواعدية[2]، فهي التي تكشف عن التماسك الظاهر والمبطن للنـــص، كما أن اختزالها لم يتم بطريقة عشوائية بل خضع للقوانين التي قررها فان ديك وهي: الحـــذف، والانتفاء، والتعميم، والتأليف[3].

ويبدو للباحث أن تقنية التقارب الدلالي للألفاظ النصيّة قد تمكن من النظر إلـــى النـــصّ على أنه بنية كلية متكاملة تضم مجموعة من البني الجزئية، كمـــا أن ترابـــط البنـــي الجزئيـــة (الصغرى) بعضها ببعض يتم من خلال النظر إلى النصّ على أنه شكل ودلالة منتجـــة. وبنـــاءً على ذلك يتم الوصول إلى البنية الكلية (الكبرى) النصيّة بسهولة، مهما كان نوع النصّ: شعراً أم نثراً. وقد ذهب أنور المرتجي إلى أن القصيدة حينما نقرؤها لا يحضرنا منها ســـوى البنيـــات الصغرى ونقوم بالتقاطها فقط، أمّا البنية الكبرى فمن الصعب الوصول إليها[4]، وهذا غير دقيق؛ فإن البنية الكلية (الكبرى) للنصّ مرتبطة بالجانب الدلالي لا الشكلي. وإذا تمـــت مراعـــاة هـــذا الجانب فإنّه وبكل سهولة يمكن الوصول إلى البنية الكلية لأي نص شعري، كما أنّه لا بـــد مـــن

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٦١.

(٢) انظر: Givon. T. Coherence in text V.S. Cohernce In Mind In: Gernsbacher, Morton Ann & Givon T. (Editiors) Coherence In Spontaneous Text. A companion series to the journal Studies in language town Benjamin's publishing company Amsterdam Philadelphia, 1995. Vol. 31, P. 83.

(٣) انظر: المرتجي، أنور. سيميائية النصّ الأدبي ص ٩٢.

(٤) المرجع نفسه ص ٩٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأخذ بعين الاعتبار أن الدلالات النصية متقاربة حتى وإن تخالفت؛ لأن التخالف تقنية يلجأ إليها الشاعر، لتعضيد التماسك، وقد تنتج عنها أشكال لغوية أخرى لها فعالية في إنتاج الدلالة النصية.

٥. الشكل اللغوي الموازي

تمد اللغة المرسل في العملية التعبيرية بأشكال لغوية موازيه لبعضها البعض؛ مما يسهم في بناء نحو النص. والتوازي بحسب تصريح ياكوبسون هو مظهر نحوي يحكمه النظم، يقول ياكوبسون :"ففي الشعر يملي النظم نفسه بنية الموازاة، وتحدد البنية العروضية عموما والوحدة الموسيقية وتكرار البيت ومكوناته الوزنية، تحدد جميعها التوزيع المتوازي لعناصر النحو والدلالة اللفظية، وينظم الصوت بالضرورة المعنى...."(١).

يؤكد مذهب ياكوبسون أن النظم هو الذي يؤسس نحوية النص ويؤسس كذلك دلالاته اللفظية. والنظم في حقيقته هو قدرة تنظيمية، وهو بذلك أساس التوجهات الخطابية ومطلبها؛ لأن الخطاب هو القدرة الذهنية المنظمة لعملية الاتصال، فالخطاب يستدعي اللغة، واللغة تستدعي الروابط؛ لضمان نجاح عملية الاتصال الإبلاغي لا التقريري غير المؤثر.

إذن فالأشكال اللغوية الموازية مؤسسة وفق توجهات الخطاب، أما الدلالات النصية فهي ثمرة تفاعل الشكل الموازي مع منظومة القيم النصية الفاعلة، وبناء على ذلك يقوم الشكل اللغوي الموازي، بمظهره الملحوظ، بتحقيق الهدف – أي هدف المرسل – وبعملية ربط التراكيب النصية بعضها ببعض؛ لأن الموازاة هي التي تربط الأبيات وتمنحها الانسجام المتكامل(٢). يترتب على ما تقدم أن الموازاة نظام قائم بحد ذاته، يشمل التراكيب المتماثلة والمتخالفة وهو على أنواع وهي:

---

(١) ياكوبسون، رومان. أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧م ص١٠٨.

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ. التوازي التضادي التعاضدي

وهو شكل من أشكال التقابل ولقد أطلق "سيغل" عليه هذا الاسم، وقام البـاحث بإضافـة كلمة التعاضد إليه؛ لأن معناه أن يؤتى بفكرة مضادة للفكرة التي يتضمنها التركيب الأول، وذلك تدعيماً لها، فيتوازي التركيبان الأول والثاني[1]. ومن التوازي التضادي التعاضدي قول لبيد:

وَمُقَسِّـــمٌ يُعْطِـــي العَشِـــيْرَةَ حَقَّـــهَا ومُغَذْمِـــرٌ لِحُقُوقِـــهَا هَضَامُـــهَا[2]

فالمقتضى التفصيلي يفرض على المرسل أن يأتي بالتركيب الثاني المضاد؛ وذلك ليدعم الأول ويزيده قوة وتوضيحاً. ومنه قول عنترة:

أُسْـــدٌ عَلَـــيَّ وَفِـــي العَـــدُوِّ أذِلَّـــةٌ هَـــذَا لَعَمْـــرُكَ فِعْـــلَ مَوْلَـــى الأَشْـــأَمِ[3]

إذْ جاء بالتركيب (وفي العدو أذلة) لدعم التركيب الأول: أُسْدٌ علي، كما أن هذا التركيب هو سبب القسم في الشطر الثاني من البيت. وهذا يثبت فعالية الشكل الموازي ليس فيما يسـبقه وحسب، بل فيما يأتي بعده أيضاً من تفصيلات.

ب. التوازي الترادفي

ومعناه الموازاة بين تركيبين يحملان المعنى نفسه[4]. لأغراض نصية محددة، ومن ذلـك قـول عنترة:

حُيِّيْـــتَ مِـــنْ طَلَـــلٍ تَقَـــادَمَ عَـــهْدُهُ أقْـــوَى وَأَقْفَـــرَ بَعْـــدَ أمِّ الْـــهَيْثَمِ[5]

---

(١) انظر: عريف، محمد خضر. (الخطاب العربي: سماته وخصائصه)، في: عبدالخالق، غسـان (محـرراً)، تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة)، المؤتمر العلمي الثالث لكليـة الآداب، جامعـة فيلادلفيـا ١٩٩٧، ص٤٧.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم بن بشار. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٩٢.

(٣) الزوزني، الحسين بن أحمد. شرح المعلقات السبع ص ١٥٤.

(٤) انظر: عريف، محمد خضر (مصدر سبق ذكره) ص ٤٧.

(٥) الزوزني، الحسين بن أحمد. شرح المعلقات السبع ص ١٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد وازى الشاعر بين أقوى وأقفر؛ ليؤكد حزنه تجاه انقضاء معالم الحياة عن الديـــار. وهذا له علاقة بالطابع الوجداني للتركيب النصي، وكأن التوازي يأتي في كثير مـــن الأحيـــان، لإبراز الطابع الوجداني للنص، ومنه قوله لبيد:

بَـلْ مَـا تَذَكَّـرُ مِـنْ نُـوَارٍ وَقَـدْ نَـأَتْ وَتَقَطَّعَـــتْ أَسْـــبَابُهَا وَرِمَامُـــهَا[1]

فالتركيب (وتقطعت) هو مرادف للتركيب (وقد نأت)؛ وحصلت هذه المـوازاة، توكيـداً لشدة البعد وانقطاع الأمل، فهي تحمل الطابع الوجداني وتعمقه. إنّ تتابع التركيبين يدفع المستقبل إلى الحزن والتأثر بمأساوية الحدث الشعري.

وقد يكون التوازي الترادفي دالاً على العلاقة المنطقية بين التركيبين المتوازيين، ومـــن هنا تقوى الرابطة فيما بين التركيبين، فتكون العلاقة بينهما علاقة الكل بالجزء، ومن ذلك قـــول طرفة بن العبد:

تَرَبَّعَـــتِ الْقُفَّيْـــنَ بالشَّـــوْلِ تَرْتَعِـــي حَدَائِـــقَ مَولِـــيِّ الأَسِـــرَّةِ أَغْيَـــدِ[2]

ج. التوازي التركيبي

إن مصطلح التوازي التركيبي (Synthetic Paralleleism) هو من وضع سيغل. ويقصـــد به أن تكمل فكرة أو عبارة بعبارة أو فكرة أخرى تأتي بعدها ويستعمل في أسلوب كـــهذا عـــادة أحرف التعليل[3]. ويرى الباحث أن مصطلح التوازي التركيبي مصطلح عام؛ لأنّ جميع أنـــواع التوازي التي تتمظهر على هيئة تراكيب محسوسة هي تركيبية؛ لذا يمكن أن نستبدل به مصطلح التوازي السببي فهو أكثر دقة، كما أنه يخبر عن مضمونـــه بنـــوع مـــن الخصوصيـــة، أي أن

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٥٣٢.

(٢) المصدر نفسه ص ١٥٤.

(٣) انظر: عريف، محمد خضر: (الخطاب العربي: سماته وخصائصه)، في: عبد الخالق، غسان (محـــرراً)، تحليل الخطاب العربي (بحوث مختارة)، المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب، جامعـــة فيلادلفيـــا، الأردن، ١٩٩٧ ص ٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التوازي السببي يبحث عن العلاقات السببية فيما بين التراكيب المتوازية، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

ألاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَّاهِلِيْنَا[1]

فالتركيب الثاني (نجهل فوق جهل الجاهلينا) يوازي التركيب الأول (ألا لا يجهلن أحد علينا) وهو نتيجة له، وهناك شواهد كثيرة على ذلك، ولكن القصد هنا التمثيل لا الحصر.

د. التوازي الذروي (Climactic Paralleleism)

وهذا المظهر من مظاهر التوازي هو من وضع وتصنيف سيغل، ويقصد سيغل به عدم تمام فكرة في أول الخطاب إلاّ بأخرى في آخره[2]. ويرى الباحث أن نستبدل بهذا المصطلح مصطلح التوازي التدرّجي، لأن العلاقة فيما بين التراكيب التي تأتي بعد التركيب الحامل للفكرة غير المكتملة هي علاقة التدرج المنطقي. فالتفصيل هنا من مقتضيات المنطق ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تُرِيْكَ إِذا دَخَلْتَ عَلَى خَلاَءٍ وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكَاشِحِيْنَا[3]

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بِكْرٍ تَرَبَّعَتِ الأَجَارِعَ وَالمُتُونَا[4]

وَثَدْيَاً مِثْلَ حُقِّ العَاجِ رَخْصَاً حَصَاناً مِنْ أَكُفِّ اللاَّمِسِيْنَا[5]

وَمَتْنَيْ لَدْنَةٍ طَالَتْ وَلاَنَتْ رَوَادِفُهَا تَنُوءَ بِمَا يَلِيْنَا[6]

فالتركيب الأول لا تكتمل فكرته دون النظر في التراكيب المعطوفة في الأبيات التالية له. وهذا النوع من التوازي يثبت أهمية الجانب الدلالي في نحوية النصّ.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢٦.

(٢) انظر: عريف، محمد خضر (مصدر سبق ذكره) ص ٤٧.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص ٣٧٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧٧.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٨١.

(٦) المصدر نفسه ص ٣٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومنه قوله أيضاً:

أَلاَ لاَ يَحْسَبُ الأَعْدَاءُ أَنَّا تَضَعْضَعْنَا وَأَنَّا قَدْ فَنِيْنَا[1]

ففكرة التركيب الأول (ألا لا يحسب الأعداء) لا تكتمل دون النظر في التراكيب التالية له، والعلاقة فيما بين التراكيب هي علاقة التدرج المنطقي.

هـ. التوازي الاستدراكي[2]

ويقصد بهذا النوع من التوازي أن يوازي المرسل تركيباً بتركيب آخر مستدرك، ومنه قول الحارث:

لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُوراً وَلَكِنْ يَرْفَعُ الآلُ شَخْصَهُمْ وَالضُّحَاءُ[3]

فهو في التركيب الأول يقرر أنهم لم يفاجئوهم مفاجأة وتوكيداً لهذه المسألة؛ استدرك فقال: إنهم قد أتوهم وقت ارتفاع النهار وهم يرونهم من خلال السراب وكأنه يرفع أشخاصهم.

ومنه قول طرفة:

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التِّلاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرفِدِ القَومُ أَرْفِدِ[4]

إنّ دلالة التوازي النحوي هنا تثبت أن المرسل متهم بالجبن والبخل، ويحاول أن ينفي هاتين السمتين عنه؛ فهو يقرر في التركيب الأول أنه لا يسكن الأماكن المرتفعة هارباً من القتال وإقراء الضيف، ولتوكيد نفي هاتين السمتين عنه؛ استدرك قائلاً: أكون مستعداً للرفد إذا طلبه مني القوم.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٩١.

(٢) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص ٤٩١.

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

و. التوازي التشبيهي[1]

ويقصد به أن يوازي المرسل تركيباً يَحْمِلُ فكرة محددة بتركيب تشبيهي، لأغراض يحددها السياق، ومنه قول امرئ القيس:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[2]

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالمُتَنَزَّلِ[3]

فالتركيب التشبيهي في البيت الأول يوازي مجموعة الصفات المتقدمة عليه، وهذه الموازاة التشبيهية تؤكد الأوصاف الدالة على سرعة الفرس ومتانة خلقه، وكذلك الأمر بالنسبة للتركيب التشبيهي في البيت الثاني، إذْ تمت الموازاة التركيبية؛ لتوكيد متانة الفرس وحسن خلقه وقوته. وقد يأتي التركيب التشبيهي الموازي؛ لتوضيح الفكرة التي يحملها التركيب السابق، ومنه قول طرفة:

وَأَتْلَعُ نَهَّاضٌ إِذَا صَعَّدَتْ بِهِ كَسُكَّانِ بُوصِيٍّ بِدَجْلَةَ مُصْعِدِ[4]

فالتركيب التشبيهي يوازي التركيب السابق له. وحدثت الموازاة هذه؛ لتوضيح كمال خلق الناقة، فلها عنق طويل يشبه ذنب سفينة تصعد في دجلة، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا[5]

إذْ جاء بالتركيب التشبيهي الموازي للتركيب الأول؛ لتوضيح كيفية ظهور قرى اليمامة وارتفاعها، فهي في عملية ظهورها تشبه ظهور السيوف وارتفاعها مسلولة.

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص ٨٤.

(٣) المصدر نفسه ص ٨٥.

(٤) المصدر نفسه ص ١٧١.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ز. التوازي الإحالي[1]

ويقصد به أن يأتي المرسل بتركيب يتضمن عنصراً إحالياً يوازي العنصر الإحالي الذي يتضمنه التركيب السابق له. وهذا النمط من التوازي يثبت فعالية ظاهرة التوازي الإحالي في تحقيق الوظيفة الاتصالية للتراكيب النصية، ومن ذلك قول لبيد:

أَسْهَلْتُ وانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دُوْنَهَا جُرَّامُهَا[2]

فتاء التأنيث في التركيب الثاني توازي الضمير المتصل في التركيب الأول، وهو التاء، ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم:

قِفِي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحْدَثْتِ وَصْلاً لِوَشْكِ البَيْنِ أَمْ خُنْتِ الأَمِينَا[3]

إنّ ضمير المخاطبة المؤنث في التركيبين (هل أحدثت وصلاً، وأم خنت الأمينا) يوازي ضمير المؤنث في التركيب (قفي نسألك). وهذا التوازي يعمق العلاقة فيما بين التراكيب الطلبية كما هو ملحوظ. فالتركيب الاستفهامي متولد عن السابق له، وهذا التوالد له دور كبير في تحقيق التركيب النصي لوظيفته الاتصالية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) هذا المصطلح من وضع الباحث.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٨٢.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٧٧.

الفصل الرابع

ظواهر من نحو النصّ في معلقة امرئ القيس

"محور وصف الديار والنسوة"

- مدخل
- المبحث الأول: وحدة النصّ والبيت
- المبحث الثاني: ظاهرة الوصل
- المبحث الثالث: ظاهرة الترابط الإسنادي
- المبحث الرابع: ظاهرة الترابط الإحالي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مدخل

يهدف هذا الفصل إلى تطبيق بعض التصورات التي تم بحثها في الفصول السابقة، حول الوحدة النصية، على معلقة امرئ القيس بخاصة محور خطاب الديار والنسوة؛ وذلك تأكيداً للأثر الذي تحدثه بعض الروابط التركيبية النصيّة في عملية انسجام النصّ وتماسكه.

تقتضي منهجية البحث تقسيم الفصل إلى أربعة مباحث متواترة وهي:

المبحث الأول: وحدة النصّ والبيت

المبحث الثاني: ظاهرة الوصل

المبحث الثالث: ظاهرة الترابط الإسنادي

المبحث الرابع: ظاهرة الترابط الإحالي

وتحليل الظواهر المذكورة في أحد محاور القصيدة دون الأخرى؛ قد جاء لتحاشي التكرار غير الهادف؛ لأن ما ينسحب على المحور المذكور أعلاه ينسحب على المحاور الأخرى في القصيدة.

بداية سيتم إيراد نص المعلقة كما جاء في رواية محمد بن القاسم بن بشار في كتابه: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، وسيتم بعد ذلك الانتقال إلى التحليل مباشرة والله الموفق.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نصّ المعلقة

١. قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

٢. فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

٣. تَرَى بَعَرَ الأَرآمِ فِي عَرَصَاتِهَا ... وقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

٤. كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

٥. وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ ... يَقُولُونَ: لا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

٦. وإنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ... فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

٧. كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

٨. إذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا ... نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ

٩. فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي

١٠. ألارُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ... وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

١١. وَيَومَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي ... فَيَا عَجَباً لِرَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ

١٢. فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِيْنَ بِلَحْمِهَا ... وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

١٣. وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرِ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلاَتُ إنَّكَ مُرْجِلِي

١٤. تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعَاً ... عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرَأَ القَيْسِ فَانْزِلِ

١٥. فَقُلْتُ لَهَا سِيْرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ ... وَلاَ تُبْعِدِيْنِي مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ

١٦. فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ

١٧. إذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ ... بِشِقٍّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ

١٨. وَيَوْماً عَلَى ظَهْرِ الكَثِيْبِ تَعَذَّرَتْ ... عَلَيَّ وآلَتْ حَلْفَةً لَمْ تَحَلَّلِ

١٩. أفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وإنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

٢٠. أغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢١. وإنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيْقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ

٢٢. وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكِ فِي أعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

٢٣. وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا ... تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ

٢٤. تَجَاوَزْتُ أحْرَاسَاً إلَيْهَا وَمَعْشَراً ... عَلَيَّ حِرَاصَاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي

٢٥. إذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ ... تَعَرُّضَ أثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

٢٦. فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا ... لَدَى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ

٢٧. فَقَالَتْ: يَمِيْنَ اللهِ مَالَكَ حِيلَةٌ ... وَمَا إنْ أَرَى عَنْكَ الْغِوَايَةَ تَنْجَلِي

٢٨. فَقُمْتُ بِهَا أمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا ... عَلَى إثْرِنَا أذْيَالَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ

٢٩. فَلَمَّا أجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وانْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

٣٠. مَدَدْتُ بِغُصْنِي دَوْمَةٍ فَتَمَايَلَتْ ... عَلَيَّ هَضِيْمَ الْكَشْحِ رَيَّا الْمُخَلْخَلِ

٣١. مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ ... تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

٣٢. تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيْلٍ وَتَتَّقِي ... بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

٣٣. وَجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّيْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ ... إذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ

٣٤. وَفَرْعٍ يَزِيْنُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ ... أَثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثْكِلِ

٣٥. غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلَى الْعُلَى ... تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

٣٦. وَكَشْحٍ لَطِيْفٍ كَالجَدِيْلِ مُخَصَّرٍ ... وَسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُذَلَّلِ

٣٧. وَيُضْحِي فَتِيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ... نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

٣٨. وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ ... أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحِلِ

٣٩. تُضِيءُ الظَّلاَمَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا ... مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

٤٠. إلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الْحَلِيْمُ صَبَابَةً ... إذَا مَا اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلِ

٤١. كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضَ بِصُفْرَةٍ ... غَذَاهَا نَمِيْرُ الْمَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلِ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤٢. تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا ... وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلِي

٤٣. أَلَارُبَّ خَصْمٍ فِيْكِ أَلْوَى رَدَدْتُهُ ... نَصِيْحٍ عَلَى تَعْذَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلِي

٤٤. وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

٤٥. فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ... وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

٤٦. أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ أَلَا انْجَلِي ... بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيْكَ بِأَمْثَلِ

٤٧. فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ... بِكُلِّ مُغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

٤٨. كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا ... بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

٤٩. وَقِرْبَةِ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عِصَامَهَا ... عَلَى كَاهِلِي مِنِّي ذَلُولٍ مُرَحَّلِ

٥٠. وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ... بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيْعِ الْمُعَيَّلِ

٥١. فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا ... قَلِيْلُ الْغِنَى إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ

٥٢. كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ ... وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وَحَرْثَكَ يُهْزَلِ

٥٣. وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ

٥٤. مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَاً ... كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

٥٥. كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ ... كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ

٥٦. عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٌ كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ ... إِذَا جَاشَ فِيْهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ

٥٧. مِسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى ... أَثَرْنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيْدِ الْمُرَكَّلِ

٥٨. يَزِلُّ الْغُلَامُ الْخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ... وَيُلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيْفِ الْمُثَقَّلِ

٥٩. دَرِيْرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيْدِ أَمَرَّهُ ... تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

٦٠. لَهُ إِطِلَا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ

٦١. ضَلِيْعٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضَافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ

٦٢. كَأَنَّ سُرَاتَهُ لَدَى الْبَيْتِ قَائِماً ... مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلَايَةُ حَنْظَلِ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦٣. كَـأَنَّ دِمَـاءَ الْـهَادِيَاتِ بِنَحْـرِهِ ... عُصَـارَةُ حِنَّـاءٍ بِشَـيْبٍ مُرَجَّـلِ

٦٤. فَعَـنَّ لَنَـا سِـرْبٌ كَـأَنَّ نِعَاجَـهُ ... عَـذَارَى دَوَارٍ فِـي مُـلاَءٍ مُذَيَّـلِ

٦٥. فَـأَدْبَرْنَ كَـالْجَزْعِ الْمُفَصَّـلِ بَيْنَـهُ ... بِجِيْـدٍ مُعَـمٍّ فِـي الْعَشِـيْرَةِ مُخْـوَلِ

٦٦. فَأَلْحَقَـهُ بِالْـهَا دِيَـاتِ وَدُوْنَـهُ ... جَوَاحُرِهَـا فِـي صَـرَّةٍ لَـمْ تَزَيَّـلِ

٦٧. فَعَـادَى عِـدَاءً بَيْـنَ ثَـوْرٍ وَنَعْجَـةٍ ... دِرَاكَـاً وَلَـمْ يُنْضَـحْ بِمَـاءٍ فَيُغْسَـلِ

٦٨. فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ ... صَفِيْـفَ شِـوَاءٍ أَوْ قَدِيْـرٍ مُعَجَّـلِ

٦٩. وَرُحْنَـا يَكَـادُ الطَّـرْفُ يَقْصُـرُ دُوْنَـهُ ... مَتَـى مَـا تَـرَقَّ الْعَيْـنُ فِيْـهِ تَسَـهَّلِ

٧٠. فَبَـاتَ عَلَيْـهِ سَـرْجُهُ وَلِجَامُـهُ ... وَبَـاتَ بِعَيْنِـي قَائِمَـاً غَـيْرَ مُرْسَـلِ

٧١. أَصَاحِ تَـرَى بَرْقَـاً أُرِيْـكَ وَمِيْضَـهُ ... كَلَمْـعِ الْيَدَيْـنِ فِـي حُبِـيٍّ مُكَلَّـلِ

٧٢. يُضِـيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَـابِيْحُ رَاهِـبٍ ... أَمَـالَ السَّـلِيْطَ بِالذُّبَـالِ الْمُفَتَّـلِ

٧٣. قَعَـدْتُ لَـهُ وَصُحْبَتِـي بَيْـنَ ضَـارِجٍ ... وَبَيْـنَ الْعُذَيْـبِ بُعْـدَ مَـا مُتَـأَمَّلِ

٧٤. عَـلاَ قَطَنَـاً بِالشَّـيْمِ أَيْمَـنُ صَوْبِـهِ ... وَأَيْسَـرُهُ عَلَـى السِّـتَارِ فَيَذْبُـلِ

٧٥. فَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءُ حَـوْلَ كُتَيْفَـةٍ ... يَكُـبُّ عَلَـى الأَذْقَـانِ دَوْحَ الْكَنَـهْبَلِ

٧٦. وَمَـرَّ عَلَـى الْقَنَـانِ مِـنْ نَفَيَانِـهِ ... فَـأَنْزَلَ مِنْـهُ الْعُصْمَ مِـنْ كُـلِّ مَـنْزِلِ

٧٧. وَتَيْمَاءَ لَمْ يُتْرَكْ بِـهَا جِـذْعَ نَخْلَـةٍ ... وَلاَ أُجُمَـاً إِلاَّ مَشِـيْداً بِجَنْـدَلِ

٧٨. كَـأَنَّ تَبِـيْراً فِـي عَرَانِيْـنِ وَبْلِـهِ ... كَبِـيْرُ أُنَـاسٍ فِـي بِجَـادٍ مُزَمَّـلِ

٧٩. كَـأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْمُجَيْمِـرِ غُـدْوَةً ... مِـنَ السَّـيْلِ وَالْغُثَّـاءِ فُلْكَـةُ مِغْـزَلِ

٨٠. وَأَلْقَـى بِصَحْـرَاءِ الْغَبِيْـطِ بَعَاعَـهُ ... نُزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَـابِ الْمُحَمَّـلِ

٨١. كَـأَنَّ مَكَـاكِيَّ الْجِـوَاءِ غُدَيَّـةً ... صُبِحْـنَ سُـلاَفَاً مِـنْ رَحِيْـقٍ مُفَلْفَـلِ

٨٢. كَـأَنَّ السَّـبَاعَ فِيْـهِ غَرْقَـى عَشِـيَّةً ... بِأَرْجَائِـهِ الْقُصْـوَى أَنَـابِيْشُ عُنْصُـلِ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول: وحدة النصّ والبيت

يهدف هذا المبحث إلى إثبات حقيقة أن القصيدة العربية الجاهلية قائمة على مبدأ الوحدة النصيّة لا وحدة البيت؛ لأن التحليل اللغويّ النصي يثبت وحدة التصور عند الشاعر الجاهلي. وسيتم بحث هذه المسالة وعرض آراء الباحثين على النحو الآتي:

أ. وحدة البيت بين القبول والرفض

يرى الكثيرون أن القصيدة العربية القديمة تضم مجموعة من الموضوعات المبعثرة التي لا رابط بينها، أي أنها تقوم على وحدة البيت. يقول ابن رشيق القيرواني في باب النظم :" ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، إلاّ في مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها، فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هناك من جهة السرد...."[1].

ولربما أثر مذهب ابن رشيق في الباحثين الذين كانوا ينظرون إلى القصيدة على أنّها لا تشكل وحدة كلية من الذين أتوا بعده. فهو يفضل وحدة البيت في النظم إلاّ في الحكايات، وما شاكلها كتلك القصائد التي تتجسد فيها بعض ملامح القص. ومن الذين ذهبوا إلى وحدة البيت يوسف خليف قائلاً:" وقد دفعتهم حياتهم التي تقوم على الحركة الدائبة في أرجاء الصحراء، والتنقل المستمر خلف مواقع الغيث ومنابت الكلأ، إلى لون من الحركة الفنية ظهر في قصائدهم في صورة انتقال من موضوع إلى موضوع، دون وقوف عند موضوع واحد، وكأنّما انعكست حياتهم الاجتماعية على حياتهم الفنية؛ مما أفقد القصيدة الجاهلية الوحدة الموضوعية التي تترابط معها أجزاء القصيدة وتتماسك في وحدة محكمة. وهي ظاهرة جعلت بعض المستشرقين يرى في القصيدة كومة من الموضوعات والأفكار يتجمع بعضها إلى جانب بعضها الآخر في غير نظام أو ترابط"[2]. وقد لقي هذا رواجاً عند بعض الدارسين، وبخاصة الذين ينظرون إلى القصيدة من

---

(١) ابن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة ١/ ٢٦١-٢٦٢.

(٢) خليف، يوسف: الروائع من الأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣ ج١ ص ٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منظور جزئي شكلي، ويهملون دور المستقبل في عملية الترابط، يقول شوقي ضيف:" فالقصيدة متحف لموضوعات مختلفة لا تربط بينها أيّ رابطة قريبة ... وعلى هذا النحو تألفت القصيدة الجاهلية من أبيات متجاورة متناثرة كأبيات الحيّ وخيامهم، فكل بيت له حياته واستقلاله وكل بيت وحدة قائمة بنفسها، وقلما ظهرت صلة وثيقة بين بيت سابق ولاحق. وبذلك فقدت تلك القصيدة وحدتها لا من حيث الموضوعات المتباينة التي تنتظم فيها فحسب، بل أيضاً من حيث الأبيات في الموضوع الواحد فهي تتجاور مستقلاً بعضها عن بعض"(١).

فالقصيدة عند ضيف تضم موضوعات مختلفة لا تربطها رابطة، وأبياتها خاضعة لمبدأ التجاور حتى في الموضوع الواحد. وذهب محمد مندور إلى إنكار وجود وحدة كلية للقصيدة إلاّ في اتحاد الوزن والقافية(٢).

ولقد ظهر تيار يناقض هذا التيار، واتخذ مسميات مختلفة تحمل الدلالة نفسها مثل: الوحدة العضوية، والوحدة الموضوعية، والبنية الكلية. ويرى أصحاب هذا التيار أن القصيدة تشكل وحدة كلية متضامة، فهي على حدّ تعبير ابن طباطبا العلويّ كالكلمة الواحدة، يقول ابن طباطبا:" وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله مع آخره، على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا اتفقت تآليفها؛ فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمه. بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر عن كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً...." (٣).

---

(١) الأيوبي، سعيد: عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، الرباط، مكتبة وجدة للنشر والتوزيع، (د.ط)، ١٩٨٦م ص ١٦.

(٢) المرجع نفسه ص ٢٠ وص ٢٨.

(٣) العلوي، ابن طباطبا. عيار الشعر، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٢م ص ١٢٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولقد أخذ العقاد عن ابن طباطبا هذا التصور وغالى فيه؛ فقد عدّ القصيدة كالجسم في وحدة الأعضاء، وأي تقديم أو تأخير لبيت من أبياتها على الآخر يؤثر في المعنى ويخرجها من حيز الوحدة[1].

ولقد ذهب حسين عطوان إلى تفسير الوحدة في القصيدة الجاهلية من منظور نفسي جزئي، فقام بربطها بطبيعة الشاعر الواحدة. وهو بذلك يؤكد رفضه لأن "تكون القصائد كلها مبعثرة العواطف، منثورة المشاعر، لا صلة بين مقدماتها وموضوعاتها لسبب بسيط، وهو أن الشاعر عرف كيف يوفر الانسجام التام بين المقدمة والموضوع من حيث الجو النفسي في قصائده أو على اقل تقدير في بعض قصائده، فالقصيدة تعبير عن موقف واحد، وفيض عن طبيعة واحدة هي طبيعة الشاعر"[2].

إنّ ما يقدمه عطوان جدير بالقبول، إلاّ أنّه يهمل بعض الجوانب المتعلقة بلغة النص، كما أنه لم يركز على الدلالات الجزئية التي تحملها معاني الأبيات؛ لأن لغة النصّ وكذلك الدلالات التي تحملها اللغة عاملان أساسيان من عوامل تشكيل وحدة النصّ.

ب. وحدة القصيدة من منظور نحو النصّ

إن منظورات نحو النصّ تعطي تفسيراً دقيقاً للوحدة في القصيدة الجاهلية. ويمكن توضيح هذه المنظورات وإجمالها في النقاط التالية:

١. تشكل القصيدة بنية كبرى تضم عدداً من المشروعات القابعة في ذهن الشاعر. وهذا يعني أن القصيدة نابعة من وحدة التصور التي تقوم في ذهن الشاعر، أي أن القصيدة تتكون من مجموعة خطابات قائمة على وحدة التصور.

---

(١) انظر: الأيوبي، سعيد. عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي، ص ص ٢٥-٢٦.

(٢) عطوان، حسين. مقدمة القصيدة الجاهلية في العصر الجاهلي، بيروت، دار الجيل، ط٢، ١٩٨٧م ص ٢٣٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢. تترابط المشروعات فيما بينها وفقاً لنظرية الأطر المستقاة من السياق البراجماتي[١]. وتقتضي نظرية الأطر أن تكون لدى المستقبل قدرة ذهنية استدلالية تجسر بعض الفجوات في محاور النصّ – إن وجدت هذه الفجوات أصلاً – وذلك اعتماداً على المعرفة السابقة[٢]. ويكون الانسجام النصي ليس من صنع المبدع (المرسل) وحده، بل من صنع المستقبل أيضاً[٣].

٣. النظر في العلاقات الداخلية التي تحكم النص، أي: النظر في السياق اللغويّ نفسه؛ لأنّه هو الأساس فهو الذي يجعل المستقبل يقوم بالعمليات الاستدلالية المتعددة التي تجعل من النصّ وحدة كلية. وهذه العلاقات تم بحثها في الفصلين الأول والثاني من هذه الأطروحة. ولقد ركز عليها علماء لغة النصّ تركيزاً كبيراً؛ لأهميتها الكبيرة في انسجام النصّ وتماسكه.

يحاول بعض الباحثين نفي دور الروابط اللغويّة في صنع الوحدة النصية، فالوحدة لا تكمن في الترابط اللغويّ بن الأبيات ولا في تسلسل المعاني تسلسلاً منطقياً، وإنما في وحدة الجو النفسي[٤]. والذي يظهر للباحث أن الأمر على خلاف ذلك؛ إذ لا يمكن تصور الروابط اللغويّة معزولة عن الجو النفسي للمرسل هذا من جهة، ومن جهة أخرى لقد قام الباحث نفسه ببحث دور الروابط التركيبية في الوحدة النصيّة في الباب الأول من بحثه، يقول مثلاً في الواو:" والحقّ أن الربط هنا كان بتتابع المعاني ولكن الواو كانت أداة استطاعت أن تلحمها وتشدّها إلى بعضها"[٥].

٤. إنّ جميع محاور النصّ أو مشروعاته – وإن تعددت معانيها ودلالاتها الجزئية – تشترك جميعها في إثبات الدلالة الكلية التي يقصدها المرسل.

---

(١) انظر: Van Dijk, Teun. A. Text and Context, London Longman, 1977 PP. 110-112.

(٢) انظر: Van Dijk, Teun. A. & Kintsch , Walter Strategies of Discourse Comprehension. PP 303-304.

(٣) انظر: Brown, Gillian & Yule, George. Discourse Analysis PP. 23-25.

(٤) انظر: الأيوبي، سعيد. عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي ص ٣١.

(٥) الأيوبي، سعيد. عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي ص ٦٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إنّ هذه المنظورات السابقة الذكر تعني في المحصلة النهائية أن وحدة القصيدة الجاهلية تتدخل في صنعها مجموعة من العوامل اللغويّة وغير اللغوية، كما أن النظرة الأحادية لا تنهض لتفسير هذه الوحدة. والقول أن القصيدة كومة موضوعات لا رابط بينها مرفوض شكلاً ومضموناً؛ لأنّ القصيدة تضم موضوعات أو مشروعات مترابطة والتحليل يثبت ذلك . كما أن مسألة التجاور التي نادى بها ضيف؛ ليثبت من خلالها وحدة البيت، يمكن أن تتخذ حجة عليه؛ لأن التجاور يحفز القارئ والمحلل لاكتشاف عناصر الوصل الذهني فيما بين الأبيات.

وبتطبيق هذه المنظورات على معلقة امرئ القيس، يمكن للمرء أن يتبين بوضوح وحدة القصيدة الجاهلية. فالقصيدة تتكون من المشروعات التالية:

أ. خطاب الدّيار والنسوة (١-٤٣).

ب. خطاب الزمن الممثل بالليل (٤٤-٤٩).

ت. خطاب المكان (٥٠-٥٢).

ث. خطاب الحيوان الممثل بالفرس، ووصفه (٥٣-٧٠).

ج. عودة إلى خطاب الطبيعة ممثلة بالمكان والمطر (٧١-٨٢).

إنّ هذه المشروعات تمثل وحدة تصور الشاعر في قصيدته، وتترابط فيما بينها لما يلي:

١. الحركة من الدّيار والنسوة إلى الزمن والمكان والحيوان والعودة إلى خطاب الطبيعة هي حركة مألوفة. إنّ هذه العناصر المختلفة تمثل المكونات الحقيقية للسياق المعرفي. فنحن نعرف أن الطبيعة الجاهلية كانت طبيعة قاسية ومؤلمة، والهروب من الألم إلى الطبيعة فيه تعبير عن الإحساس بالوحدة والحزن.

٢. إن دلالات أبيات المحور الواحد جميعها واحدة، وهذا الأمر سنقف عنده عند تناولنا لظاهرة الترابط الإسنادي في محور وصف الدّيار والنسوة.

٣. تتداخل روابط نصية كثيرة في تحقيق وحدة القصيدة، ومن هذه الروابط: تقنية التجريد، فهو منذ البداية يلجأ إلى التجريد (قفا نبك من ذكرى حبيب ...). فهو يجرد أصحاب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ليحاورهم ولقد امتد حضورهم حتى بداية المحور الأخير الذي بدأه بقوله:(أصاح ترى برقاً ..الخ). ومن ذلك أيضاً شيوع أسلوب القص والحوارية في المعلقة وهذا يعطيها خاصيتي التسلسل والتدرج في عملية عرض الأفكار.

٤. تكرار تقنيات لغوية مثل التكرار، كتكراره للألفاظ المقترنة بواو رب في التراكيب: وبيضة خدر، وليل كموج البحر، ووادٍ كجوف العير. فهذه التقنية مقصودة، كما أنّها تسهم في عملية ربط المحاور؛ لأن هذه الصيغ المكررة تهدف إلى تصعيد التفاعل فيما بين الإنسان والطبيعة بكافة مكوناتها.

٥. الاعتماد على الروابط اللغويّة والدلالية: ويتجلى ذلك في توجيه الخطاب ليتحكم بمجموعة من الروابط النحوية الدلالية مثل الروابط الإسنادية والروابط الإحالية، وظاهرة الوصل. وهذه الروابط ستكون محور البحث والتحليل في المباحث التالية لهذا المبحث؛ لأنها تثبت فشل قيام القصيدة الجاهلية على وحدة البيت، وتؤكد الوحدة النصيّة لها. كما أنّها تثبت كيفية توجيه الخطاب لنحو النصّ، وكيفية تجسيد نحو النص للخطاب على هيئة ألفاظ وتراكيب وعلاقات فيما بينها.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المبحث الثاني: ظاهرة الوصل

يضمّ محور خطاب الدّيار والنسوة جميع مظاهر الوصل. ويظهر أنّ الخطاب -بوصفه القدرة التي مكنت الشاعر من توصيل مقاصده إلى الآخرين- قد عمل على توجيه جميع هذه المظاهر داخل المحور، وجعلها تتعالق مع بعضها البعض وتتفاعل فيما بينها معبرة بذلك عن وحدة التصور الذي رسمه الشاعر. وفيما يلي عرض وتحليل لمظاهر الوصل الواردة في المحور.

أ. الوصل الظاهر

استعمل الشاعر مجموعة من الروابط التركيبية الظاهرة، وتعكس هذه الروابط الملفوظة قدرة الشاعر على بناء نصه نحواً ودلالة في آن معاً. أمّا هذه الروابط فهي الوصل الإضافي، والوصل السببي الظاهر، والوصل التفصيلي، والوصل التكراري، والوصل التكميلي، والوصل الزمني.

١. الوصل الإضافي

يظهر هذا النوع في كل محور من محاور القصيدة كاملة. ولقد اتكأ عليه الشاعر في بناء أسلوب السرد القصصي التتابعي، إذ تتتابع التراكيب بدلالاتها المختلفة وفقاً لهذا النمط محدثة بذلك نصاً مترابطاً متماسكاً.

يقول الشاعر:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنزِلِ بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[1]

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ[2]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهو بعد عملية التجريد التي قام بها، عمل على عطف الأمكنة بعضها على بعض "بالفاء". ويكون بهذا الصنيع قد وصل البيت الأول بالثاني بوساطة حرف العطف الفاء. ولقد مهّد للوصل الإضافي بقوله:"فحومل"، فكان الوصل الإضافي تقنية استخدمها الشاعر بوعي.

٢. الوصل السببي الظاهر

إضافة إلى رابطة الوصل الإضافي تدخل رابطة أخرى لوصل التراكيب بعضها ببعض وكذلك الأبيات، إنها رابطة الوصل السببي الظاهر التي تظهر في قوله:

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ (١)

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيْمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا الْقَرَنْفُلِ (٢)

فَفَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي (٣)

إذ يرتبط التركيب (ففاضت دموع العين....) بالتراكيب في الأبيات السابقة له بفعل أداة العطف السببية الفاء، ودليل ذلك تصريحه بأن الدموع فاضت من فرط الوجد بأم الحويرث وأم الرباب. وهذا الوصل يؤكد مؤازرة الوصل الإضافي للوصل السببي في عملية ربط التراكيب المشكلة للبيت الواحد، وربط الأبيات بعضها ببعض. ومنه قوله:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الْوَيْلاَتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي (٤)

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعَاً عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرَأَ القَيْسِ فَانْزِلِ (٥)

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٣١.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٦.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالترابط الحاصل فيما بين التراكيب جميعها في هذين البيتين، يعود إلى علاقة الوصل السببي الظاهر الذي يظهر من اللفظ، والذي لا يحتاج لتأمل وتحليل عميق لها. إنّ القول كاملاً في البيت الأول سببه هو دخول الشاعر لخدر عنيزة، كما أن طلب النزول في البيت الثاني مسبب عن دخوله الخدر ومرافقته لعنيزة على ظهر هودجها. وهذا يثبت كيفية تولد الكلام بعضه من بعض، وأثره في بناء الوحدة النصيّة.

٣. الوصل التفصيلي

تعد علاقة الإجمال والتفصيل من أبرز العلاقات التي تحكم الترابط الحاصل فيما بين التراكيب والأبيات داخل هذا المحور، وكذلك غيره من المحاور داخل النصّ. ولهذه العلاقة جانبان الأول واضح مفهوم من اللفظ أو مجموعة الألفاظ المتتابعة. أمّا الثاني فهو مقدر يفهم من معادوة النظر في دلالات التراكيب والأبيات مرات ومرات.

يلحظ هذا النمط من الوصل حينما يقترب الشاعر من الوصف والتعداد، وذلك بحسب مقتضيات المقام. ففي بداية المحور عمل على تجريد صاحبين، ودعاهما للوقوف على الدّيار وبكاء الأحباب والدّيار. إنّ هذا العمل هو إجمال لما سيأتي فيما بعد هذا البيت من أبيات أخرى. إذ قام بعد ذلك بالتفصيل من حيث تحديد الأمكنة، ووصفها، والتعبير عن إحساسه تجاهها.

٤. الوصل التكراري

وظّف الشاعر الوصل التكراري في عملية ربط التراكيب بعضها ببعض وكذلك الأبيات. وفي هذا المحور يلحظ بوضوح أن الشاعر عمد -بحسب المقام- إلى تكرير لفظه يوم في الأبيات (١٠، ١١، ١٣، ١٨) بحسب ترقيمها في نصها المرفق. وهذا التكرار مقصود لوصل التراكيب والأبيات بعضها ببعض. ويظهر للباحث أن التكرار هنا يخضع لعلاقتي العموم والخصوص فقوله: (ألاربّ يوم لك منهن صالح ...) هو يوم عام يشير إلى ماهية زمنية عامة. وهو يمثل رد فعل الشاعر تجاه الحزن الذي أصابه والذي عبر عنه في البيت التاسع. ولكنه أبى امتداد هذه العمومية فقام بتخصيصها في الشطر الثاني من البيت فقال:(ولا سيما يوم بدارة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جلجل). فقد تمتع بأيام قلائل مع أم الحويرث وأم الرباب، ويوم دارة جلجل هو أحد هذه الأيـام. أمّا قوله: (ويوم عقرت للعذارى مطيتي) فهو تخصيص لليوم الأول، وكذلك قوله:(ويوم دخلـت الخدر خدر عنيزة). ويعود الشاعر بعد ذلك إلى العموم فيقول في البيت الثامن عشر:

وَيَوْمَـاً عَلَـى ظَـهْرِ الكَثِيْـبِ تَعَـذَّرتْ عَلَـيّ وآلَـتْ حَلْفَـةً لَـمْ تَحَلَّـلِ[1]

فاليوم هنا عام وليس بخاص محدد، ولا يظن أن الشاعر قد قام في ذهنه هنا يوم حقيقـي قد تذكرة ليكون محدداً. لقد جاء الشاعر بهذا البيت ليكون مسوغاً لعتابه لفاطمة أو وصلاً لخطابه فاطمة مع خطاب النسوة المتقدم.

٥. الوصل التكميلي

يضم المحور مجموعة من مظاهر الوصل التكميلي. إذ يذكر الشاعر في بعض الأحيـان تركيباً يحمل حدثاً لا تكتمل صورته إلاّ باتباعه بحدث آخر. وتقوم بهذه الوظيفة تقنية التفصيل – كما هو في الوصل التفصيلي – وتقنية التشبيه. وهنا يظهر أثر التشـبيه فـي وصـل اللاحـق بالسابق. ويظهر هذا على مستوى تراكيب البيت الواحد كقوله:

فَظَـلَّ العَـذَارَى يَرْتَمِيْـنَ بِلَحْمِـهَا وَشَـحْمٍ كَـهُدَّابِ الدِّمَقْـسِ المُفَتَّـلِ[2]

إذ يقوم التشبيه بربط التركيب الذي يتضمنه مع التركيب السابق، ويقوم بإكمال صـورة العذارى وهنّ يتعاورن لحم الناقة وشحمها بعد أن نحرها لهنّ.

وقد يظهر على مستوى ربط الأبيات بعضها ببعض كقوله:

وإنَّ شِـفَائِي عَـبْرَةٌ مُهْرَاقَـةٌ فَـهَلْ عِنْـدَ رَسْـمٍ دَارسٍ مِـنْ مُعَـوَّلِ[3]

كَدَأْبِـكَ مِـنْ أمِّ الْحُوَيْـرِثِ قَبْلَـهَا وجَارَتِـهَا أمِّ الرَّبَـابِ بِمَأْسَـلِ[4]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذَا قَامَتَـا تَضَـوَّعَ الِمسْـكُ مِنْـهُمَا نَسِـيْمَ الصَّبَـا جَـاءَتْ بِرَيَّـا الْقَرَنْفُـلِ[1]

فحزنه على الأطلال يشبه حزنه الناتج عن شدة ولهه بأم الحويرث وجارتها أم الربـاب، أي أن ما ناله من الوقوف على الديار يشبه ما ناله من هاتين المرأتين.

٦. الوصل الزمني

إنّ استعمال الشاعر للتراكيب المتتابعة والمتوافقة زمنياً يشكل ظاهرة لافتة للنظر، ليـس على مستوى هذا المحور فقط، وإنّما على مستوى القصيدة كاملة. وهذا الاستعمال له تأثير فـي بناء النصّ بعوالمه المختلفة، كما أنه ينبئ بوحدة التصور عند الشاعر. إنّ الشاعر يعتمد علـى اختيار التراكيب المتوافقة في الزمن؛ ليرسخ الحس القصصي، وبخاصة في المواقف التي يكـثر فيها أسلوب الحوار. فهو في حديثه وتصويره لمغامراته مع المرأة كأنه يقص قصة يظهر فيـها الانسجام الزمني ظهوراً واضحاً. ولقد أشار معظم الباحثين إلى أهمية الروابط الزمنية في تحقيق صورة النصّ المنسجم[2].

يقول الشاعر:

فَجِئْـتُ وَقَـدْ نَضَـتْ لِنَـومٍ ثِيَابَـهَا لَـدَى السِّـتْرِ إلاَّ لِبْسَـةَ الْمُتَفَضِّـلِ[3]

فَقَـالَتْ: يَمِيْـنَ اللهِ مَـالَكَ حِيْلَـةٌ وَمَـا إِنْ أَرَى عَنْـكَ الْغِوَايَـةَ تَنْجَلِـي[4]

فَقُمْـتُ يَـهَا أَمْشِـي تَجُـرُّ وَرَاءَنَـا عَلَـى إِثْرِنَـا أَذْيَـالَ مِـرْطٍ مُرَحَّـلِ[5]

فَلَمَّـا أَجَزْنَـا سَـاحَةَ الْحَـيِّ وانْتَحَـى بِنَـا بَطْـنُ خَبْـتٍ ذِي قِفَـافٍ عَقَنْقَـلِ[6]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٢٩.

(٢) انظر على سبيل المثال: Crowbie, Winifred. Process and Relation in Discourse and Language Learning.). 18.

ومفتاح، محمد. دينامية النصّ (تنظر وانجاز) ص ٦٧-٦٨.

(٣) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥١.

(٤) المصدر نفسه ص ٥٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٥٣.

(٦) المصدر نفسه ص ٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مَـدَدْتُ بُغِصْنَـــي دَوْمَـــةٍ فَتَمَـــايَلتْ عَلَـيّ هَضِيْـمَ الْكَشْـحِ رَيَّـا الْمُخَلْخَـلِ[1]

إنّ الوصل الزمني يسهم في ربط التراكيب والأبيات بعضها ببعض، ويمكن وصف بنية الوصل هنا بالتسلسل الزمني التقابلي. إذ تتسلسل الأفعال على تنوعها حاملة أحداثها، معبرة عن رغبة الشاعر في تقرير مبدأ التوازي فيما بين الفاعلية الفردية والفاعلية الجماعية وعدم تعطيل أحدهما على حساب الآخر.

ب. الوصل المقدّر (الذهني)

يقوم الوصل المقدّر بوصل التراكيب والأبيات بعضها ببعض، وهذا يرتد إلى التصور الذي رسمه الشاعر لقصيدته. ويمكن القول: إنّ هذا النمط من الوصل أشد فعالية من مظاهر الوصل اللفظي الظاهر؛ لأنّ منطلقه الأساس هو تفعيل التصورات الجزئية لبناء الأنماط الذهنية من حيث الطبيعة والمدى[2]؛ لأن هذا التفعيل هو الذي يمكن من معرفة كيفية ترابط الأطر والمشروعات[3].

ويظهر الوصل الذهني على مستوى ربط تراكيب البيت الواحد كما في قوله:

إذَا قَامَتَـا تَضَـوَّعَ الْمِسْـكُ مِنْـهُمَا نَسِـيْمَ الصَّبَـا جَـاءَتْ بِرَيَّـا الْقَرَنْفُـلِ[4]

أَفَـاطِمَ مَـهْلاً بَعْـضَ هَـذَا التَّدَلُّـلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي[5]

وإِنْ تَـكُ قَـدْ سَـاءَتْكِ مِنِّـي خَلِيْقَـةٌ فَسُـلِّي ثِيَـابِي مِـنْ ثِيَـابِكِ تَنْسُـلِ[6]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٥٦.

(٢) انظر: دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء ص ٣٦٢.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٦٨-٣٧٨.

(٤) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٩.

(٥) المصدر نفسه ص ٤٢.

(٦) المصدر نفسه ص ٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذ تتعالق التراكيب الشرطية فيما بينها وفقاً لتصور مسألة التعليق الشرطي. وهذه العلاقة هي علاقة التدرج المنطقي السببي وهي أقوى العلاقات الرابطة. فهي معبرة عما يجول في ذهن الشاعر بأقصر الطرق.

ويظهر الوصل الذهني ممثلاً بعلاقة التسلسل المنطقي فيما بين أبيات المحور الواحد. والتسلسل – كما تمت الإشارة سابقاً – غير التدرج؛ لأنّ التدرج انتقال منطقي من تركيب لأخر أو بيت لاخر، فتحقق مضمون التركيب الأول متوقف على اللاحق. أمّا التسلسل فهو انتقال طبيعي من فكرة لأخرى لوجود علاقة طبيعية يفرضهما السياق البراجماتي. ومنه قوله:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ ... تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ[1]

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيْلٍ وَتَتَّقِي ... بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ[2]

وَجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّيْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ ... إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ[3]

وَفَرْعٍ يَزِيْنُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ ... أَثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثْكِلِ[4]

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلَى ... تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ[5]

وَكَشْحٍ لَطِيْفٍ كَالْجَدِيْلِ مُخَصَّرٍ ... وَسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُذَلَّلِ[6]

وَيُضْحِي فَتِيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ... نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ[7]

إن الشاعر في هذه الأبيات وما يتبعها داخل القصيدة يؤسس تصوراً يقوم على طرح قضية وهي: وصف المرأة. وتتسلسل التراكيب والأبيات وفقاً لهذا التصور؛ لوجود علاقة الوصف، فهي أي المرأة المذكورة – تتمتع بالصفات التالية:

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٦١.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٦٣.

(٦) المصدر نفسه ص ٦٤.

(٧) المصدر نفسه ص ٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. دقة الخصر وضمور البطن وهي براقة الصدر.

٢. طول الخد ونعومته، وعيونها ذات نظرة عاطفية.

٣. جيدها الأبيض بجميع حركاته.

٤. شعرها الطويل شديد السواد.

٥. وذوائبها المرفوعة، وهي لشدة ارتفاعها تغيب الخصل فيها.

٦. وكشحها الضامر، وساقها الشديد الصفاء.

٧. إنّها مخدومة منعمة.

يلحظ من هذه الأوصاف التي تتضمنها الأبيات السابقة أن الشاعر يصف المرأة بدقـــة، وكأنّه لم يكتف برسم التصور، وإنما قام برسم التسلسل لتنتظم التراكيب من خلاله.

ويلحظ الباحث أن الوصل الذهني التسلسلي هنا يستوعب الوصل اللفظي المتمثل بظهور بعض حروف العطف، ويحاول تنظيمه وفقاً لقصدية الشاعر؛ لأنّ علاقة التسلسل الذهنية هـــي أوسع من علاقة عطف التراكيب والأبيات بعضها على بعض. ومن هذا المنطلق يمكن اعتبـــار الفصل بالمفهوم التقليدي وصلاً ذهنياً تابعاً لمقتضى المقام.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث: ظاهرة الترابط الإسنادي

يثبت التحليل اللغويّ لمعلقة امرئ القيس أن الإسناد كان البذرة الأولى التي انطلق منها الشاعر في عملية بناء النصّ. وظهر للباحث أن الذي يوجه العمليات الإسنادية بتراكيبها ودوائرها المختلفة هو القيد البراجماتي الدلالي.

تقتضي منهجية التحليل المختارة في هذا البحث تحديد أثر الإسناد في ترابط النصّ وتماسكه، من خلال توظيف التصورات التي تم عرضها وتحليلها في الفصل الثاني حول الإسناد، ومظاهره المتعددة.

أ. الإسناد التسلسلي

يظهر هذا النمط من الإسناد ظهوراً قوياً في النصّ. ووفقاً له تترابط التراكيب الإسنادية وكذلك الدوائر؛ لوجود علاقة التسلسل الطبيعية فيما بينها. إذ تشترك جميعها في قضية محددة هي وصف الدّيار والنسوة.

يبدأ المرسل نصه بتكوين دائرة إسنادية متكاملة، تحمل دلالات متعددة، تدعو المستقبل إلى تحريك حواسه بسرعة كبيرة جداً؛ وذلك رغبة منه في حث المستقبل على المتابعة، أي متابعة الدوائر الإسنادية التي تأتي بعد هذه الدائرة. ويظهر تسلسل الدوائر الإسنادية أن مسألة الوصف بجميع أبعادها تشكل جزءاً من التصور الذي رسمه الشاعر لقصيدته. يقول الشاعر:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومنزلِ ... بِسِقْطِ اللِّوى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[1]

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ[2]

تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا ... وقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ[3]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَـأنّي غَـدَاةَ الْبَيْـنِ يَـوْمَ تَحَمَّلُـوا ... لَـدَى سَـمُرَاتِ الْحَـيِّ نَـاقِفُ حَنْظَـلِ [1]

وُقُوفَـاً بِـهَا صَحْبِـي عَلَـيَّ مَطِيَّـهُمْ ... يَقُولُـونَ: لا تَـهْلِكْ أَسَـىً وَتَجَمَّـلِ [2]

إنَّ شِـفَائِي عَـبْرَةٌ مُهَرَاقَـةٌ ... فَـهَلْ عِنْـدَ رَسْـمٍ دَارسٍ مِـنْ مُعَـوَّلِ [3]

كَدَأْبِـكَ مِـنْ أُمِّ الْحُوَيْـرِثِ قَبْلَـهَا ... وجَارَتِـهَا أُمِّ الرَّبَـابِ بِمَأْسَـلِ [4]

بدأ الشاعر قصيدته بتجريد أصحاب له يحاورهم ويحاورونه. ويحمل الفعل "قفا" دلالات كثيرة جداً، وكذلك الفعل "تبك". فالدوائر الإسنادية كاملة في الأبيات (١-٧) تؤكد الدلالة الطلبية لهذين الفعلين. وفيما يلي توضيح لذلك:

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٧.

رقم البيت	المضمون الإسنادي والدلالات الجزئية	الدلالة المحورية	العلاقات التسلسلية العامة
١	تجريد أصحاب له يحاورهم ويطلب منهم مؤاساته بالبكاء؛ نظرا لما أصابه من ذكرى الحبيب والديار، ثم بدأ بذكر الأمكنة.	الحزن على الديار والحبيب	وصف إحساسه تجاه الديار والحبيب
٢	استمرار تحديد الأمكنة والتأكيد من خلال النفي على استمرارية مثول الديار أمامه	الحزن على الديار	وصف إحساسه تجاه الديار
٣	خلو الديار من أهلها جعلها مسرحاً للظباء	الحزن على الديار	وصف إحساسه تجاه الديار
٤	رحيل الأحبة عن الديار جعله حزيناً يبكي بكاءً شديداً كناقف الحنظل	المبالغة في الحزن على الديار والحبيب	وصف إحساسه تجاه الديار والحبيب
٥	المبالغة في الحزن جعلت الأصحاب الذين جردهم يدعونه إلى عدم البكاء والصبر	استمرار الحزن مع وجود الأصحاب	وصف إحساسه تجاه الديار والحبيب
٦	شفاؤه مما هو فيه هو البكاء مع أنه لا فائدة منه	استمرار الحزن مع علمه أنه لا فائدة منه	وصف إحساسه تجاه الديار والحبيب
٧	الحزن الذي أصابه من الديار يشبه الحزن الذي أصابه من المرأتين المذكورتين (عودة إلى التجريد)	استعظام الحزن لدرجة أنه عمد إلى أسلوب التقابل الذهني	وصف إحساسه تجاه الديار والنسوة معا

يتضح من الجدول السابق أن التراكيب الإسنادية يتوالد بعضها من بعض، وكذلك الدوائر مجتمعة؛ ويعود هذا إلى اشتراكها في قضية واحدة تثبت الوحدة النفسية للمحور نفسه. واشتراك التراكيب الإسنادية في المحور الدلالي هو أقوى درجات الربط[١]؛ لأنه يعمل على جعل التراكيب داخل البيت وكذلك الأبيات على مستوى المحور متسلسلة، ويعكس هذا التسلسل قدرة الشاعر على تنظيم عالم النص.

(١) انظر: Langacre, George. The Grammer of Discourse P. 82-83.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ب. الإسناد التدرجي

إذا كانت العلاقة فيما بين التراكيب داخل البيت الواحد والدوائر داخل المحور الواحد طبيعية وفقاً للإسناد التسلسلي، فإنّ العلاقة فيما بينها وفقاً للإسناد التدرجي هي علاقة منطقية تابعة لمقتضيات المنطق. يقول الشاعر:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَتْ لِنَومٍ ثِيَابَهَا ... لَدَى السِّتْرِ إلاَّ لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ[1]

فَقَالَتْ: يَمِيْنَ اللهِ مَالَكَ حِيلَةٌ ... وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغِوَايَةَ تَنْجَلِي[2]

إن العلاقة التي تربط بين هاتين الدائرتين الإسناديتين هي علاقة التدرج المنطقي السببي؛ لأنّ سبب قولها: يمين الله ... الخ هو إتيانه لها في حال خلعها ثيابها لأجل النوم. إن هذا الأمر هو الذي دفعها إلى إنشاء القسم.

وتظهر علاقة الإسناد التدرجي ظهوراً كبيراً حينما ترد إحالة كنائية تعود على شخصٍ ما في دائرة إسنادية سابقة كقوله:

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ[3]

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ ... بِشِقٍ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ[4]

إن المنطق يحتم معرفة صاحب ضمير الغيبة المذكر في قوله :(إذا ما بكى من خلفها انصرفت له)، فصاحبه هو ذو التمائم المحول في البيت السابق. وهذا الأمر يعزز الترابط فيما بين الإسناد والإحالة أيضاً.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥١.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩.

(٤) المصدر نفسه ص ٤١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ج. الإسناد التفصيلي

الإسناد التفصيلي تقنية استغلها الشاعر لغرضين أساسيين هما: الإيجاز وإحداث التتابع الوصفي التأثيري. إذ تتعدد المسندات عبر البنية النصيّة التي تعود إلى مسند إليه واحد. يقول الشاعر:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ[1]

فالمسند إليه محذوف دل عليه السياق ويمكن تقديره بـ "هي"؛ لأنّ الشاعر يتحدث عن المرأة المصون التي استطاع الوصول إليها رغم صعوبة ذلك. ولقد أسندت المسندات (مهفهفة وبيضاء غير مفاضة) إلى هذا الضمير؛ للغرضين المذكورين في البداية.

د. الإسناد المشروط

يثبت التحليل أن الإسناد المشروط يضاف إلى سلسلة التقنيات النصيّة التي استغلها الشاعر في بناء النصّ. وهو على قلته في النصّ يثبت ترابط القصيدة وتعلق أبياتها بعضها ببعض. إذ يأتي العنصر الإسنادي المتم للفائدة في البيت الذي يلي المسند إليه وذلك كقوله:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ[2]

مَدَدْتُ بُغِصْنَيْ دَوْمَةٍ فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الْكَشْحِ رَيَّا الْمُخَلْخَلِ[3]

إنّ جواب (لما) في البيت الثاني هو مددت بغصني دومة. وهذا يثبت أن الإسناد المشروط يمتد ليشمل أسلوب التعليق الشرطي أيضاً.

إن استعمال الشاعر للإسناد كان عن وعي مقصود؛ وسبب ذلك أنّه اتخذ عند الشاعر في بعض المواطن ظاهرة أسلوبية. ومثال ذلك هو شيوع أسلوب القولية الحوارية في النصّ، وكأن

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٦.

(٣) المصدر نفسه ص ٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشاعر يقص قصة، كما أن التتابع الإسنادي لصيغ إسنادية متشابهة يعزز هذا المذهب، وذلك كقوله:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الغَبِيْطُ بِنَا مَعَاً عَقَرْتَ بَعِيْرِي يَا امْرَأَ القَيْسِ فَانْزِلِ[1]

فَقُلْتُ لَهَا سِيْرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ وَلاَ تُبْعِدِيْنِي مِنْ جَنَاكِ المُعَلَّلِ[2]

ويؤكد هذا المنحى أن العملية الإسنادية هي أكبر مما يتصور المرء، فجميع أنواع الإسناد توفر الانسجام للنصّ بعكس ما توهم به بعض الباحثين من أن النصّ الشعري لا يقوم على الانسجام؛ لأنّه يفتقر إلى العنوان الذي يكون مسنداً إليه والنص كلّه مسندات إجرائية[3]. إن التحليل السابق يثبت أن الإسناد يوفر للنصّ الشعري الانسجام، لأنّ انتقال الشاعر من محور لآخر يخضع لوحدة التصور عند الشاعر. وكأن الشاعر في النصّ الشعري يريد القول: عندي إخبار اقتضى هذا الإخبار أن أقول هذا النصّ. فهذا يثبت أن القضية الإسنادية لا يمثلها العنوان وحدة، فهي أكبر من العنوان.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨.

(٣) انظر: حمداوي، جميل. السيميو طيقا والعنونة. عالم الفكر، ع ٣، ١٩٩٧م ص ٩٨.

المبحث الرابع: ظاهرة الترابط الإحالي

تسهم ظاهرة الترابط الإحالي في عملية ربط التراكيب والأجزاء المتباعدة في جسم النصّ ربطاً محكماً؛ مما يضمن تحقيق مبدأ التماسك النصي الذي هو عماد الوحدة النصيّة. ويعد مبدأ النظام الإحالي في النصوص مبدأ تعويضياً شديد الارتباط بذهن مستعمل اللغة[1]، وتوجهه ظروف براجماتية مختلفة؛ لذا فهو موجه بفعل الخطاب وتوجهاته المختلفة.

يضم محور وصف الدّيار والنسوة مجموعة من الروابط الإحالية التي تربط التراكيب بعضها ببعض داخل البيت الشعري الواحد. وتربط الأبيات بعضها ببعض داخل المحور. ويظهر من خلال التحليل أن أثر العناصر الإحالية يظهر من خلال النصّ الشعري أكثر من النصّ النثري؛ ويعود هذا إلى أن النصّ الشعري يتمتع بخاصية التكثيف، وطبيعة العمل الإحالي أساساً قائمة على مبدأ تحقيق الاقتصاد اللغويّ "إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها"[2].

تقتضي منهجية التحليل المتبعة في هذا البحث تحليل أثر الأداء الإحالي في عملية الربط من وجهة نظر متكاملة، تأخذ بعين الاعتبار العنصر الإحالي المُحِيل – بقطع النظر عن نوعه أو جنسه – والمُحَال إليه؛ لأن أثر العنصر المحال إليه في عملية الربط لا يقل أهمية عن أثر العنصر المُحِيل في عملية بناء النصّ؛ لذا فإنّ التصنيف الذي تقدم في الفصل الثاني لأنواع الإحالة سيكون هو الأساس في عملية تحليل فعالية الإحالة في عملية تماسك النصّ وانسجامه. ويضاف إلى ذلك بحث قضيتين مهمتين هما: وحدة العناصر المحيلة في البنية العميقة لها، والمدى الإحالي؛ لأن هاتين القضيتين تثبتان أثر الإحالة الكبير في عملية ترابط النصّ وانسجامه.

---

(١) انظر الزناد، الأزهر. نسيج النصّ ص ١٢١.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١. مظاهر الإحالة في النصّ

يثبت التحليل أن جميع أنواع الإحالة التي تم بحثها فيما مضى تقوم بربط التراكيب النصيّة بعضها ببعض وكذلك الأبيات. وفيما يلي توضيح لهذا الأمر.

أ. الإحالات السببيّة

إن أهم ميزة في فعالية الأداء الإحالي في عملية الربط في محور الأطلال ووصف النسوة أن المرسل (الشاعر) يعمد إلى اختيار نمطٍ إحالي يخدم البنية والدلالة معاً. وهذا النمط هو الإحالة السببيّة. فهي تقوم بربط السابق باللاحق وفقاً لمقتضيات المنطق، فتكون العلاقة بين العنصر المُحِيل والمُحَال إليه سببية تلازمية من جهة، ويكون المُحَال إليه ذا فعالية كبيرة في صنع الأحداث عبر البنية النصيّة. ويظهر هذا النمط من الإحالات عبر النصّ بقوالب إحالية مختلفة على النحو التالي:

١. القالب الضميري: إذ يحيل الضمير إلى عنصر ما يكون سبباً في دفع عنصر آخر للقيام بفعل أو حدث محدد ذي فعالية كبيرة في الدلالة النصيّة. ويظهر هذا في قوله:

وَيَـوْمَ دَخَلْـتُ الْخِـدْرَ خِـدْرَ عُنَـيْزَةٍ فَقَـالَتْ لَـكَ الْوَيْـلاَتُ إِنَّـكَ مُرْجِلِـي[١]

إن الضمير في الفعل (فقالت) يعود إلى عنيزة. وكما يبدو فإنّ عنيزة هي سبب جوهري لدخول الشاعر إلى الخدر، ولولاها لما دخل الخدر أصلاً. وكما هو معلوم، فإنّ التراكيب النصيّة جميعها – في الأبيات التي تتحدث عن عنيزة – تنقل حركة عنيزة بنوعيها النفسية والجسدية.

٢. القالب المعجمي: فاللفظة المعجمية تحيل إلى ماهية أو عنصر محدد يكون سبباً قد دفع عنصراً آخر للقيام بفعل أو حدث له تأثير في الدلالة النصيّة للتراكيب المجاورة له، ومنه قوله:

تَقُـولُ وَقَـدْ مَـالَ الْغَبِيْـطُ بِنَـا مَعَـاً عَقَـرْتَ بَعِـيْرِي يَـا امْـرَأَ الْقَيْـسِ فَـانْزِلِ[٢]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن لفظ (امرأ القيس) يمثل إحالة إلى ذات الشاعر نفسه، وهذه الإحالة هي سبب لجعل عنيزة تقول: عقرت بعيري فانزل. وهذا التحليل للأداء الإحالي يجعل الإحالة تقترب من حيز الذهنية المؤثرة في تماسك النصّ. وهو أمر لا ضير فيه وإن خفي؛ لأن التماسك في الأساس يمكن أن يوصف بأنه الطاقات النصيّة المنتجة أثناء الكلام أو الكتابة والتي تجعل من النصّ كينونة ذهنية عقلية[1]. ويظهر للباحث من خلال التحليل أن ربط الإحالة بالعمليات الذهنية التجريدية أمر مقصود من قبل امرئ القيس؛ ويعود هذا إلى أنه لجأ إلى الإحالات التجريدية؛ لتكون مرتكزاً للبنية الحوارية التفصيلية التي تخدم تماسك النصّ.

ب. الإحالات التجريدية

يظهر التحليل أن المرسل قد لجأ في عملية بناء النصّ نحواً ودلالة إلى تقنية التجريد؛ لما لهذه التقنية من أهمية كبيرة في ربط التراكيب والمحاور النصيّة بعضها ببعض. إذ يستحضر تركيباً يشتمل على عنصر إحالي يحيل إلى عناصر وماهيات تجريدية متعددة تخدم لغة القصيدة وفكرها، وهي بذلك تعمل على بناء نحوية مناسبة للنصّ. ومن ذلك قوله:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومنزلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[2]

فَتُوضِحَ فَالْمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ... لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ[3]

تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا ... وقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ[4]

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا ... لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ[5]

---

(١) انظر: Ann Gerns Bacher, Morton & Givon T. Coherence in Spontaneous Text. The Preface P. 1

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٠.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وُقُوفَـاً بِـهَا صَحْبِـي عَلَـيَّ مَطِيَّـهُمْ يَقُولُـونَ: لا تَـهْلِكْ أَسَـىً وَتَجَمَّـلِ [1]

وإنَّ شِـفَائِي عَـبْرَةٌ مُهَرَاقَـةٌ فَـهَلْ عِنْـدَ رَسْـمٍ دَارسٍ مِـنْ مُعَـوَّلِ [2]

إن الفعل "قفا" يحيل إلى أصحاب قام الشاعر بتجريدهم، ولا يهمنا عددهم بقدر ما تـهمنا فعاليتهم في بناء النصّ. فما هي فعاليتهم إذن؟

يثبت التحليل أن المحال إليه هنا – وهم الأصحاب – له أثر ممتد. ويظهر هذا الامتـداد عبر مسافات واسعة في النصّ. فهو في البداية قال:" قفا"، ثم قام بالتفصيل الشعري المعبر عـن إحساسه ووجدانه تجاه الدّيار وما حل بها. ثم قال:"وقوفاً بها صحبي". وكأنّه اسـتحضر الفعـل "قفا"؛ ليكون مرتكزاً في عملية التتابع الشعري المنظم. ويمكن اختزال الأبيات (١–٥) في معادلة دالة على النحو التالي:

قفا ..... وقوفاً

كما أن الامتداد الإحالي للإحالة التجريدية كان بمثابة إرهاصة تمهد للدخول في الحديـث عن النسوة ووصفهن ابتداءً من البيت السابع والذي يقول فيه:

كَدَأْبِـكَ مِـنْ أُمِّ الْحُوَيْـرِثِ قَبْلَـهَا وَجَارَتِـهَا أُمِّ الرَّبَـابِ بِمَأْسَـلِ [3]

فهو هنا يقوم أيضاً بتجريد امرأتين من نسج خياله الواقعي؛ وكأنه بعملية التجريد هـذه يستذكر رحلاته ومغامراته ويفرغ ما بداخله من حزن وألم؛ لأن ما أصابه من الدّيار سـيصيبه مثله تماماً من تعلقه بهاتين المرأتين المذكورتين. فالتجريد له أثر كبير في إحداث التقابل، فـهو يقابل بين حالتين، ويكون التجريد قد وصل بتجريد آخر وهكذا. ويمكن تمثيل هذه المسألة بالشكل التالي:

---

(١) الانباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٧.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

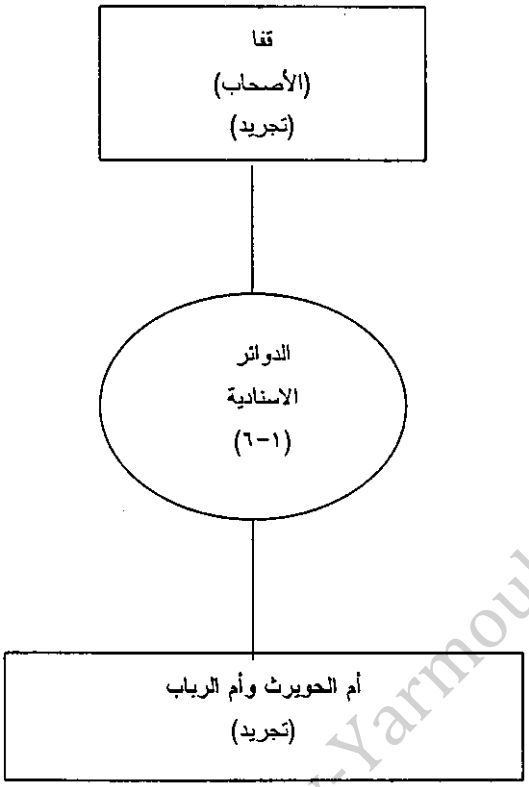

وبناءً على ما سبق تحليله، تكون الاحالة التجريدية تقنية نحوية لها دورها الفاعل في بناء نحوية النص؛ لأن جميع التراكيب النصيّة تنحصر في المدى الإحالي الذي ترسمه وتحدده. ويمكن للباحث أن يقرر أيضاً: أن هذا الاستعمال للإحالة داخل النصّ ليس استعمالاً نحوياً فحسب، إنّه أسلوبي أيضاً، نعم، إن الإحالة التجريدية عند امرئ القيس في نصه هذا تأخذ منحىً أسلوبياً، وهذا الأمر مرتبط بقدرة الشاعر على البناء، ومقصدية الاختيار.

٣. الإحالات الإسنادية

يظهر من خلال التحليل أن الاحالة الاسنادية هي أكثر أنواع الاحالات استعمالاً في النصّ. إذ يقوم العنصر الاحالي المحيل بوظيفتين: الأولى إحالية، والثانية إسنادية. وبهاتين الوظيفيتين تتحقق أقصى غايات الربط. ومن ذلك قوله:

تَـرَى بَعَـرَ الأَرْآمِ فِـي عَرَصاتِـهَا وَقِيْعَانِـهَا كَأَنَّـهُ حَـبُّ فُلْفُـلِ[1]

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إن المسند إليه – وهو الضمير في كأنه– يقوم بمهمتين، فهو في الوقت نفسه مسند إليه، وعنصر محيل، إذ يحيل إلى بعر الأرآم، فتكون العلاقة الرابطة بين التركيبين: (ترى بعر الأرآم في عرصاتها وقيعانها) و (كأنه حب فلفل) هي علاقتا الإسناد والإحالة اللتان أسسهما الشاعر؛ رغبة منه في التشبيه؛ لغرض التوضيح. ومنه قوله أيضاً:

فَقُمْتُ بِهَا أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ[1]

ويمكن تحليل الإحالات الإسنادية في هذا البيت كما يلي:

التركيب	التحليل
فقمت	"التاء" مسند إليه ← إحالة إلى الأنا
أمشي	"الياء" دال على المسند إليه المستتر (أنا) ← إحالة إلى الأنا
تجر	دال على المسند إليه المستتر (هي) ← إحالة إلى الهي

يظهر أن التتابع الإحالي الإسنادي يقنن حركية الأحداث داخل النصّ ويضبطها، وفيه دلالة واضحة على دقة سير الأحداث، إذ أسند المرسل القيام له وكذلك المشي، وهذا يدل على الفاعلية الفردية في صنع الحدث. ثم قام بعد ذلك بإسناد الجر – وهو من خصوصيات المرأة وما يناسبها – إلى المرأة المكنونة (بيضة خدر) وهذا أيضاً يدل على الفاعلية الفردية في صنع الحدث، رغم تحولات الضمير من أل (أنا) إلى أل (هي). فكلاهما الشاعر والمرأة في حركة مستمرة؛ وهذا يعود إلى السياق النفسي والاجتماعي، فهو هنا يصف الحركة المشوبة بالخوف.

٤. إحالات الحذف

وهذا النوع من الإحالات هو أقلها استعمالاً في النص، كما أنّه أصعبها اكتشافاً. فهناك بعض العناصر المحذوفة – والتي تقدر في البنية العميقة – يمكن أن نعدها إحالات رابطة، تربط التراكيب بعضها ببعض. ومن ذلك قوله:

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مُهَفْهَفَـــةٌ بَيْضَـــاءُ غَـــيْرُ مُفَاضَـــةٍ تَرَائِبُـــهَا مَصْقُولَـــةٌ كَالسَّـــجَنْجَلِ[1]

إن الإحالة المحذوفة يمكن تقديرها بـــ "هي" وهي تعود على المرأة المكنونة (وبيضـــة خدر). وحذفها يخدم البنية النصيّة من حيث الانسجام؛ لعدة أسباب هي:

- الارتقاء بالتراكيب إلى أعلى درجات الإبلاغية والتأثير.
- التنبيه.
- تخفيف حدة التواتر الإحالي.
- الحفاظ على التتابع الإيقاعي.
- الارتقاء بالتراكيب إلى حيز الذهنية.

٥. الإحالات الارتكازية

تتوفر في النصّ مجموعة من الإحالات الارتكازية الرابطة. إذ يتم ذكر العنصر المُحيـل في نقطة ما داخل النص؛ ليحيل إلى المُحَال إليه الذي يكون بعد مجموعة من التراكيب والأبيات. وهذا يعني أن المدى الإحالي للإحالة الارتكازية يكون طويلاً نسبياً بحيث يغطي بالربط مساحات نصية واسعة. ومن ذلك قوله:

أَلَارُبَّ خَصْـمٍ فِيْـكِ أَلْـوَى رَدَدْتُـــهُ وَلاَ سِـــيَّمَا يَـــوْمٌ بِـــدَارَةِ جُلْجُـــلِ[2]

وَيَـــومَ عَقَـــرْتُ لِلْعَـــذَارَى مَطِيَّتِـــي فَيَـــا عَجَبَـــاً لِرَحْلِـــهَا أَلْمُتَحَمَّـــلِ[3]

فَظَـــلَّ العَـــذَارَى يَرْتَمِيْـــنَ بِلَحْمِـــهَا وَشَـــحْمٍ كَـــهُدَّابِ الدِّمَقْـــسِ المُفَتَّـــلِ[4]

وَيَـــوْمَ دَخَلْـــتُ الخِـــدْرِ خِـــدْرَ عُنَـــيْزَةٍ فَقَـــالَتْ لَـــكَ الْوَيْـــلاَتُ إِنَّـــكَ مُرْجِلِـــي[5]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٨.
(٢) المصدر نفسه ص ٣٢.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٣.
(٤) المصدر نفسه ص ٣٥.
(٥) المصدر نفسه ص ٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَقُـولُ وَقَـدْ مَـالَ الغَبِيْـطُ بِنَـا مَعَـاً عَقَـرْتَ بَعِـيْرِي يَـا امْـرَأَ القَيْـسِ فَـانْزِلِ[1]

فَقُلْـتُ لَـهَا سِـيْرِي وأَرْخِـي زِمَامَـهُ وَلاَ تُبْعِدِيْنِـي مِـنْ جَنَـاكِ المُعَلَّـلِ[2]

فَمِثْلِـكِ حُبْلَـى قَـدْ طَرَقْـتُ ومُرْضِـعٍ فَأَلْهَيْتُـهَا عَـنْ ذِي تَمَـائِمَ مُحْـوِلِ[3]

إِذَا مَـا بَكَـى مِـنْ خَلْفِـهَا انْصَرَفَـتْ لَـهُ بِشِـقٍّ وَتَحْتِـي شِـقُّهَا لَـمْ يُحَـوَّلِ[4]

وَيَوْمَـاً عَلَـى ظَـهْرِ الكَثِيْـبِ تَعَـذَّرَتْ عَلَـيَّ وآلَـتْ حَلْفَـةً لَـمْ تَحَلَّـلِ[5]

إن ضمير النسوة في قوله: (منهن) هو إحالة إلى النسوة في الأبيات التالية للبيت الـذي يشتمل على الضمير. ويكون الامتداد الإحالي له قد غطى تسعة أبيات كاملة بتراكيبها المختلفة. فهو يحيل إلى العذارى وعنيزة والحبلى والمرضع. ويلحظ الباحث أن الإحالة الارتكازية تحيل إلى المحال إليه والمحال إليه بحدّ ذاته هو إحالة أيضاً. فالضمير (هنّ) يحيل إلى الأسماء المذكورة وهذه الأسماء هي في الوقت نفسه إحالات تحيل إلىَ قصص وأحداث كثيرة. وهذا يعني أن الفعل الإحالي هنا هو فعل تشبيكي، فالإحالة داخل هذه الأبيات تشكل شبكة توجه الأحداث ودلالاتها نصياً. ولا يخفى الأثر الذي تتركه هذه الإحالات في نفس الإنسان، فهي تجعله يتابع التراكيب والأبيات بألق وشوق كبيرين، يضاف إلى ذلك أنّها تحدث ربطاً على المستويين اللغويّ والدلالي للنص، ودليل ذلك أيضاً أن حذف الإحالة الارتكازية يترتب عليه وجود تراكيب وأبيات لا رابط بينها.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩.

(٤) المصدر نفسه ص ٤١.

(٥) المصدر نفسه ص ٤٢.

٦. الإحالات التماثلية

لا تقل الاحالات التماثلية عن غيرها أهمية في عملية الربط، إذ تتم تغذية المحال إليه بمجموعة من العناصر الاحالية المحيلة المتماثلة، ويكون التماثل أو التشابه في البنيتين: الظاهرة والعميقة.

ومن الإحالات التماثلية الظاهرة قوله:

أَفَاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي (١)

أغَرَّكِ مِنِّي أنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ (٢)

وإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيْقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ (٣)

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ (٤)

فضمير المخاطبة "الكاف" يشكل إحالة تماثلية ظاهرة تغطي التراكيب وتربطها بعض ببعض. ويمكن ترتيب الملفوظات الواردة فيها على النحو التالي:

- وإن كنت.
- قد أزمعت.
- قد ساءتك.
- من ثيابك.
- عيناك.

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٥.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٧.
(٤) المصدر نفسه ص ٤٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن الإحالات المتشابهة في البنية العميقة والمختلفة في البنية السطحية والمؤدية إلـــى ذات واحدة قوله:

مَـــــدَدْتُ بِغُضْنَـــــي دَوْمَـــــةٍ فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيْمَ الْكَشْحِ رَيَّا الْمُخَلْخَلِ[1]

فالتاء ضمير يحيل إلى ذات المتلكم – أي ذات الشاعر – وكذلك الياء. وهذان العنصران الإحاليان يحيلان إلى ضمير واحد هو ضمير الأنا، ويمكن تمثيل ذلك فيما يلي:

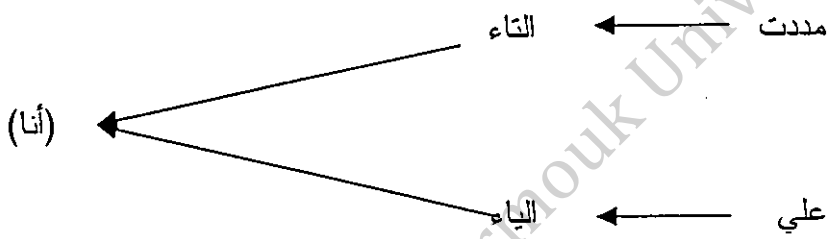

وهذا يثبت مبدأ الوحدة الإحالية، وأثره في تماسك النصّ وانسجامه.

٧. الإحالات التخالفية

إنّ مبدأ عمل الإحالة التخالفية يقوم على تكرار لفظ بعينه في جمل النـــص؛ لأغـــراض نصية يحددها السياقان اللغويّ وغير اللغوي. ويكون كل لفظ من هذه الألفاظ المكـــررة إحالـــة تختلف عن الأخرى رغم التشابه في اللفظ، ومن ذلك لفظة يوم فـــي الأبيـــات (١٠، ١١، ١٣، ١٨)، إنها تحيل إلى أحداث مختلفة على النحو التالي:

- اليوم الأول هو يوم عام (حدث عام).
- اليوم الثاني هو يوم خاص محدد هو يوم دارة جلجل (حدث خاص). فهو مـــن خلاله يخصص اليوم الأول.
- اليوم الثالث يحيل إلى يوم خاص ذي حدث خاص (يوم دخل خدر عنيزة).

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- اليوم الرابع هو يوم عام.

يلحظ أن حركة الإحالة هنا بدأت من العام إلى الخاص وانتهت بالعام، وهذا كله تابع للمقتضيات السياقية التي تتحكم أيضا في صنع البنية الحوارية التي تحتضن الأحداث وتنميها.

ويلحظ أيضا أن الإحالة التخالفية في هذا النص تحمل طابعا دلاليا لا لفظيا، ولو كان لفظيا فقط لكانت لفظة "العذارى" من قبيل الإحالة التخالفية، ولكن هذا الأمر لم يكن؛ لأن لفظة العذارى هنا تحيل إلى ماهيات متشابهة.

بعد أن تم تحليل مظاهر الاحالة في محور وصف الديار والنسوة، يلحظ الباحث أن جميع مظاهر الاحالة تشترك في عملية ربط التراكيب والأبيات بعضها ببعض، أي أن عملها ذو طبيعة تكاملية، وهذا الفصل كان مؤقتا؛ لأغراض التحليل والدراسة. كما أن هذا التحليل لمظاهرها يقود الباحث إلى تناول الاحالة في هذا النص من منظورات إحالية أشمل مما هي عليه الآن، مثل الوحدة الإحالية للعناصر الإحالية، والمدى الاحالي. وفيما يلي تحليل لذلك.

٢. وحدة العناصر المحيلة في بنيتها العميقة

يثبت التحليل أن العناصر المحيلة – وإن اختلفت ألفاظها في البنية السطحية – متفقة في بنيتها العميقة. وهذا الاتفاق يثبت وحدة العناصر المحيلة في الدلالة على شيء واحد، وحينما تتحقق هذه الوحدة، فإن هذا يعني أن النص منسجم ومتماسك. ولو افترضنا أن (أ) هو المحال إليه و (ب) و (ج) و (د) و (هـ) و (و) ..... هي عناصر محيلة – أي إحالات – فإن العلاقة بين هذه العناصر مجتمعة بالمحال إليه يمكن وصفها بالمعادلة التالية:

(أ=ب+ج+د+هـ+و.....) ولقد أشار كثير من الباحثين إلى أهمية وحدة العناصر الإحالية في عملية ترابط النص وتماسكه[1].

---

(١) انظر: دي بوجراند، روبرت. النص والخطاب والإجراء ص ٣٢١. وانظر كذلك: بحيري، حسن. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ص ١٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول امرؤ القيس:

تَصُـدُّ وَتُبْـدِي عَـنْ أَسِـيْلٍ وَتَتَّقِـي ... بِنَـاظِرةٍ مِـنْ وَحْـشِ وَجْـرَةَ مُطْفِـلِ [1]

وَجِيْـدٍ كَجِيْـدِ الرِّيْـمِ لَيْـسَ بِفَـاحِشٍ ... إِذَا هِـــي نَصَّتْـــهُ وَلاَ بِمُعَطَّـــلِ [2]

وَفَـرْعٍ يَزِيْـنُ الْمَتْـنَ أَسْـوَدَ فَـاحِمٍ ... أَثِيْـثٍ كَقِنْـوِ النَّخْلَـةِ المُتَعَثْكِـلِ [3]

غَدَائِـرُهُ مُسْتَشْـزِرَاتٌ إِلَـى الْعُلَـى ... تَضِـلُّ الْعِقَـاصُ فِـي مُثَنًّـى وَمُرْسَـلِ [4]

وَكَشْـحٍ لَطِيْـفٍ كَـالجَدِيْلِ مُخَصَّـرٍ ... وَسَـاقٍ كَـأُنْبُوبِ السَّـقِيِّ الْمُذَلَّـلِ [5]

وَيُضْحِي فَتِيْـتُ الْمِسْـكِ فَـوْقَ فِرَاشِهَا ... نَـؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِـقْ عَـنْ تَفَضُّـلِ [6]

وَتَعْطُـو بِرَخْـصٍ غَـيْرِ شَـثْنٍ كَأَنَّـه ... أَسَـارِيْعُ طَبْـيٍ أَوْ مَسَـاوِيْكُ إِسْـحِلِ [7]

تُضِـيءُ الظَّـلاَمَ بِالْعِشَـاءِ كَأَنَّـهَا ... مَنَـارَةُ مُمْسَـى رَاهِـبٍ مُتَبَتِّـلِ [8]

إِلَـى مِثْلِـهَا يَرْنُـو الْحَلِيْـمُ صَبَابَـةً ... إِذَا مَـا اسْـبَكَرَّتْ بَيْـنَ دِرْعٍ وَمِجْـوَلِ [9]

كَبِكْـرِ الْمُقَانَـاةِ الْبَيَـاضَ بِصُفْـرَةٍ ... غَذَاهَـا نَمِـيْرُ الْمَـاءِ غَـيْرَ مُحَلَّـلِ [10]

تَسَلَّتْ عَمَايَـاتُ الرِّجَـالِ عَـنِ الصِّبَـا ... وَلَيْـسَ فُـؤَادِي عَـنْ هَـوَاكِ بِمُنْسَـلِي [11]

أَلارُبَّ خَصْـمٍ فِيْـكِ أَلْـوَى رَدَدْتُـهُ ... نَصِيْـحٍ عَلَـى تَعْذَالِـهِ غَـيْرِ مُؤْتَلِـي [12]

---

(١) الأنباري، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٩.

(٢) المصدر نفسه ص ٦١.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٦٣.

(٥) المصدر نفسه ص ٦٤.

(٦) المصدر نفسه ص ٦٥.

(٧) المصدر نفسه ص ٦٦.

(٨) المصدر نفسه ص ٦٧.

(٩) المصدر نفسه ص ٦٨.

(١٠) المصدر نفسه ص ٧٠.

(١١) المصدر نفسه ص ٧٣.

(١٢) المصدر نفسه ص ٧٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويمكن إدراك وحدة العناصر الإحالية، وإن اختلفت في ألفاظها من خلال التحليل التالي:

التركيب الإحالي	طبيعة الإحالة	الإحالة	المحال إليه
تصد	مقدرة (هي)	هي	المرأة المكنونة
تبدي	مقدرة (هي)	هي	المرأة المكنونة
تتقي	مقدرة (هي)	هي	المرأة المكنونة
إذا هي نصته	ظاهرة (هي) (التاء)	هي	المرأة المكنونة
فوق فراشها	ظاهرة (هي)	هي	المرأة المكنونة
نؤوم الضحى	مقدرة (هي)	هي	المرأة المكنونة
لم تنتطق	مقدرة (هي)	هي	المرأة المكنونة
تعطو	مقدرة (هي)	هي	المرأة المكنونة
تضيء	مقدرة (هي)	هي	المرأة المكنونة
كأنها منارة	ظاهرة (الهاء)	هي	المرأة المكنونة
إلى مثلها يرنوا	ظاهرة (الهاء)	هي	المرأة المكنونة
اسبكرت	ظاهرة (التاء)	هي	المرأة المكنونة
هواك	ظاهرة (الكاف)	أنتِ	المرأة المكنونة
فيك	ظاهرة (الكاف)	أنتِ	المرأة المكنونة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يظهر من هذا الجدول التحليلي ما يلي:

أ. أن الإحالات سواء أكانت ظاهرة أم مقدرة أم دالة على خطاب الغائب أو الحاضر مشتركة في الإحالة إلى محال إليه واحد هو "المرأة المكنونة".

ب. أن الإحالة إلى المحال إليه بضمير الغائب تكثر حين يقترب المرسل من الوصف. أمّا الإحالة بضمير الحاضر فتكثر عندما يريد المرسل الانتقال من موقف خطابي إلى آخر داخل النصّ.

ج. أن الوحدة الإحالية تظهر عبر البنيتين الظاهرة (السطحية) والمقدرة (العميقة).

د. أن الإحالات يتوالد بعضها من بعض، وهذا التوالد له بعد تأثيري على المستقبل.

هـ. أن المدى الإحالي للعنصر المحيل له دور كبير جداً في عملية ربط التراكيب والأبيات وفيما يلي تحليل لذلك.

٣. المدى الإحالي

يترتب على وحدة العناصر المحلية إلى ذات واحدة تقرير حقيقة مهمة مؤداها: أن للإحالة مدى محدداً يتحكم بتوجيه الأحداث وترابطها. ويقسم هذا المدى إلى قسمين: قريب وبعيد، أما القريب فيبقى في حدود الجملة الواحدة، وأما البعيد فيتجاوز حدود الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص[١] "فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي ولكن الواحد منها متصل بما يناسبه أشد الاتّصال من حيث الدلالة والمعنى .."[٢].

يظهر من خلال التحليل أن النصّ يضم هذين المظهرين معاً، ولكن السؤال الذي يمكن طرحه: متى يلجأ المرسل إلى هذين المظهرين؟ وهل استعمالهما يسير بطريقة متساوية؟

يلجأ المرسل إلى الإحالة ذات المدى القريب حينما يقترب من الجزئيات المرتبطة بالكل، إنّ الكل هنا تحديداً هو المرأة، والجزء هو جميع الأجزاء التيّ يصفها من جسمها، فهو في الأبيات (٣٢-٤٣) يصف الجوانب الحسية والمعنوية للمرأة المكنونة ويبدأ عملية الوصف بإحالة تغطي تسعة أبيات: (تصد – هي)، (إلى مثلها – هي)، وحينما حوّل الخطاب إلى الحاضر بدأه بإحالة غطّت بيتين: (عن هواك – أنت)، (فيك – أنت). فالإحالتان (هي وأنت) تتمتعان بمدى بعيد يحتضن المدى القريب الذي يظهر من خلال بعض الأوصاف الجزئية، كوصفة للجيد والفرع والغدائر والكشح، فهو في وصفه للجيد يستعمل إحالة ذات مدى قريب وهي "الهاء" في

---

(١) الزناد، الأزهر. نسيج النصّ ص ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قوله :(إذا هي نصته)، فالهاء تحيل إلى سابق وهو الجيد وعملية الربط هنا محصورة في نطـاق محدد.

يثبت التحليل أن المديين الإحاليين يسيران جنباً إلى جنب في عملية البناء النحوي للنص، ومسألة القرب أو البعد لا تعني أن أحدهما أهم من الآخر، فكلاهما مهم، ويخدم الموقف الشعري في الوقت المناسب.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النتائج

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة الخطاب وأثره في بناء نحو النصّ من منظور تحليلي تطبيقي، في نتاج شعري مميز. وقد توصلت إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يلي:

١. إنّ مصطلحي النصّ والخطاب خلافيان؛ ويعود هذا إلى اختلاف المنطلقات والاتجاهات عند الباحثين، كما أنّ كثيراً منهم لا يفرق بين النصّ والخطاب، وبعضهم يفرق بينهما. واختارت الدراسة التمييز بينهما رغم لزوم العلاقة بينهما.

٢. ثبت أن نحو النصّ قد نشأ لأسباب متعددة أهمها تحقيق كفاية نصية، تمكننا من صوغ النصوص وإبداعها، وفق قواعد مستقاة من النصوص نفسها، ومن سياقاتها المشكلة لها، وفقاً لمقصدية المرسل.

٣. ثبت أن الذي يحكم مبدأ الكفاية النصيّة هو الوحدة النصيّة، وعماد هذه الوحدة هو التماسك النصي على المستويين النحوي والدلالي. ويعمل الخطاب على توفير جميع التقنيات التي تحدث التماسك.

٤. إنّ مبدأ التماسك قديم حديث، فهناك إشارات عند النحاة المتقدمين يمكن أن تندرج ضمن نحو النص؛ لأنّها تشير بكيفيات مختلفة إلى عناصر الوحدة والربط بين التراكيب، ولكنها لا تقوى على تشكيل نظرية، فهي إشارات متفرقة في بطون المصادر النحوية هنا وهناك.

٥. ظهر للباحث أن الشاعر في عملية بناء النصّ الشعري كان يسعى إلى جعل نصه منسجم المحاور، وذلك بتوفير عناصر الربط التركيبية مثل: الوصل، والإسناد، والإحالات، وتقنيات أخرى مثل: تركيزه على بعض جوانب الربط الذكري كالحذف والتقديم والتأخير والتكرار.

٦. أظهر البحث أنّ التصنيفات التي قدمها معظم الباحثين لأقسام الظواهر التركيبية الرابطة هي تصنيفات شكلية، وبخاصة ظاهرة الترابط الإحالي. وقد قدمت تصنيفات متعددة لأقسام هذه الظواهر من خلال التركيز على فعالية هذه الظواهر في إحداث التماسك، أي أنّها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تصنيفات تنطلق من الدلالة النصيّة. وقد ذكرت هذه التصنيفات في مواضعها في هذا البحث ويمكن العودة إليها.

٧. أثبت البحث أنّ اللغة قدرة ذهنية خطابية تعمل على تنظيم عالم النصّ بكافة مكوناته، فهي التي تعمل على تحقيق الوظائف الاتصالية للتراكيب؛ لأنّها تمتلك قوة تأثيرية دينامية، فهي تؤثر في تشكيل أطراف معادلة الاتّصال، كما أنّها تقوم بإبراز وجدانيات النصّ، وبتحديد روامزه، كما أنّها تمد المرسل بأشكالها المختلفة التي تؤثر في إنتاج الدلالة النصيّة؛ وهذا كله تابع لتوجهات الخطاب المختلفة.

٨. إنّ تطبيق أصناف الروابط التركيبية جميعها على معلقة امرئ القيس، قد أثبت أنّ النصّ الشعري منسجم، وأنّ التماسك مبني على وحدة التصور الشعري عند الشاعر، كما أنّ عملية تماسك النصّ مهمة لا ينفرد بها المرسل (المبدع) وحده، إنّها تقع على عاتق المرسل والمستقبل معاً. إذ لابد من وجود معرفة كافية لدى القارئ حول طبيعة النصّ الشعري؛ ليتمكن من ربط العوالم المشكلة للنصّ؛ ليتحقق الفهم الصحيح للنصّ؛ لأنّ هذا الأمر سيؤدي في النهاية إلى تحقيق نحوية صحيحة للنصّ.

٩. إنّ عمل الروابط التركيبية النصيّة يقوم على مبدأ المؤازرة في العمل، أي أنّ النصّ في عملية تشكله يخضع لمجموعة من العلاقات التركيبية تتفاعل فيما بينها؛ لإيجاد نص متماسك، وآية ذلك – كما رأينا – أن البيت الشعري الواحد قد ضم مجموعة من الرابط التركيبية، والفصل بين هذه الروابط كان لأغراض الدراسة والتحليل.

١٠. إنّ بعضاً من الأبيات التي لم يذكرها الأنباري في روايته لبعض المعلقات، وكان غيره قد ذكرها، يمكن أن تضم إلى نص المعلقة؛ لأسباب ذكرت في مواضعها في هذه الرسالة.

وفي الختام يمكن القول: إنّ هذه النتائج تشير إلى أن الخطاب هو الذي يبني نحوية النصّ وفقاً لاعتبارات سياقية مختلفة، قد تكون لغوية، وقد تكون غير لغوية. كما أنها تثبت أهداف البحث التي تم تسجليها في مقدمته. ويبقى هذا العمل جهد طالب، حاول من خلاله أن يحل بعض الإشكالات المتعلقة بنظرية نحو النصّ، ولله وحدة الكمال.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. تحقيق: عبد الله درويش ومحمد علي النجار. الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون. مصر: دار المعارف، ط٢، (د.ت).
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي. شرح القصائد العشر. تحقيق: فخر الدين قباوة. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٤، ١٩٨٠م.
- الجرجاني، الإمام عبد القاهر. دلائل الأعجاز في علم المعاني. تصحيح وطبع: السيد محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت، (د.ت).
- ابن رشيق، أبو الحسن القيرواني. العمدة في محاسن العشر وآدابه ونقده. تحقيق وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.
- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. دون مكان نشر، ط ١٩٩٠م.
- الزوزني، أبو عبدالله الحسين بن أحمد. شرح المعلقات السبع. بيروت: دار الجيل، (د.ت)، (د.ط).
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٨٨م.
- الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبان على شرح الأشموني. ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- ابن طباطبا، محمد أحمد. عيار الشعر. شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٢م.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تحقيق: عمر فاروق الطبّاع. بيروت: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٣م.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الجيل، ط٣، ١٩٩٣م.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. دار الجيل. بيروت (د.ت).
- المرادي، الحسن بن القاسم. الجني الداني في حروف المعاني. تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، بيروت: دار صادر (د.ت).
- النكري، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون "دستور العلماء" بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٩٧٥م.
- ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف. مغني اللبيب عن كتب الإعاريب. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله. دار الفكر، ط١، ١٩٩٢م.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي. شرح المفصل. بيروت: عالم الكتب، (د.ت)، (د.ط).

ثانياً: المراجع العربية والأجنبية المترجمة

- أولمان، ستيفن. دور الكلمة في اللغة. ترجمة: كمال بشر. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع. ط ١٢ (د.ت).
- الأيوبي، سعيد. عناصر الوحدة والربط في الشعر الجاهلي. الرباط: مكتبة وحدة للنشر والتوزيع، (د.ط)، ١٩٨٦م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- بارت، رولان. لذّة النصّ. ترجمة: منذر عياشي. حلب: مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٢م.
- بالمر، فرانك. علم الدلالة (إطار جديد). ترجمة: صبري إبراهيم السيد. دار المعرفة الجامعية، (د.ط) ١٩٥٠م.
- بحيري، سعيد:
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة. مكتبة زهراء الشرق. (د.ت).
- علم لغة النصّ (المفاهيم والاتجاهات). الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- بركلي، هربرت. مقدمة إلى علم الدلالة الألسني. ترجمة: قاسم المقداد. منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، (د.ط) ١٩٩٠م.
- ثامر، فاضل. اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث). بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤م.
- جامعة فيلادلفيا. المؤتمر العلمي الثالث – تحليل الخطاب العربي. منشورات جامعة فيلادلفيا، ١٩٩٧م.
- الحلو، عبده. معجم المصطلحات الفلسفية: فرنسي – عربي. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٤م.
- حماد، أحمد عبد الرحمن. العلاقة بين اللغة والفكر – دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.
- حمودة، ظاهر سليمان. ظاهرة الحذف في الدرس اللغويّ. الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع. الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- خطابي، محمد. لسانيات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب). المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م.
- خليف، يوسف. الروائع من الأدب العربي، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
- دي بوجراند، روبرت. النصّ والخطاب والإجراء. ترجمة: تمام حسان. القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٩٩٨م.
- راي، وليم.المعنى الأدبي من الظاهراية إلى التفكيكية. ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٧م.
- الرغيني، محمد. محاضرات في السيميولوجيا: دار الثقافة، ١٩٨٧م.
- الزناد، الأزهر. نسيج النصّ (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً). المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٣م.
- الزيدي، توفيق. أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث. الدار العربية، (د.ت)، (د.ط).
- ستيتية، سمير:

- علم اللغة التعلمي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن – إربد (د.ط)، (د.ت).
- اللغة وسيكولوجية الخطاب بين البلاغة والرسم الساخر. من إصدارات اللجنة الوطنية لإعلان عمّان عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٢م. الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. توزيع: دار الفارس، عمّان، ط١، ٢٠٠٢م.
- المشكلات اللغويّة في الوظائف والمصطلح والأزدواجية، دبي: دار القلم ١٩٩٦م.
- منازل الرؤية منهج في قراءة النصّ. (لم ينشر بعد).

- شبلنر، برند. علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب البلاغية، علم اللغة النصي). ترجمة: محمود جاد الرب. الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- طبانة، بدوي. معلقات العرب (دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي). بيروت: دار الثقافة، ط٣، ١٩٨٤م.
- العرود، أحمد ياسين. دراسة في تحوّل الخطاب العربي في عصر النهضة. رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك.
- عزام، محمد. التحليل الأسلوبي للأدب. دمشق: وزارة الثقافة ١٩٩٤م.
- عطوان، حسين. مقدمة القصيدة الجاهلية في العصر الجاهلي. بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٨٧م.
- علام، عبد الواحد. القاعدة والنص (دراسة في الفصل والوصل). دار الثقافة العربية، (د.ت)، (د.ط).
- عمر، أحمد مختار. علم الدلالة. القاهرة: عالم الكتب، ط٢، ١٩٨٨م.
- عياشي، منذر. مقالات في الأسلوبية. منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ١٩٩٠م.
- الغانمي، سعيد. اللغة والخطاب الأدبي. بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م.
- فاير، بول وبايلون، كريستيان. مدخل إلى الألسنية مع تمارين تطبيقية. ترجمة: طلال وهبة. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.
- فضل، صلاح:

– بلاغة الخطاب وعلم النصّ. الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

– نظرية البنائية في النقد الأدبي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، ١٩٨٧م.

- كوهن، جان. بنية اللغة الشعرية. ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري. الدار البيضاء: دار توبقال ١٩٨٦م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- لالاند، أندريه. موسوعة لالاند الفلسفية. ترجمة: خليل احمد خليـــل وأحمـــد عويـــدات، بيروت: منشورات عويدات ١٩٩٦م.
- مبارك، حنون. دروس في السيميائيات. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٨٧م.
- المديني، أحمد. في أصول الخطاب النقدي الجديد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ١٩٨٧م.
- المرتجي، أنور. سيميائية النصّ الأدبي. أفريقيا الشرق، ١٩٨٧م.
- مفتاح، محمد:

- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص). الدار البيضاء: المركز الثقـــافي العربـــي، ط٢، ١٩٨٦م.

- دينامية النصّ (تنظير وإنجاز). المركز الثقافي العربي، بيروت: الـــدار البيضـــاء، ط١، ١٩٨٧م.

- ياكوبسون، رومان. أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب. بغـــداد: دار الشـــؤون الثقافيـــة العامة، ١٩٨٧م.
- يقطين، سعيد. انفتاح النصّ الروائي. بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Ann Gerns Bacher Morton & Givon, T. Coherence in Spontaneous Text. PA. John BenJamins, North America, 1995.
- Brown, Gillian & Yule, George. Discourse Analysis. Cambridge University Press 1987.
- Cook, Guy. Discourse and Literature: The Inter Play of Form and Mind. Oxford: Oxford University Press. 1986.
- Crombie, Winifred. Process and Relation in Discourse and Language Learning. Oxford University Press. 1986.
- De Beaugrande, Robert. Linguistics Theory: The Fundamental, Works, N,V., Long man Inc., 1991.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- De Beaugrande, Robert & Dressler, Wolfgang. Introduction to Text Linguistics. N.Y. Longman, Inc., 1994.
- Halliday, M.A.K. & Hasan, Rugaiya. Cohesion in English. Longman Group L.t.d, 1983.
- Longacre, Robert. E. The Grammar of Discourse. N. Y., Plenum Press 1983.
- Macdonelle, Diane. Theories of Discourse; an Introduction. N. Y., Basil Black well, Inc., 1987.
- Mccarthy Michael & Carter, Ronald. Language as Discourse Perspective for Language Teaching. Long man Group UK Limited, 1998.
- Papegaaij, Bart & Schubert, Klaus. Text Coherence in Translation. Dordrecht: Foris Pub., 1988.
- Van Dijk, Teun. A:

- Hand Book of Discourse Analysis. Academic Press. (A.P.) Harcourt Brace Javonovich, London L.T.D. Vol 1, 2, 3. 1985.
- Prejudice in Discourse: an Analysis of Ethnic Prejudice in Cognition and Conversation. Amsterdam: John Benjamins, 1984.
- Text and Context. Explorations in the Semantics and Pragmatics of Discourse. London: Long man, 1977.

- Van Dijk, Teun. A. & Kintsch, Walter. Strategies of Discourse Comprehension. Academic press. Subsidiary of Harcourt Brace Jovanovich, 1983.

رابعاً: المجلات والدّوريات

- الحمداوي، مفيد. السيميوطيقا والعنونة. عالم الفكر، ع٣، ١٩٩٧م.
- دمشقية، عفيف. الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة. الفكر العربـــي. العددان المزدوجان (٨-٩)، ١٩٧٩م.
- فخر الدين، جودت. في لغة الشعر والبحث عن الشعرية. نزوى، ع ١٢، ١٩٩٧م.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس القوافي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس القوافي

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
(ء)			
الأعداءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	٤٣، ١١٠، ١٣٠
بقاءُ	=	=	٤٣، ١١٠، ١٣٠،
قعساءُ	=	=	٤٤، ١١٠
إباءُ	=	=	٤٤، ١١٠
العماءُ	=	=	٤٤، ١١٠
صماءُ	=	=	٤٤
الإمساءُ	=	=	٦٣
النجاءُ	=	=	٧٣، ١٤٢
الأملاءُ	=	=	٨٥، ١٤٢
الأحياءُ	=	=	٨٥، ١٤٢
الإبراءُ	=	=	٨٦، ١٤٢
الأقذاءُ	=	=	٨٦، ١٤٢
العلاءُ	=	=	٨٦، ١٤٢
عُواءُ	=	=	٨٦، ١٤٢
السماءُ	=	=	٩٤، ١٤٢
بلاءُ	=	=	٩٤، ١٤٢
كفاءُ	=	=	١٠٩، ١٤٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نُساءُ	الخفيف	الحارث بن حلزة	١٠٩
إحفاءُ	=	=	١٠٩
الخلاءُ	=	=	١٠٩
الولاءُ	=	=	١٠٩
ضوضاءُ	=	=	١٠٩
رغاءُ	=	=	١٠٩
الحساءُ	=	=	١٤٢
إماءُ	=	=	١٤٢
رجلاء	=	=	١٤٢
الكفلاء	=	=	١٤٢
الأهواء	=	=	١٤٢
سواء	=	=	١٤٢
الضحاءُ	=	=	١٥٤
(د)			
الغدِ	الطويل	طرفة بن العبد	٣٨، ١٢٣
المصمدِ	=	=	٥٩، ٩٩
مُجْسدِ	=	=	٥٩
المتجردِ	=	=	٥٩
تشددِ	=	=	٥٩
متلدي	=	=	٥٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعبد	الطويل	طرفة بن العبد	٥٩
عودي	=	=	٦٧
تزبدِ	=	=	٦٧
المتورد	=	=	٦٧
المعمدِ	=	=	٦٧
ممرد	=	=	٦٨، ٨٠
نغتدي	=	=	٧٦
برجد	=	=	٧٦
معبد	=	=	٧٧
أغيدِ	=	=	٧٧
بقرمد	=	=	٩٣
اليد	=	=	٩٣، ١٢٣
مصرد	=	=	٩٦
الصدي	=	=	٩٦
مفسد	=	=	٩٦
منضد	=	=	٩٦
المتشدد	=	=	٩٦
ينفد	=	=	٩٦
ويبعد	=	=	٩٦
أرفد	=	=	٩٩، ١٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تصطد	الطويل	طرفة بن العبد	٩٩
ازدد	=	=	٩٩
المتوقد	=	=	١٤٧
(ل)			
المعيل	الطويل	امرؤ القيس	٣٩٥
تمول	=	=	٣٩، ١٠٦
يهزل	=	=	٣٩
مرسل	=	=	٦٥، ١٧٥، ١٩٤
مذيل	=	=	٦٨
مخول	=	=	٦٨
منزل	=	=	٦٩
محملي	=	=	٧٠، ١٧٠
كلكل	=	=	٨٤
بأمثل	=	=	٨٤
مرجلي	=	=	٩٢، ١٧٠، ١٨٤
فحومل	=	=	٩٥، ٦٩، ١٧٧، ١٨٥
تجمل	=	=	٩٥، ١٧٨، ١٨٦
حنظل	=	=	١٢٩، ١٧٨، ١٨٥
معول	=	=	١٢٩، ١٨٦
فأجملي	=	=	١٣٥، ١٧٤، ١٩١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يفعل	الطويل	أمرؤ القيس	١٣٥، ١٩١
تتسل	=	=	١٣٥، ١٩١، ١٧٤، ١٩١
مقتّل	=	=	١٣٥، ١٩١
معجل	=	=	١٣٥
من عل	=	=	١٥٥
بالمتنزل	=	=	١٥٥
شمأل	=	=	١٦٩، ١٧٧، ١٨٥
بمأسل	=	=	١٧٠، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٦
القرنفل	=	=	١٧٠، ١٧٢، ١٧٤
فانزل	=	=	١٧٠، ١٩٠، ١٨٢، ١٨٤
لم تحلل	=	=	١٧٢، ١٩٠
المفتل	=	=	١٧٢، ١٨٩
من معول	=	=	١٧٢، ١٧٨
المخلخل	=	=	١٧٤، ١٧٨
كالسجنجل	=	=	١٧٤، ١٨١، ١٩٢
مطفل	=	=	١٧٥، ١٨١، ١٨٩
بمعطّلِ	=	=	١٧٥،١٩٤
المتعثكلِ	=	=	١٧٥،١٩٤
المذلّلِ	=	=	١٧٥،١٩٤
عن تفضّلِ	=	=	١٧٥،١٩٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فلفلِ	الطويل	امرؤ القيس	١٧٧،١٨٥،١٨٧
المتفضّلِ	=	=	١٨٠
تنجلي	=	=	١٨٠
مُحْوِلِ	=	=	١٨٠،١٩٠
يُحَوِّلِ	=	=	١٨٠،١٩٠
عقنقل	=	=	١٨١
المعلّلِ	=	=	١٨٢،١٩٠
جُلْجُلِ	=	=	١٨٩
المتحمّلِ	=	=	١٨٩
مُرَحَّلِ	=	=	١٨
اسحلِ	=	=	١٩٤
بُمِنْيِ	=	=	١٩٤
مُؤتلي	=	=	١٩٤
(م)			
المثلَّمِ	الطويل	زهير بن أبي سلمى	٤٧
المخرَّمِ	=	=	٤٧
يكرّمِ	=	=	٧٤
ماثمِ	=	=	٨٣
يَعْظُمِ	=	=	٨٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مصتّم	الطويل	زهير بن أبي سلمى	١١٤
لَيْذَمِ	=	=	١١٤
يَتَجَمْجمِ	=	=	١١٤
يسلَمِ	=	=	١١٤
يُذْمم	=	=	١١٥
يَنْدَمِ	=	=	١١٥
يُكْرَمِ	=	=	١١٥
يظلَمِ	=	=	١١٥
بمنمِ	=	=	١١٥
يُشْتَمِ	=	=	١١٥
يسأمِ	=	=	١١٥
يَحْلُمِ	=	=	١٤٤
سقامُها	الكامل	لبيد بن ربيعه العامري	٦٤
قسّامُها	=	=	٦٦
حكامُها	=	=	٦٦
عامُها	=	=	٦٦
ليامُها	=	=	٦٦
رمامُها	=	=	١٥٢،٨١
رماحُها	=	=	٨١
مَرَامُها	=	=	٨١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فرخامُها	الكامل	لبيد بن ربيعه العامري	٨١
طلخامُها	=	=	٨١
فرجامُها	=	=	١٠٣
سلامُها	=	=	١٠٤
حرامُها	=	=	١٠٤
نعامُها	=	=	١٠٤
سنامُها	=	=	١٠٨
خِدامُها	=	=	١٠٨
جَهَامُها	=	=	١٠٨
تسجامُها	=	=	١٢٤،١١١
هِيامُها	=	=	١٢٤،١١١
غمامُها	=	=	١١١
نظامُها	=	=	١٢٥،١١١
إزلامُها	=	=	١١١
أيّامُها	=	=	١١١
إعصامها	=	=	١١١
إقدامُها	=	=	١١٣
هضامُها	=	=	١٥١
جرّامُها	=	=	١٥٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مستسلمِ	الكامل	عنترة بن شداد العبسي	٩٢،٣٨
المطعمِ	=	=	٧٥
الفَمِ	=	=	٧٥
بمعلمِ	=	=	٧٥
كالدِّرهمِ	=	=	٧٥
يتصرّمِ	=	=	٧٥
المترنمِ	=	=	٧٥
الأجذَمِ	=	=	٧٥
اعلميِ	=	=	٨٢
مُرْتَمِ	=	=	٨٢
مُقَوَّمِ	=	=	٩٢
تَوَهُّمِ	=	=	١٠٥
المُجْرَنْثِمِ	=	=	١٠٥
اسلميِ	=	=	١١٣
أمّ الهيثمِ	=	=	١١٤،١٥١
مُلْجَمِ	=	=	١٤٥
المُبْهَمِ	=	=	١٤٥
المتثلِّمِ	=	=	١٤٦
مذممِ	=	=	١٤٨
الأدهمِ	=	=	١٤٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالدَّم	الكامل	عنترة بن شداد العبسي	١٤٨
أقْدِمِ	=	=	١٤٨
وتحمحمِ	=	=	١٤٨
مكلمّي	=	=	١٥١،١٤٩
أشأمِ	=	=	١٥١

(ن)

ظالمينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	٣٨
حُدِينا	=	=	٤٠
القرينا	=	=	٦٢
تشتمونا	=	=	٦٤
طحونا	=	=	٦٤
تزدرينا	=	=	٧١
مقتوينا	=	=	٧١
الجاهلينا	=	=	١٥٣،٨٢
الدّرينا	=	=	٨٦
عُصِينا	=	=	٨٦
رَضِينا	=	=	٨٦
بُنِيْنَا	=	=	٨٧
لِمُجتَدِينا	=	=	٨٧
الجفونا	=	=	٨٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أتينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	٨٧
وطِينا	=	=	٨٧
الأندرينا	=	=	٨٧
سخينا	=	=	٩٨
مُهِينا	=	=	٩٨
سَخِينَا	=	=	١٢٦،١٥٣،١٤٣،٩٨
اليمِينا	=	=	١٠٠،٩٨
تَصبحِينا	=	=	١٠٠،٩٨
قاصرينا	=	=	١٠٠
قادرينا	=	=	١٠٧
اليقِينا	=	=	١٢٦
الأندرِينا	=	=	١٢٦
المحجرينا	=	=	١٢٦
صفونا	=	=	١٢٦
طحينا	=	=	١٢٦
أجمعينا	=	=	١٢٦
حَملونا	=	=	١٢٦
غشِينا	=	=	١٤٣
يعتلِينا	=	=	١٤٣
يختلِينا	=	=	١٤٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يرتمينا	الوافر	عمرو بن كلثوم	١٤٤
يتقونا	=	=	١٤٤
غُضُونا	=	=	١٤٧
جونا	=	=	١٤٧
جرينا	=	=	١٤٧
الكاشحينا	=	=	١٥٣
المتونا	=	=	١٥٣
اللاّمسينا	=	=	١٥٣
فنينا	=	=	١٥٤
مُصلّتينا	=	=	١٥٥
الأمينا	=	=	١٥٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University